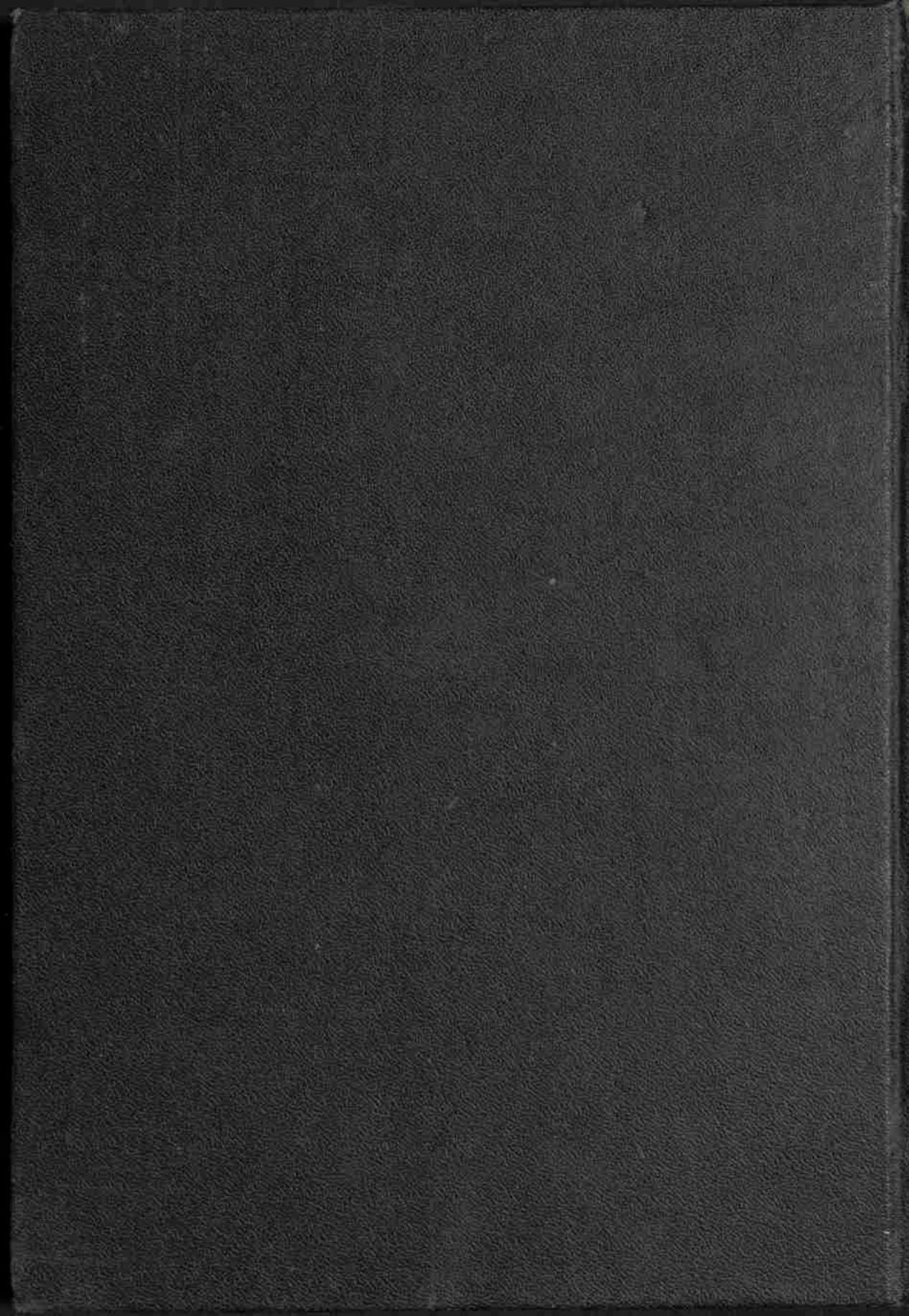




CLOSED
AREA

AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT





تجليد صالح الدين
٢٢٩٧٧







كتاب تاريخ وروايات

CA
956.9
N7434A
v1

الجزء الأول

حوادث عهد الاقطاع

تأليف

احسان النمر

«نمن النسخة مائة مل فلسطيني»

- جميع الحقوق محفوظة للمؤلف -

78819

١٣٥٢ هـ مطبعة ابن زيدون بدمشق ١٩٣٨ م

Engl. Bookshop
East. May 1952



6.581



احسان النحر

« مؤلف تاريخ جبل نابلس والبلقاء »

مصادر تاريخ جبل نابلس والبلقاء

الكتب :

- (١) الأتراك العثمانيون - لمصر النمساوي .
- (٢) الأصول العربية لتاريخ سوريا في عهد علي باشا - جمع الدكتور
أحمد رستم .
- (٣) الأتراك الجليل في تاريخ القدس والخليل - للحنيني المقدسي .
- (٤) التاريخ العثماني - لعل رشاد بك .
- (٥) الجغرافية المقدسة - للأستاذ أسعد منصور .
- (٦) الحكومة المصرية - للأستاذ كرد علي .
- (٧) الدولة العثمانية - لجودت باشا .
- (٨) الرحلة القدسية - للشيخ عبد الغني الفايدي .
- (٩) العبر في كشف أمرار القرن الثالث عشر - لمحمد نجاتي .
- (١٠) الفتوحات الإسلامية .
- (١١) الكواكب السائرة عن المائة العاشرة - للشيخ نجم الدين ابن الشيخ محمد .
- (١٢) الوسيط في الأدب العربي - للأستاذ الشيخ أحمد الإسكندري .
- (١٣) بعض مجلات منها المعارف اللبنانية .
- (١٤) تاريخ الدولة العثمانية - لفريد بك المصري .
- (١٥) تاريخ الماسرين - للقبس إلياس مرموره .
- (١٦) تاريخ دولة الماليك - للسيد سليم موير .
- (١٧) تاريخ صليبات باشا والي عكا - بقلم كاتبه المعلم إبراهيم العورا -
وتعليق الخوري قسطنطين الباشا .
- (١٨) تاريخ سوريا المدرسي .
- (١٩) تاريخ عمومي لإحسان شريف .
- (٢٠) تاريخ فلسطين - للأستاذين عمر البرغوثي و خليل طوطح .
- (٢١) تاريخ لبنان - للمسعودي .^(١)

- (٢٢) تاريخ مصر — لابن أبياس .
 (٢٣) خطط الشام — الأستاذ كرد علي .
 (٢٤) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر — للشيخ محمد أمين الحلي .
 (٢٥) مبانك الذهب في معرفة أنساب العرب — للشيخ محمد البغدادي الملقب بالسويدي .
 (٢٦) ملك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر — للشيخ محمد خليل المرادي .
 (٢٧) صفوة تاريخ مصر والدولة العربية — للشيخ أحمد السكندري .
 (٢٨) طبقات الحنابلة — لابن أبي بعلل .
 (٢٩) فلسطين العربية بين الانتداب والصهيونية — للأستاذ عيسى السفري .
 (٣٠) قبائل شرقي الأردن — لبيك باشا الإنكليزي .
 (٣١) ماجريات فلسطين من سنة ١٨٤٥ إلى سنة ١٨٦٣ م — للفتى صليبة الإفريقية بقلم القنصل المسيو جوس فين .
 (٣٢) مجموعة المحررات السياسية والمفاوضات الدبلوماسية عن سوريا ولبنان من سنة ١٨٤٠ م إلى سنة ١٩١٠ م — تعريب فيليب خازن .
 (٣٣) مختصر تاريخ آداب اللغة العربية — للأستاذ جورجي زيدان .
 (٣٤) مختصر تاريخ العثمانيين — لأبراهيم حلمي نجار زاده .
 (٣٥) مختصر طبقات الحنابلة — للكمال الغزي — اختصار الشيخ كمال الشطي .
 (٣٦) مختصر تاريخ مدنيت — لمؤلف تركي .
 (٣٧) نابليون بونابوت — للأستاذ أمين الخوري .

المخطوطات :

- (١) ✓ سجلات المحكمة الشرعية بنابلس : كان ماء القربون في أول القرن الثاني عشر الهجري طفي على دار مجلس الشرع الشريف جوار الشيخ بدر الغفير فحرق سجلاته ٦ ولم يتخذ منها إلا أربعة ٦ وهي سجل سنة ١٠٦٦ هـ و سجل سنة ١٠٩٧ هـ و سجل سنة ١١٠١ هـ و سجل سنة ١١٤٣ هـ وبعض أوراق ترجع إلى تواريخ متعددة ٦ ثم من سنة ١٢١٠ هـ إلى الآن ٦ تسير متسلسلة وقد سجلت فيها جميعها مخبرات رسمية كثيرة كما سيظهر .

(٢) سجلات المحكمة الشرعية في دمشق منذ تبتدا من سنة ١٠٧٦ فما بعد ،
إلا أنها غير معننى بها .

(٣) سجلات المحكمة الشرعية في القدس — تبتدا حوالي سنة ٩٢٧ هـ فما
بعد ، وهي مجلدة ومرتبطة إلا أنها ممسوحة وخطوطها غير حسنة ، ولم
يسجل فيها من المخارج الرسمية إلا القليل .

(٤) أوراق آل النمر — بعد موت موسى آغا النمر جمع أحمد آغا النمر كافة
أوراق آل النمر في صندوقه ، وورثها بعده ولده عبد الفناح آغا ،
ثم حفيده حسين آغا ، ومنه وصلت إلي ، وقد حفظت على اختلافها ،
ففيها الوثائق الرسمية والاقطاعية والتجارية ، والمكاتبات الخصوصية
والسياسية . وبعد التحقيق تبين لي أن ما حفظ عند آل النمر من
الأوراق يفوق ما حفظ عند جميع الأمر التي تائلها في عصرها ، رغم
فقدان كثير من أوراقها في الزلازل والحوادث ، وأكثر الفضل في
ذلك يعود لحرص وأمانة المرحوم عمي حسين آغا النمر الذي سهر على
حفظها في الوقت الذي كانت تذهب فيه أوراق سائر الأمر بهاء .
ولقد كان حفظ هذه الوثائق السبب في كشف كثير من النقاط التاريخية
الغامضة . ولهذا فظهور أكثر الوثائق في الكتاب لآل النمر ، إنما هو
لتوفرها عندهم دون غيرهم .

(٥) أوراق آل الشافعي — وهي محفوظة عند شكري بك الشافعي وأهمها

التقرير عن أعمال التركمان الذي أدى لإبعادهم عن جبل نابلس .

(٦) أوراق آل طوقان — بالرغم عن أن أكثر حكامهم ظهوروا في القرن

الثالث عشر ، فإنهم لم يحفظوا من أوراقهم إلا المرسوم السلطاني بتعيين

مصطفى باشا طوقان واليا على مصر ، ولولا ما وجدته في تاريخ المرادي

وفي سجلات المحكمة الشرعية بنابلس ، وفي أوراق آل النمر ومدونات

السامريين لما قدرت على الكتابة عنهم بتحقيق ، لأن أوراقهم تفرقت

ثم أبيدت حرقا وتمزيقا .

(٧) أوراق آل جرار — وكذلك آل جرار لم يحفظوا من أوراقهم سوى قصيدة

أحمد باشا الجزار ليوسف آغا الجرار ، وقصيدة الأخير لأمرأه وشيوخ
جبل نابلس ، وبعض مرسومات شكر .

(٨) أوراق آل عبد الهادي - حفظ آل عبد الهادي كافة أوراقهم ، وبما
أن تاريخهم يبدأ بدخول إبراهيم باشا المصري سوريا ووثائقهم تتعلق
بالحكم المصري على سوريا فقد دونت في الأصول العربية التي قام بجمعها
الدكتور أسد رستم أستاذ التاريخ في الجامعة الأمريكية .

(٩) باقي عشائر جبل نابلس - آل القاسم ، والجيايسة ، والحاج محمد ،
والبرقاوي وغيرهم لم يحفظوا شيئاً من الأوراق السياسية . وقد اطلعت
على حجج وأنساب لبعض الأمير الشريفة استفدت منها بعض الفائدة .

(١٠) مدونات السامريين - كان بعض كهان السامريين يكتبون نقاوم عن
الأحوال الآتية وعن سير الحوادث ، وأهم ما وجدته كراس المعلم
إبراهيم الدنفي كاتب مراري نابلس حينما هاجمها ظاهر العمر ، فكتب عن
هجومه وردة عن نابلس ، وبالرغم عن نقص الكراس في بدايته ونهايته ،
وبالرغم عن تحيزه ومالائه لمصطفى باشا طوقان فقد استفدت منه فائدة
كبيرة ، وكذلك النقاوم فإنها جلت لي بعض النقاط الغامضة ، وهي
محفوفة عند الكاهن ناجي خضر السامري .

الروايات :

بالرغم عما قبلت به من الاستهجان والاستغراب عند البعض فقد وفقت
للحصول على روايات ترجع الى ما قبل ستة قرون . إذ منها ما يرجع الى الحروب
الصليبية وعهد الأيوبيين والمماليك ، وقد رواها روايتها عن مخطوطات مفقودة ، ومنها
ما يرجع الى أوائل العهد العثماني . ثم معلومات وأخبار مرتبة ومفصلة عن عهد
الاقطاع العثماني ، وما تلاه من التطورات التي أكلت ما قصرت به الوثائق
المحدودة البحث ، وبالرغم عن الاضطراب السياسي الذي غمر جبل نابلس في الحرب
الألمانية ودور الانحلال فقد وجدت عند المعتدلين والمتعقلين من الاتزان والأمانة
في النقل ما أوصاني الى كثير من الحقائق الناصعة . وقد بدأت بسماع هذه
الروايات منذ بلوغي سن التمييز عن عدد كبير من شيوخ وشبهات أمركي وغيرهم
من لا أحصي عددهم ، ولذلك لم أذكر أسماءهم .

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله
وصحبه أجمعين .

أما بعدُ فإن مقاطعة جبل نابلس هي إحدى المقاطعات التي مثلت
في تاريخ الشرق العربي في القرون الخمسة الأخيرة دوراً خطيراً مجيداً
مع المحافظة على سنيتها وعروبيتها ونفسياتها محافظةً عجيبة . وقد أصبح
لها بمناسبة وجود الركب الشامي فيها ومروره منها هي والبقاء شأن
كبير ، إلا أن غموض حوادثها ، وتقصير أبنائها بكتابة تاريخها كاد
يطمس أجدد صحيفة في تاريخ الإمارات العربية في القرون المذكورة
لولا أن الله وقّفي لتداركها وتدوين ما بقي في الكتب والسجلات
ورؤوس الشيوخ من الحوادث والروايات ، فألفت هذا التاريخ باسم
« تاريخ جبل نابلس والبلقاء » لشمولة حوادث جبل نابلس وبعض حوادث
قبائل البلقاء في العهد الذي برزت فيه شخصية جبل نابلس ، وقد قسمته
إلى ثلاثة أجزاء ، الأول منها : يبحث عن حوادث العهد الاقطاعي ؛
والثاني : يبحث عما بلغه جبل نابلس في عهد الاقطاع من الحضارة ؛
والجزء الثالث : يبحث عن الحكم الأجنبي والنضال القومي ، شاملاً
لقضية فلسطين ، بأسلوب تحليلي صريح ، متضمناً بعض مذكراتي الخاصة .
هذا وإنني أشكر جميع من ساعدوني باطلاعي على الكتب والمخطوطات
والروايات ، راجياً قبول عذري بعدم ذكر أسمائهم لكثرتهم ونسياني

بعضهم لطول العهد ، كما أسجل في هذه المقدمة اعترافي بالفضل في تعليمي
علم التاريخ لأستاذي السيد حيدر نقاحه الحسيني ، وجميل كمال
البطوطي ، لأنهما شجعاني ونظما قلوبتي للتاريخ أيام دراستي في المدرسة
الرشدية العثمانية ، وفي مدرسة النجاح الوطنية .

وإني أرحب - مع الشكر - بكل انتقاد نزيه أو معلومات جديدة ،
تعزدها البينة الواضحة ، والنية الحسنة ، لكي أصحح الخطأ ، وأكمل
النقص في الطبعة التالية ، والله الموفق .

المؤلف
احسان النمر

في ١٥ ذي القعدة سنة ١٣٥٦



مقدمة تاريخية

كانت نابلس في عهد الكنعانيين تعرف بشكيم ، ولم تكن ذات أهمية ، فقد استولى عليها الإسرائيليون بسهولة ، ثم دخلت في حكم الاشوريين الذين نفوا سكانها الى العراق وأنوا بعراقيين أسكنوهم مكانهم . ثم تغلب الفرس على الاشوريين فانتقلت نابلس لحكمهم ، ثم تلاهم اليونان فالرومان ، وفي هذا العهد ثارت شكيم فهدمها الرومان^(١) ثم جددوا بناءها باسم « نيوبلس » أي البلدة الجديدة ، وقد ظلت تحت حكمهم الى أن دخلها المسلمون . وقد وردت تفاصيل تاريخها القديم في الكتاب المقدس وفي التاريخ العام . أما في العهد الإسلامي الأول فلم يكن لها ذكر ، إذ كان سكانها خليطاً من نصارى العرب والسامريين والحكام والجنود المسلمين ، فلم تكن لها حوادث تذكر ولا شخصية بارزة . وفي هذا العهد عرفت هذه المقاطعة بجبل نابلس ، ثم اضطربت سوريا كلها طيلة الحروب الصليبية وما بعدها بقرون في عهد الأيوبيين والمماليك والعثمانيين . وفي هذه الأثناء برزت شخصية جبل نابلس وصار يشترك بحوادث سوريا ، مما أحوجني الى كتابة مختصر حوادث سوريا في هذا العهد مما له علاقة وصلة بهذا التاريخ .



(١) وكان ذلك سنة ٦٦ م في عهد الامبراطور فسباسيانوس .

الباب الاول

حوادث سوريا من نهاية الحروب الصليبية الى الفتح العثماني

الفصل الاول

الغارات الخارجية

الحروب الصليبية

تقلصت الدولة الرومانية في عهد الخلفاء الراشدين والأمويين الى داخل الأناضول ، فكانت سوريا آمنة من عدوانها لوفرة القوى الإسلامية فيها . ولما نقل مقر الخلافة الإسلامية من دمشق الى بغداد ، صار الروم يهاجمون سوريا بلا انقطاع . ولما ظهرت الدولة الفاطمية صارت تنازع العباسيين والسلاجقة السيادة على سوريا ، فاستولت عليها ، ثم اشتد عزم السلاجقة واستولوا على سوريا الشمالية والوسطى واكتسحوا قسماً كبيراً من بلاد الأناضول ، فذعر قيصر الروم واستنجد بالبابا في روما ، فأثار البابا جميع أوروبا مستغلاً ما كان يصيب الزوار الأوروبيين من أذى جيوش السلاجقة والفاطميين المتحاربين . وقد شجع ملوك أوروبا ما بلغهم عن وقوع الخلاف الشديد بين الخلافتين الإسلاميتين في مصر وبغداد ، فجيشوا الجيوش الجاررة للاستيلاء على الأراضي المقدسة ، ولوضعهم شارة الصليب على المحاربين ، عرفوا بالصليبيين وعرفت حروبهم بالحروب الصليبية . وقد ابتدأت هذه الحروب سنة ٤٨٩ هـ وانتهت سنة ٦٧٠ هـ ، وإذا كانت أوروبا في عهد الاقطاع الحشن ، فقد كانت حروب الصليبيين غاية في الخشونة ، أصبحت سوريا خلالها مقبرة للشرق والغرب . ولم

يقف الأمر عند هذا الحد بل تلت الحروب الصليبية غارات أواسط آسيا من المغول والتتار والتركمان ، وقد توالى هذه الغارات الى أوائل القرن التاسع الهجري . ولم تكن في خشونتها وفضاعتها نقل عن غارات الصليبيين ، إلا أنها كانت موجبةً نحو شمال سوريا وشرقها أي نحو القسم الذي نجا أكثره من غارة الصليبيين ، وبذلك عمّ البلاء سوريا كلها . وكان الشعب العربي في سوريا خلال ذلك آخذاً بالقضاء والنقلص الى البادية والأقطار المجاورة . وبعد هدوء العواصف الغربية والشرقية أخذ يتوافد على سوريا تارةً سلباً بالاستيطان وتارةً حرباً بالاشتراك مع التركمان الذين استولوا على الشمال وأصبح لهم تأثير كبير في حوادث سوريا .

التركمان

التركمان أصلهم من أواسط آسيا مما وراء نهر جيحون بدأوا غاراتهم من أواخر عهد العباسيين ، فاستوطنوا القسم الشرقي من آسيا الصغرى ، وأسسوا إمارتين ، إحداهما في الشمال عرفت بإمارة تركمان الوبر الأسود (قره قوبونلر) ، والأخرى في الجنوب عرفت بإمارة الوبر الأبيض (آق قوبونلر) والمجاورة الأخيرة لسوريا كان لها تأثير كبير في حوادثها ، وقد عرف أمراءها بذي القدرية لأن مؤسسها هو ذو القدر بك . وقد احتل فريق منهم كليسيا بعد زوال حكومة الأرمن فعرفوا بالقرمانيين ، واحتل فريق آخر ساحل سوريا الشمالي في نهاية الحروب الصليبية ، وقد امتدوا جنوباً فاستولوا على جبيل وكسروان ، واصطدموا بدروز لبنان . وكان أمراءهم يعرفون بآل سيف ، وكانوا سنين غيورين فأصبحوا أصحاب سيطرة ونفوذ في سوريا الساحلية ، وقد جعلوا مركزهم طرابلس الشام بعد أن عرفت إيالة الساحل بإيالة طرابلس .

الفصل الثاني

العرب في سوريا

قبل الإسلام

لا يعلم في الحقيقة بدء استيطان العرب في سوريا ، ولكن المحقق أن
الفساسنة القحطانيين أسسوا ملكهم في الشام قبل التاريخ المسيحي ،
ولما زحفت قبائل ربيعة من نجد الى الشمال بعد حرب البسوس نزلت
نعلب والنمر وأباد في الجزيرة الفراتية في رأس العين والرها ، وامتدت
في شمال العراق وشمال سوريا .

العرب

في الفتح الإسلامي

كانت الجيوش الإسلامية كلها عربية اشتركت معها القبائل العربية
على اختلافها ومنها كلب ، وجذام ، ونعلب ، والنمر ، وأباد ، وقيس ،
ومضر وغيرها ، فانتشرت ونعلقت في سوريا كلها .

ولما ضعفت الدولة العباسية ، قام الحمدانيون أمراء نعلب بتأسيس
إمارتين إحداهما شرقية مركزها الموصل ، والأخرى غربية مركزها
حلب ، وقد انضمت إليهم جميع القبائل العدنانية بما فيها : بكر ،
والنمر ، وأباد ، فكانت سداً بوجه الأقوام الشمالية ودولة الروم الشرقية
الى أن قضى عليها سنة ٤٣٠ هـ على يد الأمير صالح بن مرداس الكلابي
اليمني . ولما هاجم الصليبيون سوريا لم يلقوا مقاومة تذكر ، واستمر
ضعف الجنس العربي بعد ذلك ولم يظهر أمره إلا في عهد المماليك .

في عهد المماليك^(١)

تدفقت على سوريا بعد الحروب الصليبية عشائر كثيرة : من بدو الحجاز ونجد والعراق ومصر ، أكثرها من قبيلة طي كالموالي ، وآل علي ، وأبي ريشة ، والفضل ، وربيعه ، وقد امتدوا من الشمال الى الجنوب ، واشتركوا مع عرب سوريا والتركمان بالغارة على سوريا بلا انقطاع حتى اضطروا المماليك الى الاهتمام بهم . قال السير ولیم مویر « إن البدو كانوا أمة مستقلة إلا أن عاداتهم في الظعن والترحال لم تجعلهم يتخذون لهم مستقراً في أي صقع من سوريا ، ولا أن يشتروا طويلاً اشتراكاً فعلياً في أمر واحد » . ولو أنهم التفوا حول أمير من أمرائهم وصوبوا هدفهم نحو غاية واحدة لكان لهم شأن آخر . ومع كل هذا فإن ضعف المماليك وتفرقهم حملهم على الاستعانة بهم . حتى أن الملك المؤيد الذي كاتب يعرف بالشيخ المحمودي إنما نال ملكه بمساعدتهم وعمل جهده لترضيتهم فنصب في دمشق خليفة علوياً إرضاء لهم .

في الفتح العثماني

نزع بطن من قبيلة قايي خان من أواسط آسيا واستقر في قلب آسيا الصغرى في مملكة السلطان علاء الدين السلجوقي . وبعد موته انقسمت مملكته الى ممالك صغيرة منها مملكة قبيلة قايي خان المذكورة . ولأن سلطانهم الأول اسمه عثمان فقد عرفوا بالعثمانيين ، وما لبثوا أن اتسع

(١) استولى الأيوبيون على ملك مصر بعد الفاطميين وكانوا بحاجة الى الجند الدائم لمحاربة الصليبيين فأكثروا من المماليك الاتراك الذين استولوا على ملكهم فيما بعد وقد أكثر ملوك وأمراء هؤلاء من المماليك الشراكسة الذين استولوا على الملك فيما بعد في مصر وسوريا والحجاز الى أن أخذه منهم الاتراك العثمانيون .

ملكهم في آسيا الصغرى والرومي ، وأصبحوا في أوائل القرن العاشر
 الهجري على حدود سوريا فاتفق معهم أمير ترکان ذو القدرية إذ ذاك
 الأمير شمسوار^(١) الذي كان حاقداً على المماليك . فهاجم المماليك ثم صالحوه
 واستقدموه الى مصر وشنقوه فيها ، فلجأ ولده علي بك شمسوار الى
 السلطان سليم العثماني وبمساعده انضمت بعض العشائر العربية المجاورة من
 بطون طي كالموالي ويطون من النمر ونغلب وأباد الى الدولة العثمانية
 ضد المماليك . ولما حاول هؤلاء تأديبهم انقض عليهم السلطان سليم
 العثماني سنة ٩٢٣ هـ وفتح سوريا التي كان متفقاً مع بعض أمرائها - كجانبزدي
 الغزالي وخيري بك - بسهولة . وقد انضمت لجيشه جموع من التركمان
 وبدؤ الجزيرة الفراتية وبادية الشام . ولما دخل دمشق عرض عليه عرب
 سوريا الوسطى وتركائها الطاعة ولما أتى أمراؤهم للسلام عليه في القصر
 الأبيض بدمشق أنابوا بالكلام عنهم أمير لبنان الأمير نجر الدين المعني
 الأول فسر منه ولقبه بسلطان البر . وأعطى الأمير عساف آل سيف
 أمير ترکان الساحل إمارة علي كسروان وجبيل ثم عين والياً على الساحل
 فيما بعد ، وكذلك جدّد لامراء حوران وعجلون إمارتهم . ثم سار الى
 الجنوب فخطّ رحاله على خان جالجولية فوفد عليه شيوخ البلدان الجبلية
 وهي صفد ، ونابلس ، والقدس ، والخليل التي صاروا في آخر عهد المماليك
 أصحاب السيطرة عليها فقدموا له مفاتيح قلاعها فأعادها اليهم وأعطى
 الراية لكبيرهم الأمير أحمد بن بكر شيخ عشيرة وائل احده بطون
 ربيعة طي وشيخ جبل نابلس .

وقد سُر السلطان سليم من معاودة عرب سوريا والتركمان فاعتز

(١) ومن ذرية هذا الأمير الاسرة المعروفة في نابلس بصوار وهي علي وشك الانقراض .

بهم وعدّهم عضد الدولة فأغدى عليهم العطايا والألقاب ، وولّاهم المراكز الكبيرة في سوريا وغيرها ليقضي بهم على نفوذ المماليك . فشكّل منهم في دمشق فرقة كبيرة سميت باليرلية أي الوطنيين أصبحت ذات الحول والطول حتى أواسط الحكم العثماني الاقطاعي ، وكان لها تأثير كبير في تخفيف وطأة الانكشارية ^(١) في العهد العثماني كله .

ولم يكنف السلطان ^(٢) بهذا بل أدخل بعض أمراء العرب والتركمان في جيشه وقد ذهبوا معه الى العاصمة فولّاهم مراكز طيبة في الرومي والأناضول ، ومن ذلك الحين أصبح العرب خصوصاً السوريون يحتلون مراكز كبرى في الدولة . ويمكن اعتبار الفتح العثماني بدء نشوء الفكرة العربية واستقرار العرب في سوريا بعد الاضطراب الدائم الذي دام نحو خمسة قرون كاد يقضى فيها على العنصر العربي .

هذا وإن على فهم حالة الحكم العثماني وما تتمتع فيه العرب من الحرية معوّل كبير فإنهم كانوا يؤثرون العرب على المماليك والانكشارية ، ففضى على الفريقين وقوى العنصر والنفوذ العربي قوة تامة .



(١) الانكشارية هم أطفال نصارى البلاد المفتوحة ، كانت الدولة العثمانية تأخذهم وتربّهم تربية إسلامية فيكون منهم لديها جيش دائم أصبح سوطاً على أوروبا ثم فسد فصار نقمة عليها . (٢) وكان السلطان يفكر بنقل عاصمة الدولة الى دمشق وجمع الشعوب الإسلامية حوله ففاجأته المنية قبل أن ينفذ فكرته ولو نفذها لصارت الدولة العثمانية دولة عربية أكثر منها تركية .

الفصل الثالث

نظام الحكم العثماني

التقسيمات الإدارية

كانت سورية في عهد المماليك تقسم الى أربع عشرة مقاطعة وهي : دمشق ،
والقدس ، وحمص ، وبلبيك ، ورحية ، وعجلون ، وصرخدا ، وماسيات ،
والرملة ، وناپلس ويعرف حاكمها بالكاشف ، ثم حلب ، وبيروت ، وصيدا ،
وتدمر ويعرف حاكمها بالنائب . فلما فتحها السلطان سليم قسمها الى ثمان
ايالات وهي : حلب ، ودمشق ، وحمص ، وحماء ، وطرابلس ، وصفد ،
والقدس ، وغزة ويعرف حاكمها بالوالي . وقسمت كل ايالة الى أولوية
يعرف حاكمها بالمتسلم . وبعد عصيان الغزالي قسمت الى ثلاث ايالات
وهي : ايالة حلب وتشمل حمص وحماء ، وايالة طرابلس وهي تشمل الساحل
كله من اللاذقية الى غزة ، وايالة الشام وهي تشمل جبل لبنان والبقاع
وحوران ، وعجلون ، وصفد ، وجبل نابلس ، وجبل القدس ، أي القسم
الداخلي جميعه .

الوظائف والرتب

كانت الدولة العثمانية دولة عسكرية فلم يكن فيها فرق كبير بين
الوظائف الإدارية والوظائف العسكرية . فكان رئيس الوزارة (الصدر
الأعظم أو الوزير الأعظم) هو القائد العام للجيش العثمانية ، وكان
يطلق عليه رتبة سر عسكر . وكان في كل ايالة أميران أحدهما إداري
يسمى الوالي والآخر عسكري يسمى قول كها أو كتنخدا وكانت رتبة

الاثنين مير ميران أي أمير الأمراء ولقب كل منهما باشا ، ويأتي بعدهما في الدرجة أمراء ثانويون وهم أمير السلاح (سلحدار) ، وأمير الباب (سكبان باشي) أو (سر بواين) ، وأمير اصطبل (مدير اصطبل عامر) ، وأمير المال (الدفتردار) أي الدفترتي . وكان في كل لواء أميران أحدهما إداري يسمى مير اللواء والأمير العسكري وهو الميرالاي ، وكان ينوب عن مير اللواء في اللواء أي السنجق موظف يسمى بالمتسلم أو القائمقام وقد ينوب عن الميرالاي ضابط يعرف بالزعيم كما سيأتي .

«اللقاب»

باشا - هو أكبر ألقاب الدولة العثمانية بعد السلطان ، ولهذا اللقب حادثة طريفة وهي أن السلطان عثمان مؤسس الدولة مات عن ولدين وهما الأمير علاء الدين وهو الأكبر وصاحب الحق بالملك بعده والأمير أورخان الأصغر إلا أن الأمير أورخان كان شجاعاً قديراً والأمير علاء الدين كان عادياً بسيطاً فننازل لأخيه الأمير أورخان عن الملك ، فصاروا يقولون عنه أخو السلطان الأكبر ، وهذا باللغة التركية هو «آغا بيك شاه» ثم حرفت إلى «آيه شا» ، ثم حرفت إلى باشا ، ولأنه كان وزيراً لأخيه فقد صار هذا اللقب للوزراء ثم الأمراء الكبار .

آغا - هو أكبر ألقاب الطورانيين على الإطلاق وهو كلقب سيد عند العرب ، فقد جاء في تاريخ - مختصر تاريخ مدنيت - «أن الطورانيين كانوا يلقبون رفيع القدر عندهم بأغا أو آقا» . وكان من ألقاب كبراء المغول في الهند والممالك بمصر ، فقد لقب به الأمير شاهين وزير الملك الصالح أهبوب . وكان يلقب به أمير

القصر عند ملوك (خانات) التتار في القريم . ثم استعملوه
للمحاسبين في المدن . وكان الأتراك العثمانيون يلقبون به قائد
الانكشارية الأكبر ، ولما استولوا على القريم قلدوا استعماله للمحاسبين
فلقبوا به المتسلمين والزعماء العسكريين ثم كثر ولقب به الأميون
والخدم فصار كلقب مولى عند العرب يلقب به السيد والمسود ،
وصار لقب الأمراء يلفظ بمدّه على الألف الأولى أي أغا وغيرهم
بدون مدّه .

بك - هي كلمة محرفة عن كلمة بيوك أي الكبير كان يلقب به أمراء
الكتائب فيقال للواحد منهم الاي بك أي كبير الكتيبة ، ثم
لقب به الزعماء وأبناء الباشاوات .

أفندي - معناه السيد والمولى كان يلقب به أمراء الأسرة المالكة والقاضي
والمفتي والموظفون الإداريون .

جوريجي - كان السلطان حينما يخرج للصيد أو الحرب يولي شؤونه
أربعة أمراء من كبار الضباط لكل منهم لقب خاص وهم :
شورباجي أي صاحب المطبخ ، صوباشي أي صاحب الماء ،
واشنجي أي صاحب السلاح ، ووكيل خرج أي وكيل
المهمات والذخائر . وكان الأول أهم هذه الألقاب لأنه يطلق
على ناظر المطبخ الذي يعهد إليه بحراسة مطبخ السلطان وطعامه
فلا يقدم طعام للسلطان ما لم يفحص من قبله ولذلك فالشوريجي
كان يختار من الأمراء الأذكياء الأمناء ، ولأهمية هذا
اللقب فقد عظم وأصبح لقباً تشريفياً يعطى لكل أمير هندي
شجاعة وأمانة وإخلاصاً فائقاً . وما كان يعطى إلا لمن يبلغون

درجة أمير كتيبة (ميرألاي) فما فوق . وقد ميز حاملو هذا اللقب على باقي الأمراء في الجيش ، فقد جاء في خطط الشام : « الشوريجية هم ضباط الجند الذين يقدم لهم الحساء في قدر خاص ، ورتبة الواحد منهم تعادل رتبة قائد بعرفنا . » وهذه الكلمة أصلها جورباجي فتنطق الجيم الأولى شيئاً ثم حرفت فنطقت جيماً وأصبحت كلها جوربجي .

بشه - هو لقب الضابط البسيط .

خواجه - أي المعلم يطلق على رؤساء المهن والحرف ومنهم رؤساء التجار .
خانم ، وخاتون - هما لقبان فارسيان تلقب بهما ربات الخدور .
سيد - بدلاً من سيد بتخفيف الياء يلقب به الوجهاء غير الأشراف ويلقب به الجند .

الست - بدلاً من سيدة كانت تلقب به السيدة التي ليست من أسرة شريفة أي ليست من سليل آل البيت رضي الله عنهم .

الفصل الرابع

الفوارق وعوامل الفتن

في سوريا

«ابو مناس»

الأكراد - كانوا يسكنون في الشمال ، ومنهم سكان حي الصالحية بدمشق وحي الأكراد في الخليل والسلط ، وهم من بقايا العهد الآبوني . وقد استفحل أمر أكراد حلب ودمشق

واقفوا مع المعنيين وأحدثوا تطوراً كبيراً في حوادث سوريا .
التركان - كانوا يسكنون الشمال الغربي والساحل الشمالي ، وبعد دخول
الأتراك العثمانيين نزلوا في دمشق واستوطن أمراؤهم الميدان
النحتاني وقد شكلوا كتائب اليرلية حتى أصبح منهم نحو
ربعمائة ، وصار أمراؤهم أمراء للركب الشامي بعد موت محمد
باشا فروخ حاكم نابلس . وقد اشتركوا في حملة عبد الله باشا
النمر الى جنوب سوريا وقد تعربوا وأصبحوا سنداً للعرب
السنيين في سوريا كلها .

الانكشارية - هم جند الدولة نزلوا في المراكز الكبيرة كحلب ودمشق
وحماه والقدس ونابلس وغيرها واقطعوا القرى والضباع ،
وكانوا في نزاع مستمر مع الجنود اليرلية أي الوطنيين الى
أواخر عهد الاقطاع .

الأخلاط - وكان يوجد بقايا أجناس كثيرة من سبق لهم احتلال
سوريا كالسلاجقة ، والتتار ، والمغول ، والصليبيين ، والمماليك
وهم منفردون في المدن الكبرى وبعض المدن الصغرى لا تربطهم
رابطة ، وقد تعربوا واتخذوا تدريجياً .

العرب - أصبحوا بدوهم وحضرهم الأكثرية الساحقة في سوريا كلها ،
وقد رسخ قدم أمراءهم في العهد العثماني فسادوا وعربوا جميع
السكان واستقلوا في كثير من المقاطعات ولم يبقوا للدولة فيها إلا
سيادة اسمية ، وقد استفادوا من حلفهم مع التركان فاعتزوا بهم
وعربوهم .

« المذاهب »

المسيحيون - لم يكن لهم شأن في هذا العهد لأن الحروب الصليبية تركتهم أقلية ضعيفة لا شأن لها ، فاقصر النزاع على الفرق والمذاهب الإسلامية الآتي ذكرها .

الجلاليون - هم أكراد أثرت فيهم دعايات الشيعة الأعاجم في العراق وإيران ، فاصطدموا بالسنيين وظلوا في نضال معهم الى أن ضعفوا واضمحلوا .

الدروز - هم حزب سياسي أسسه الخليفة الفاطمي الحاكم بأمره ، وقد حملهم الضغط فيما بعد على التستر فدست عليهم معتقدات باطلة خالفوا فيها الجماعة . وقد حاربوا العرب السنيين أمداً طويلاً ، وهم منتشرون في جيلي لبنان وحموران .

النصيرية - هم من الشيعة المغالين يسكنون الجبال الممتدة وراء اللاذقية وطرابلس الشام .

المنالوة - هم الشيعة الاثنا عشرية يسكنون جبل عامل وراء ساحل صيدا وفي جهات بعلبك والبقاع .

السنينيون - هم الأكثرية الساحقة في سوريا وقد اعتزوا بالتركان والعرب الداخلين بعد الفتح العثماني وأصبحوا عصبية الدولة العثمانية في سوريا . وكانت جمهورتهم في المدن الكبيرة وفي سوريا الجنوبية .

أسرة الدولة الكبرى

آل جانبولاد - هم أمراء الأكراد الجلاليون كانوا سبباً لكثير من الثورات والفتن .

آل سيفاء - هم امراء تركمان الساحل القدماء أصبحوا ولاية الساحل وجعلوا
طرابلس الشام مركز إمارتهم وصار منهم ولاية على دمشق .
وصاروا يتدخلون بشؤون سوريا كلها وقد أضعفهم النضال الطويل
مع امراء لبنان فظفر^(١) بعدهم آل شهوار وآل حسن باشا من
امراء التركمان بدمشق . وقد كان لأمراء التركمان جميعاً فضل
كبير في إيقاف المتآمرين على السنيين عند حدهم وقد تعربوا
واندمجوا مع العرب .

المهاينيون - هم أمراء قبيلة النمر نزلوا في مهابين من بادية حماه في
الحروب الصليبية ولما دخلوا دمشق في الفتح العثماني عرفوا
بالمهاينية ولا يزالون . وقد أصبحوا امراء العرب السنيين في
سوريا ونفرت منهم أسر امارة عديدة سيأتي الكلام عنها
وقد امتد نفوذهم من بادية حماه فدمشق وحمص وجبل نابلس
الى صحارى الحجاز .

المعنبون - هم من سلالة معن الايوبي الكردي حكموا مقاطعة الشوف في
لبنان بعد الحروب الصليبية ثم امتد حكمهم على لبنان كله
ودان لهم الدروز الذين تذهبوا بمذهبهم وكانوا قلب المؤامرة
على السنيين كما سيأتي .

آل طرباي - هم امراء جبل نابلس الذين اشتهروا بالامراء الحارثيين وهم
من ربيعة طي انفقوا مع المهاينيين وآل سيفاء فوقفوا موقفاً
مجيداً إلى ان ضعفوا كما سبتيين .

(١) وهم يعرفون اليوم في سوريا ببني المقدم .

الفقاريون^(١) - هم من حزب الماليك الفقاريين صاروا حكماً لغزه ثم امراء
للكيين المصريين والشامي وصار منهم حكام على جبل
نابلس وروثاء اجناد وولاة وقد مثلوا دوراً خطيراً في
حوادث سوريا وهم يقسمون الى آل رضوان ، وآل بهرام ،
وآل كيوان ، وآل فروخ وباتقراضهم في اواسط القرن
الحادي عشر الهجري خلت سوريا الجنوبية من الحكم
وسادتها الفوضى فنزل الإمامية المهابينيون من بني النمر
بجملتهم فيها كما سيأتي .

الفصل الخامس

الفتن والثورات

عصيان جانبردي الغزالي

كان الامير جانبردي الغزالي وخيري بك من كبار رؤساء الماليك
اتفقا مع السلطان سليم العثماني آملين التخلص من سلطانتهما في مصر ثم
الاستقلال بالملك فيما بعد ومكافأة لجانبردي عينه السلطان سليم والياً على
ايالة الشام فأظهر اخلاصاً متناهياً إلا أنه لم يكذب يبلغه خبر وفاة السلطان سليم
حتى أعلن عصيانه واستقل في سوريا كلها سنة ٩٢٦ هـ فأرسل السلطان
سليمان السلطان الجديد جيشاً كبيراً بقيادة الصدر الأعظم فرهاد باشا
قتل الغزالي واسترد سوريا وجدد تقسيمها الإداري كما مر .

(١) راجع مبحث أحوال مصر في الفصل الأول من الباب الرابع .

الثورة على ايلاس

عين ايلاس باشا والياً على ايلالة الشام سنة ٩٢٧ هـ فتحرش بجبل نابلس فثار عليه بقيادة امرائه آل طرباي فخرج اليهم ايلاس باشا بعساكر الشام وعربانها فقلب وجرح وفر هو وجيشه الى دمشق . واستمرت البلاد نائرة باقي القرن العاشر إلى أن اضطرت الدولة الى تولية حكم الولايات الى امرء من العرب والتركمان من الأسر المار ذكرها فهذا العرب السنيون وثار غيرهم .

حكم ابن فريخ ونتاجه

اقرض أبناء الخنش حكام البقاع العزيزي تخلفهم في الحكم ابن فريخ البدوي الذي ربي بينهم وتدرّب على الحكم في عهدهم وقد تمرد عليه أهل منطقته فأديهم فظهر أمره وعظمت سطوته اذ انه قطع دابر الأشقياء ونسلط على المناولة في بعلبك والبقاع وأديهم فسرت منه الدولة وضمت إليها مقاطعات اخرى منها لواء عجلون الذي ولى حكمه لصاحبه الوالي ولواء صفد الذي حكمه بنفسه بعد أن ولى حكم لواء البقاع لحاكم من قبله ولواء نابلس الذي ولى حكمه لولده قرقاز الظالم فاستفحل أمره وصار أميراً للركب الشامي سنة ٩٩٨ هـ والتي بعدها وامتد نفوذه من جبال النصيرية الى جبال القدس وأصبح الولاية يعولون عليه في سوريا لاسيما ولاية الشام .

ولما مر ابراهيم باشا أحد ولاية مصر عن لبنان ومعه أموال مصر يريد تسليمها لخزينة الدولة في العاصمة سطا عليها لصوص لبنان فتعهد ابن فريخ بتأديب اللبنانيين فسطا على لبنان واضطهد أهله حتى اضطر أميره

الأمير قرقماز ابن الأمير نخر الدين المعنى المار الذكر إلى الاختفاء في مغارة ما زال محتفياً فيها إلى أن مات .

واشتدت بعد ذلك وطأة ابن فريخ وصاحبه وولده وحكامه على الدروز والروافض والمتاوله فخصت مؤامرة واسعة اشترك فيها كيوان باشا الفقاري^(١) أحد رؤساء أجناد الشام الناقمين على أهل البلاد والدولة ولما تولى ولاية الشام مراد باشا رشاه المتآمرون بواسطة كيوان باشا فاقبل ضد ابن فريخ وهاجمه هو والمتآمرون فقتلوه وولده قرقماز سنة ١٠٠١ هـ .

ظهور الأمير فخر الدين الكبير

مات الأمير قرقماز المعنى عن ولدين وهما الأمير يونس والأمير نخر الدين فلجأت بهما أمهما إلى كيوان باشا المار الذكر فرعاهما وحماهما إلى أن كبرا فاسترد الإمارة للأمير نخر الدين الذي لقب فيما بعد بالكبير وأصبح قطب رحي المؤامرة ، ولما اقبل مراد باشا ضد ابن فريخ تعقبه الأمير فخر الدين هو والأمير موسى بن الحرفوش شيخ الروافض فقتلاه وولده فخلا الجو لهما .

وبعد قتل ابن فريخ تفرغ الأمير فخر الدين لشؤون لبنان فنظمه وشكل فيه جيشاً بنظام السكبان^(٢) ثم اتفق مع دولة «تسكانا الايتالية» وعقد معها معاهدة تجارية واستولى على قسم من مقاطعة آل سيفا وانفق مع آل جانبولاد امراء أكراد حلب وامتد نفوذه إلى حوران وعجلون وكوّن مؤامرة كبرى .

(١) هو أحد ماليك الأمير رضوان الفقاري حاكم غزة دخل جند الشام فأصبح من كبار رؤسائه . (٢) السكبان هو نظام كلاب الصيد لأن سك معناها كلب وبان معناها النظام في اللغة الفارسية ، وكان أول من طبق هذا النظام الشيخ عبد الحلیم اليازجي شيخ الجلاليين في الاناضول فاقبسه آل جانبولاد في حلب والمعنويون في لبنان .

المؤامرة الكبرى

كان المعنيون يدعون انهم أيوبيون أكراد وبناء على هذا الادعاء اتفق الامير فخر الدين الكبير مع آل جانبولاد الاكراد ثم انضم اليهم الامير موسى بن الحرفوش شيخ الروافض وانضم اليهم ايضاً المتأولة في جبل عامل والدروز في حوران . وكان يساعدكم كيوان باشا بيث روح التمرد بين الانكشارية في حلب ودمشق وحمص وحماه ويمهد لهم السبيل لرشوة ولاية الشام فتمكن المتآمرون من الاستعداد في كل جهة من حلب الى صفد ومن اللاذقية الى عكا . ولم تنتبه الدولة للأمر إلا بعد اتساع الخطب .

اتفاق امراء سوريا السنيين

اتصلت أسر الامارة السنية ببعضها فاتفق امراء النمر المهايونيون وآل سيفا امراء تركمان الساحل وآل طرباي امراء جبل نابلس والامير محمد فروخ حاكم نابلس والتف حولهم السنيون في سوريا كلها . وكان إذ ذاك نصوح باشا النمر واليا على حلب ويوسف باشا سيفا واليا على الشام فكشفا عن المؤامرة .

الفتنة في حلب

في سنة ١٠٠٢ هـ كان نصوح باشا النمر واليا على ايالة حلب وحسين باشا جانبولاد اميرا على عساكرها . وكان الانكشارية قد استفحل أمرهم في ايالة حلب وطلب حسين باشا إخراجهم فكتب نصوح للسلطان فوافق وتعاون نصوح باشا وحسين باشا على إخراجهم . وبعد أن تم إخراجهم هاجم حسين باشا ساقية جيش نصوح باشا ليشغله عن دخول حلب ولكن نصوح باشا لم يخف عليه المكيدة فأسرع بالدخول الى حلب ولبس جلد النمر ثم تحصن في حلب وصار يستنجد

بقييلته وعرب البادية ويتوعد حسين باشا فأتسع الحرق . ولما بلغ السلطان الخبر نقل نصوح باشا لمحاربة الجلالين في الاناضول إلا أن نصوح باشا ظل عاصياً الى أن أرسل له السلطان القاضي الشيخ محمد شريف ليتوسط بينه وبين حسين باشا فأذعن نصوح باشا وخرج بجيشه البالغ أربعة آلاف جندي بموسيقاهم في وقت الضحى دون أن يتجاسر ابن جانبولاد على التعرض إليه وانضم الى جيش الصدر الاعظم في الاناضول .

عصيان آل جانبولاد

بعد خروج نصوح باشا من حلب طلب الصدر الاعظم سنان باشا من حسين باشا جانبولاد اللحاق به فأظهر التردد وخرج الى جهات سيواس يتفق مع الانصار للعصيان فأدركه الصدر الاعظم هناك وقتله . وحلما بلغ خبر قتله ابن أخيه علي باشا أعلن العصيان في حلب وامتنجد بالفجر الجلالين فأنجده محمد الجلالى بأربعة آلاف من الفجر الجلالين وصار يغير بهم على سوريا . فتعهد يوسف باشا سيفا والى الشام باخضاع آل جانبولاد فظاهروهم المأمرين في كل مكان ودخلت المسألة في دور خطير .

انهزام السفيين

لما خرج يوسف باشا سيفا بجيشه من دمشق متجهاً نحو حلب ثار الروافض والمعنون وقاومه الانكشارية في حمص وحماه فكسر ولجأ الى طرابلس ولما تبعه الامير فخر الدين المعنى هرب عن طريق البحر ولجأ الى الامير أحمد بن طرباي أمير جبل نابلس . فخرج اليه الامير فخر الدين المعنى بجيشه السكبان الى جبل نابلس فقاومه الامير أحمد بن طرباي والامير محمد بن فروخ وكادا يقضيان عليه عند نهر العوجا فاضطر ان

يرجع الى لبنان وكان حسن باشا المهابيني دفترى دمشق قد فتك بالانكشارية في دمشق فتمكن يوسف باشا من الرجوع اليها .
ولما بلغ المتآمرون خبر رجوعه حاصروا دمشق واضطروه الى مغادرتها فلجأ ثانية الى جبل نابلس فتبعه الامير فخر الدين المعني واستولى على قلعة جينين فحاصره طربايي فيها ولم ينج إلا بصعوبة . وقد نزل يوسف باشا وأقاربه من آل سيفا في قرية برقه وظل هناك إلى أن جاء الصدر الاعظم بالذات . وقد قام بالدفاع عن امارته في الساحل ابن عمه علي باشا سيفا فوقع النزاع بينهما فيما بعد .

القضاء على آل جانبولاد

لما استفحل أمر العصيان في سوريا وكشفت المواقرة للدولة العثمانية أرسلت جيشاً بقيادة الصدر الاعظم مراد باشا فقصى على علي باشا جانبولاد^(١) وأتباعه ثم سار الى حمص وحماه فأخضع الانكشارية ولما وصل الى الشام وأراد إخضاع لبنان رشاه كيوان باشا فتشاغل بالبدو وقتل اميرهم الامير حسين الحيارى فهاجموه ونهبوا ساقية جيشه وأهانوه فمض وأرسل يطلب مساعداً من السلطان الذي أدرك الحاجة لارسال وزير عربي يخضع المتمردين ويعالج العصيان معالجة محلية فعين نصوح باشا النمر قائماً للصدارة . وبعد وصوله بمدة قصيرة مات مراد باشا فعين نصوح باشا مكانه .

الصدر الاعظم نصوح باشا

كان من امراء العرب الذين ضمهم السلطان سليم لجيشه أحد امراء بني النمر الذي عين أميراً عسكرياً في كوملجنة ثم في درامه من بلاد

(١) ولجأ باقي آل جانبولاد الى المنيين في جبل لبنان فمرفوا بجنبلات .

الرومي وقد عاش وتزوج هناك فولد له ولد سماه نصوحاً ورباه تربية
عثمانية عالية فدخل وظائف الحكومة وصار أميراً للقصر الملكي وبذلك
تعرف على الاسرة المالكة ثم عين والياً على ظلمه في الرومي ولما استمر
العصيان في سوريا عين والياً على ايلة الشام ثم على ايلة حلب فحصل ما
حصل بينه وبين حسين باشا ثم ذهب لمحاربة الجلايين في الاناضول وبعد
النقضاء عليهم أرسل لمحاربة الشيعة في العراق ومحاربة دولة العجم فوفق
ودخل مع دولة العجم في مفاوضات للصلح وفي هذه الأثناء طلب الى
سوريا فعهد للشيخ خضر المارديني بعقد الصلح مع دولة العجم فأنه في
سنة ١٠١٥ هـ .

وكان نصوح باشا حينما عين والياً على دمشق اتصل بأقاربه ونظم
دروس العلم وأصلح حالة العرب وبني قصراً فخماً قرب السراية^(٢) القديمة
وقرب أولي الشأن من العرب وحض على الاهتمام بالعلم ونظم الأوقاف
وحافظ عليها وكان شديداً صارماً فهابه الجميع وأحبوه . ولما عاد لمساعدة
مراد باشا ثم عين للصدارة مكانه جعل مركزه حلب فتوافد عليه العلماء
والامراء والوجهاء من جميع أنحاء سوريا يخبرونه بما أصابهم وما وصلت
اليه حالتهم فأعاد دروس العلم وتنظيم الاوقاف وصار يجمع الجموع ويرتب
الخطط . ثم وجد نفسه بحاجة إلى نجدة فاستنجد من السلطان ، فأمدّه
ببنيادات من البر والبحر حتى بلغ عدد جيشه ثلاثمائة الف محارب في
البر وستين قطعة حرية في البحر وانضم اليه ولاية الايلات المجاورة في
بلاد الاكراد والاناضول .

(٢) ثم استولى عليها علي بك بن حسن باشا المهابني النمر دفترى دمشق .

الفرار على المتأربين والسكبان

كان أول ما عمله نصوح باشا أن تقام مع البدو فوجه الامير دندن آل جبار الجباري على العجر أتباع محمد الجلاي فطاردهم وأفانهم . ووجه الامير هاني^(١) المهاني من عمومته على حوران وعجلون بجموع من العرب فأخضعها . ووجه الامير قائد بك^(٢) الصواف المهاني على البقاع وعلبك لمحاربة الروافض والمتاول . ووجه أحمد باشا الحافظ بماية الف جندي على لبنان فمزق جيش السكبان وهرب الامير فخر الدين المعني في البحر ولجأ الى حكومة نسلانا .

ثم عهد لأحمد باشا باخضاع لبنان وبقي حركة التمرد والعصيان وعاد هو الى العاصمة ليقوم باعباء الوزارة العظمى .

مصرع نصوح باشا

استقبل السلطان أحمد الاول نصوح باشا بالترحاب وأظهر سروره به فزوجه ابنته . وقد تفرغ نصوح باشا لإصلاح أحوال الدولة الفاسدة وكان حاقداً على الانكشارية فأخذ يعمل لإصلاحها . وصار يبحث عن دسائس الاجانب في الدولة العثمانية فأوغر خصومه صدر السلطان عليه فتخوف منه وقتله يوم الجمعة الموافق للثاني عشر من رمضان سنة ١٠٣٣ هـ . والراجح أن نصوح باشا أول وأكبر وزير^(٣) عربي وزير لآل عثمان

(١) وعرفت ذريته فيما بعد ببني هاني وهم اليوم عشيرة كبيرة تسكن كقربوبه في جبل عجلون والبارحة في حوران . وقد ظلوا هناك أصحاب السيادة والنفوذ الى أن هاجمهم ظاهر العمر الآتي ذكره فظهرت بعد ذلك عشيرتنا الشريفة والفريجات فنازعتهم الشيخة (٢) وقد أنجب ولده الامير عبدالله الحزب اليمني في لبنان وقاده وظل في حرب مع حزب القيس في لبنان الى أن قتل في معركة رأس بيروت سنة ١٠٧٦ هـ (٣) وقد لقبه بعض المؤرخين بالرومي لنشأته في بلاد الروم وظنوا انه تركي والحقيقة انه عربي مستترك لقبه

وقد كان شديداً غيوراً على العلم والسنة مبغضاً للانكشارية والدسائس
تزيهاً عفيفاً بعيد النظر . وقد ظهر صواب رأيه اذ ان الدسائس عادت
تفعل فعلها وعاد العصيان في سوريا أسوأ مما كان .

استعمال أمر المعنى

خلف نصوح باشا في الصدارة العظمى محمد باشا الخازندار وكان
مرتبشياً من حكومة تسكانا فأصدر عفواً عن جميع العصاة . فعاد الامير
نخر الدين الى لبنان واسترد إمارته وأظهر الخضوع . فصالح آل سيف
ونظم أحوال لبنان وصار يرسل ما عليه سنوياً الى السلطان مظهراً
الإخلاص والولاء وقد أغرته ولاية الشام بهداياه فضموا إليه ألوية
عجلون ، وصفد ، والبقاع ، ونابلس فأظهر إخلاصاً زائداً سر منه السلطان
مراد الرابع فضم اليه قلاعاً كثيرة ولواء بعلبك ثم ولاية الساحل التي
جعل مركزها صيدا بدلاً من طرابلس (ففضى على نفوذ آل سيف)
وقد لقب بسلطان البر كجده الامير نخر الدين الأول .

آخرة بنى معنى

بعد أن بلغ الامير معنى هذا الحد عاد الى التمرد . فأعاد صلته
بم حكومة تسكانا وفتح الموانئ لتجارها وأعاد جيش السكبان الذي
بلغه مائة الف من شعوب شتى . ثم حصن القلاع ووسع نفوذه الى
حد كبير ولم يمد يكثرث بولاية الشام . ولما هاجمه أحدهم مصطفى باشا
الحناق غلبه وأسره ولم يطلقه إلا برجاء وفد من علماء دمشق . وقد

- أقاربه بالرومي كمادة العرب وقد لقب قبل ذلك سيدنا صهيب النمر الصحابي المشهور
فاشتهر بصهيب الرومي رضي الله عنه .

تحرش بكبوان باشا فقتله بيده وأعلن العصيان وقطع ما يطلب منه للسلطان .

ولما علم السلطان مراد الرابع بعصيان الامير نخر الدين المعني أسقط في يده فأرسل جيشاً كبيراً عليه بقيادة وزيره كوجوك أحمد باشا وكانت سوريا كلها تغلي بالحقد والغيط وقد انقلب الانكشارية ضد المعنيين لقتلهم كبوان باشا فانضموا لجيش أحمد باشا هم وأمرأه وأهالي البلاد من كل صوب ودارت الدائرة على جيش السكبان فكسر وقتل الامير علي ابن الامير نخر الدين ، وأمر الامير نخر الدين وولده الاميران مسعود وحسين وأرسلوا إلى العاصمة . فقتل الامير نخر الدين وولده الامير حسين سنة ١٠٤٣ هـ وأبقى على حياة الأمير مسعود لصغر سنه فربي في العاصمة ولم يرجع إلى لبنان . ثم تناوب اماره لبنان امرأه ضعفاء من المعنيين آخرهم الامير أحمد الذي مات سنة ١١١٨ هـ وبموته انقرض المعنيون وانتقلت الامارة لأصهارهم الأمراء الشهابيين .

الاضطراب والخراب في الجنوب

بعد القضاء على الامير نخر الدين المعني انتهت الدولة للجنوب ولطريق الحج التي تعطلت وتخربت بسببه فأرسلت حملة بقيادة عبدالله باشا النمر الذي أوجد هو وأولاده وأحفاده اماره مستقرة ظلوا عمادها إلى آخر عهد الإقطاع . وبهم يبدأ تاريخ جبل نابلس المستقر والامارة الكبرى كما سيتبين من الأبواب الآتية .



الباب الثاني

بدا بروز شخصية جبل نابلس

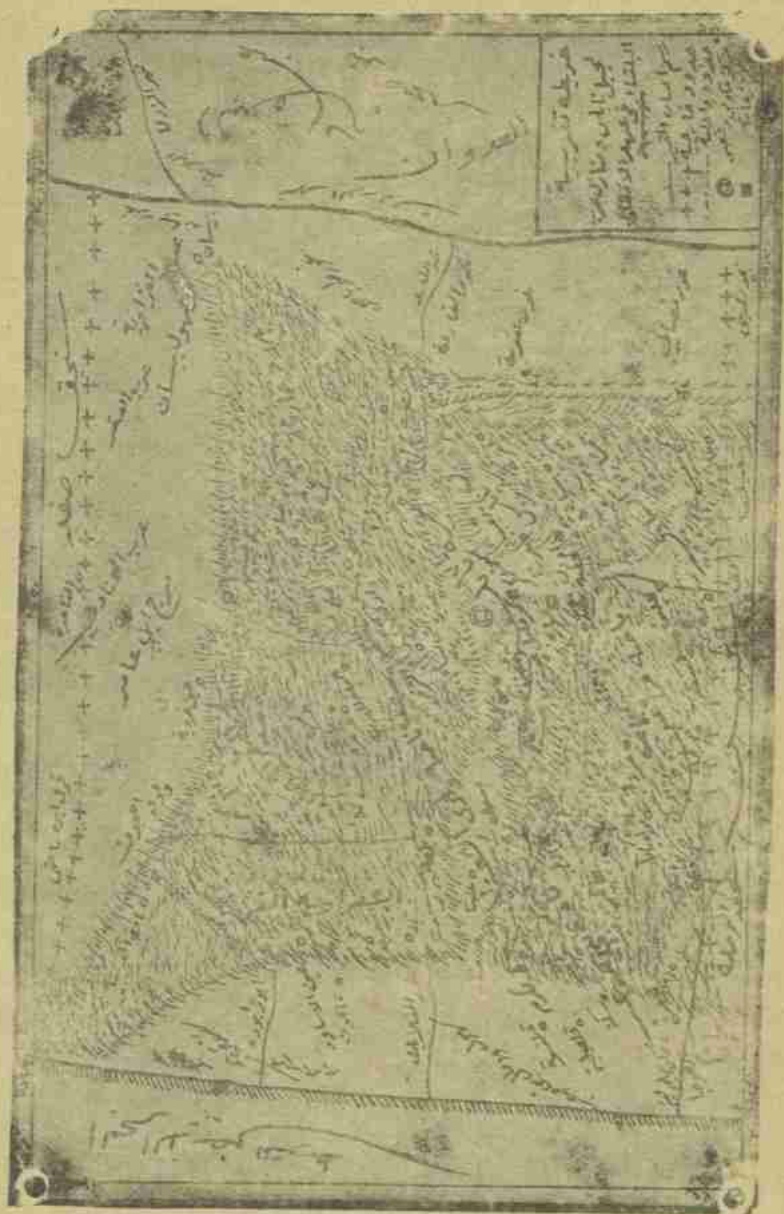
الفصل الاول

جغرافية جبل نابلس

موقع ومصادره

يقع جبل نابلس بين الدرجتين ٣٢ و ٣٣ شمال خط الاستواء وهو قلب سروريا الجنوبية يحده غرباً البحر الأبيض المتوسط من نهر العوجا إلى قرايا ابن ماضي^(١) أي قضاء حيفا جوار قبساريه . ومن الشمال قضاء حيفا إلى قفزة الناصرة وآخر حدود سهول ييسان الشمالية ومن الجنوب نهر العوجا (ووراء قضاء يافا والرملة) إلى طف^(٢) سلفيت حيث تبدأ جبال القدس ثم يمر بحدود مزارع النوباني مشرقاً إلى الغور حيث تنتهي حدود أريحا . أما الحدود الشرقية فتارة نهر الاردن وتارة أخرى تجتاز الأردن إلى ما وراء حدود مقاطعة عمان شاملة البلقاء جنوباً إلى الكرك وشاملة عجلون شمالاً إلى حوران . وبحسب الحد الأول أي يجعل نهر الاردن الحد الشرقي يكون جبل نابلس مقاطعة مربعة المساحة يقطعها الماشي من الشمال أي من قفزة الناصرة إلى طف سلفيت . ومن الغرب من ميناء

(١) آل ماضي هم شيوخ قضاء حيفا ومركزهم اجزم ويقابلهم آل شلي شيوخ قضاء عكا ومركزهم شفا عمرو (٢) هي مقارة تشبه غصون الزيتون أنتج نحو جبال القدس فتعتبر آخر حدود نابلس من الجهة الجنوبية لأن سلفيت تعتبر آخر الحدود .



أبي زابورة الى نهر الاردن في مدة خمس عشرة ساعة وتقطعها السيارة بنحو ثلاث ساعات .

وتقع الكتلة الجبلية في القسم الاوسط متصلة بجبال القدس تمتد غربها سهول بني صعب (سارونه) وشمالها مرج ابن عامر وسهول بيسان وتنحدر شرقاً الى الأغوار التي تستمر بانحدار الى نهر الاردن . وتدخل المنطقة الجبلية سهول صغيرة منها : سهل عسكر ، وسهل رامين ، وسهل جبع ، وسهل صانور ، وأودية صعبة المسالك منها : وادي البادان والفارعة ، ووادي نابلس ، ووادي دعوق ، ووادي عزون ، ووادي قانة . وتدخل السهول بعض المستنقعات التي تسمى البصاص^(١) لاسيما في سهول سارونه وأحياناً في مرج ابن عامر وسهل صانور .

وهذا التكوين الطبيعي لجبل نابلس جعله محصناً تحصيناً طبيعياً بحيث يرى العدو في السهول الغربية والشمالية ولا يتمكن من اجتياز الأودية بعد ذلك إلا بمشقة كبيرة كما سيظهر من الحوادث الآتية وكذلك من الجهة الشرقية يصادف الأغوار الصعبة المسالك ومن الجنوب جبال القدس الوعرة وبذلك يصبح الوصول إلى مدينة نابلس صعباً . وقد أقيمت على رؤوس الجبال أبراج للمراقبة سميت باسم حارسها وهي تعتبر مقامات أولياء والواقع أنها مراقب في الحروب الصليبية كانت تشير إلى بعضها بمشاعل النار فيقتل الخبث بسرعة ويستعد الجميع للخطر المدهم . فيلاقي العدو مقاومة أينما اتجه .

طبيعته وصحاره

بالرغم عن أن جبل نابلس في المنطقة المعتدلة إلا أنه يقسم من

(١) جمع بصة أي مستنقع الماء .

حيث المناخ والخصب إلى أربع مناطق وهي : منطقة الغور (حفرة الانهدام) التي تشد فيها درجة الحرارة إلى أن تساوي في جنوبه درجة حرارة المنطقة الاستوائية في بعض الأحيان . وتنمو في هذه المنطقة مزروعات المنطقة الحارة كالنخيل والأرز والتين والموز والنيلة . والمنطقة الثانية منطقة السهول الساحلية الرملية التي تنمو فيها مزروعات حوض البحر الأبيض المتوسط التي منها المزروعات الحمضية كالبرتقال والليمون ، والفواكه كالخوخ والدراق والجوز والعنب والتين واللوز ، والفواكه الحضرية كالبطيخ والخيار والقرع وغيره وهي ذات حرارة عالية في الصيف . والمنطقة الثالثة منطقة السهول الداخلية ، وهي معتدلة المناخ ، تزرع فيها الحبوب والقطاني على اختلافها كالقمح والشعير وال فول والعدس . والمنطقة الرابعة المنطقة الجبلية وهي تعتبر باردة بالنسبة لمنطقة الغور والسهول الساحلية وتنمو في هذه المنطقة على سفوح الجبال والأودية مزروعات وأشجار المنطقة المعتدلة ومنطقة حوض البحر الأبيض المتوسط كالزيتون والتين والتوت واللوز والدراق والجوز والكرمة ومن المزروعات القمح والشعير والفول والعدس والحمص . وتزرع في الأودية التي تروى مياه الينابيع الحضار على اختلافها كاليندورة ، والباذنجان ، والقرنيط ، واللفت ، والفجل ، والجزر ، والفاصولية ، والباميا وغيرها .

ولتعدد المناخ في جبل نابلس ومجاورته للبحر الأبيض من الغرب وحفرة الانهدام من الشرق يظل هوائه متنقلاً ، فيمر نسيم البحر من الغرب إلى الشرق وبالعكس ذلك نسيم البر إلى البحر بلا انقطاع وقاما تزيد درجة الحرارة في الجبل في ظل الصيف على ثمان وعشرين درجة

مشوية كما أن درجة البرودة في الجبل قلما تنزل تحت الصفر فيندر سقوط الثلوج .

وجبل نابلس صحي لا سيما المنطقة الجبلية منه التي تندر فيها اصابات البرداء^(١) وعلى العكس تكثر في الجهات المجاورة للمستقعات في بعض السهول والأغوار وبعض الأودية . وقد أخذت تتناقص بنسبة التجفيف وال عمران .

ويكون جبل نابلس بسهوله وأوديته وجباله مناظر من أجل مناظر الدنيا لا سيما في الجهة الشمالية والغربية ومناظر كنارات (انحدارات) الغور البديعة .

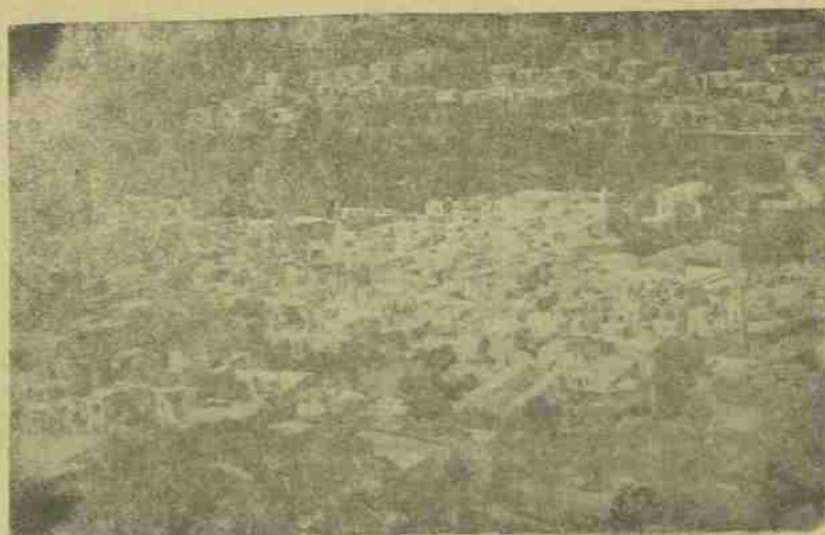
وجبال نابلس متوسطة الارتفاع فإن قمة جبل عيال المطلّة على مدينة نابلس لا يزيد ارتفاعها عن سطح البحر على الف وأربعماية ذراع نابلسي^(٢) تجاري وهي أعلى قمة في جبال نابلس وتقابلها قمة جرزيم (الطور) التي تقل عنها بمائة وخمسين ذراعاً نابلسياً . وينحط غور نابلس عن سطح البحر بنحو أربعماية ذراع نابلسي فيمكن أن توجد في أغوار نابلس المشاتي الصحية الدافئة كما يمكن أن توجد في جباله المصايف المعتدلة الجميلة .

وجبل نابلس من أخصب بقاع الدنيا إذ لا توجد فيه بقعة غير قابلة للزراعة أو خالية من المياه وهو قابل لزراعة كثير من الاشجار والمزروعات المثمرة المعروفة في العالم المتمدن ففيه تزرع مزروعات وأشجار حوض البحر الأبيض المتوسط والمنطقتين الحارة والمعتدلة كما مر . وقد صار جبل نابلس جنة يانعة في عصره الذهبي في القرن الثاني عشر الهجري

(١) البرداء اسم عربي للحصى التي تسمى اليوم عند الغربيين بالملاريا (٢) راجع

بحث المكاييل في فصل التعامل من باب التجارة في الجزء الثاني .

إذ كانت منتوجاته التجارية من القطن والزبلة والصابون تصدر إلى
جهات بعيدة فتعود عليه بالثروة الطائلة ولما كانت مزدهراً^(١) بالسكان
والأمن فيه شاملاً عمرت أراضيه كلها



منظر عام لمدينة نابلس الحاضرة وقد ظهرت فيها المدينة القديمة ومباني عيبال
وبينهما حفرة إساتين نابلس التي تعرف عند الأجانب بالنهر الأخضر

مدينة نابلس

كانت شكيم المدينة الاسرائيلية مبنية في بطن جرزيم لجهة الغرب
أي في الجهة الجنوبية الغربية من بقعة المدينة الحاضرة . ثم هدمها الرومان
وبنوها^(٢) باسم (نيوبلس) التي حرفت إلى نابلس تحت قبة جرزيم الشرقية
في الجهة المعروفة اليوم بخلة العامود أي في الجهة الجنوبية الشرقية من
بقعة المدينة الحاضرة . وامتدت مباني نابلس إلى باب الوادي من الشرق
حتى قرية بلاطه . وامتدت غرباً إلى الجهة المعروفة بكشيككة^(٣) ثم أعاد

(١) راجع الجزء الثاني (٢) بأمر فسياسيانوس سنة ٦٦ م (٣) هي الحجرة
الجنوبية القديمة .

السامريون بناء كنيسهم ودورهم في المدينة القديمة فانصلت بالمدينة الجديدة على جانب الوادي الجنوبي جميعه من الشرق إلى الغرب .
ولما حكمها المسلمون بنوا جامعاً في بطن الوادي في الجهة المعروفة بوكالة خان النجار اليوم وامتدت المباني الاسلامية شرق وغرب هذا الجامع فأصبحت تقابل الأحياء القديمة بطول الوادي . فكان السامريون والنصارى في الجهة الجنوبية والمسلمون في الجهة الشمالية . وفي الحروب الصليبية هدمت المدينة الرومانية الشرقية ثم الحى الاسلامي وهاجر السامريون^(١) وهدمت أماكن النصارى فقلصت المدينة الى الزاوية الجنوبية الغربية ، ولما عاد المسلمون نزلوا بهذا القسم وأهملوا باقيها واستعملوا الانقاض لمبانيهم . ولما نزلت حملة بني النمر عمروا حياً في الجهة الشرقية من الحى الاسلامي القديم فامتدت المدينة للشرق والشمال وأحيطت بسور وبوابات جديدة ظلت ضمنها حتى نهاية عهد الإقطاع ودور الانتقال ثم انتشرت لاسيما بعد الزلزال الكبير الاخير^(٢) انتشاراً لم يسبق فقد امتدت على سفوح عيال من الشرق الى الغرب بصورة جميلة أكتسبت الوادي جمالاً رائعاً وكان الشيخ عبد الغني النابلسي نظر بعين المستقبل حين قال :

جبالها جلالها فقدت شمساً تعلو سبيراً وقاماً

فمدينة نابلس قديمها وحديثها تقع في أول الوادي بين فتي جرزيم وعيال وترتفع عن سطح البحر ثمانمائة ذراع نابلسي وترتفع فوقها قمة عيال ستمائة ذراع وقمة جرزيم اربعمائة وخمسين ذراعاً . وبما أن الجبلين

(١) راجع الفصل عن السامريين في باب الدين من الجزء الثاني (٢) راجع الجزء الثالث

ينبطحان بعد ثلثي الارتفاع فان القمم العليا تختفي وتظهر القمم الوسطى على ارتفاع يتراوح بين مائتين وخمسين الى اربعمائة ذراع فيظهر الجبل كالتل المرتفع . وبين قدم الجبل والقمة الوسطى في جبل عيبال تكسو السفوح المدرجة شجرة الصبير الدائمة الاخضرار وتقابلها في جرزيم السفوح المكسوة بأشجار اللوز والتين والزيتون وبذلك يصبح منظر الجبلين من أروع وأجل المناظر الطبيعية التي شهد بها كل من زار مدينة نابلس .

ويضيّق الوادي في شرقه وتقارب صخور القمم الوسطى بحيث تصبح المسافة بينهما نحو ثلاثمائة ذراع تقريباً وتكون بذلك مدخلاً للوادي يشبه الباب وراءه من الشرق سهل عسكر والقرى المحيطة به والتي تبعد عن بعضها نحو عشرة آلاف ذراع أي نحو خمسة أميال هي اتساع السهل في بعض جهاته ووراء باب الوادي من الغرب بقعة مدينة نابلس التي تسير بين سلسلتي عيبال وجرزيم فتتفرج بينها مساحات متوسطة الاتساع تسمى الخلاليل^(١) . وتسير غرباً بارتفاع واتساع إلى أن تلتاق في الجهة الغربية وخارج البقعة مع قم السلسلة مكونة بينها فسحة جميلة يبلغ اتساعها بضعة أميال بين قرأتي زواتا ورفيديا .

ومن منتصف بقعة وادي مدينة نابلس تبدأ حفرة محدودة الاتساع تحيط بها طريقان رئيسيتان إحاطة تامة فتبدأ على محاذاة منتصف المدينة القديمة وتسير غرباً بانخفاض مستمر إلى أن تلتقي الطريقان الرئيسيتان

(١) الخلاليل أي الشعاب وهي جمع خلة بفتح الخاء وهي مستعملة في اللغة الدارجة

في نابلس .

مع بعضها عند باب الوادي الغربي . وهذه الحفرة ذات تربة سوداء تروىها مجاري المدينة وينابيعها المنخفضة التي تجعلها من أخصب بقاع الدنيا . وهي مقسومة إلى بساتين صغيرة تزرع في أرضها الخضار المتنوعة وتحيط بها أشجار التين والتوت والجوز والميس والخوخ . ولانخفاض هذه الحفرة باستمرار على مسافة تزيد على ثلاثة آلاف ذراع فإنها ترى من جميع الجهات التي حولها فتري في بطن الوادي جنة يانعة تزيد الوادي جمالاً وبهاءً .

وتعد مدينة نابلس من أغنى المدن بينابيعها الكثيرة التي منها المرتفعة التي يشرب منها السكان وهي : رأس العين ، وعين العسل ، والقريون ، وعين الوز ، ومنها المنخفضة التي تروى منها البساتين وهي : عين دفنة ، وعين بيت الماء ، وعين حسين ، وعين الفواد ، وعين القصب ، وعين الشريش ، وعين الصبيان ، وكانت هذه الينابيع جميعها تدير الطواحين المائية قبل ظهور الآلات البخارية فتدير على أصحابها الأموال الكثيرة . ولأن جميع مياه نابلس تجري إلى حفرة الوادي بلا توقف وتستعمل كلها للري دون أن تكون مستنقعات فإن إصابات البرداء في مدينة نابلس قليلة جداً . إلا أن العفونة التي تسببها المياه تحت أرض الوادي تنتج عنها أمراض رئوية وعصبية . لكن سرّاً خطيراً يساعد السكان على مكافحة هذه الأمراض وهو غنى مياه الشرب بمعدن الحديد الذي يقوي الدم فيقوى على مكافحة هذه الأمراض . وقد كان لانتشار المباني على سفوح عيال الصخرة التي لا تجري تحتها مياه فضل كبير في تحسين الحالة الصحية بنابلس . وقد وسعت بعض شوارع المدينة القديمة بعد الزلزال الكبير نحف خطر جريان المياه تحت الأرض سيما بعد قيام المجلس البلدي

بم شروع^(١) المياه وبعد انشاء الآقية الواسعة المحكمة بعد حادثة السيول^(٢)
ولا يزال التحسن مستمراً .

~~~~~

## الفصل الثاني

### جبل نابلس في اول الفتح الاسلامي والحروب الصليبية

#### في العهد الاول

لما دخل جبل نابلس في حوزة المسلمين كان سكانه خليطاً من  
السامريين والنصارى العرب وبقايا الرومان واليونان وكان العداء مستحكماً  
بينهم . فوضع المسلمون في نابلس حامية بسيطة وقد جعلت من المراكز  
الصغيرة . وسكنت جمهرة العشائر الإسلامية في القرى فسكن معظمهم  
بيسان وجنين ومردا وجماعين وسلفيت وعقربا وبيتا وطوباس وغيرها  
من المدن الصغيرة التي أصبحت مراكز للعلم والمسلمين ، ففقدت نابلس  
مركزها ولم يكن لها في هذا العهد ذكر كالرملة والقدس وغزة  
وعسقلان التي كانت بارزة في ذلك العهد ولم تبلغ المدن التي ظهرت  
في جبل نابلس جميعه حداً يجعل لها أهمية ولم يكن في جبل نابلس عصبية  
قومية فأهمل شأنه بالكلية إلى ما بعد الحروب الصليبية بقليل .

---

(١) راجع المشاريع الخيرية في الجزء الثالث (٢) راجع كارثة السيول في  
الجزء الثالث .



القسم الباقي من القلعة الصلاحية على ظهر قمة جرزيم  
ويعرف بمقام الشيخ غانم

### الحروب الصليبية

دخل الصليبيون جبل نابلس دون مقاومة فعاملوا السكان بالقسوة واضطروهم على الجلاء إلى مصر والشام ومن بقي منهم ظلّ معرضاً للاضطهاد والغارات الخارجية فقد هجم بزواش حاكم دمشق على نابلس وذبح سكانها . فحصنها الصليبيون وأصبحت مقراً لبعض الأمراء والأميرات الأقوياء إلى أن استولى عليها السلطان صلاح الدين الأيوبي فأحرقها ودمرها وهو يستعد لمعركة حطين ولم يبق إلا قلعتها<sup>(١)</sup> وبعد موت السلطان صلاح الدين بنحو نصف قرن استولى عليها الصليبيون مرة أخرى وأحرقوها وقتلوا جميع من كان فيها من المسلمين . ثم هاجم التتار والخوازمية وهددها الصليبيون أمداً طويلاً وكانت ما يصيب المدينة يصبب القرى وما زالت الأحوال مضطربة إلى أن ظهر الملك الظاهر بيبرس فطرد الصليبيين من القدس ورد الخوارزمية والتتار وطرد

(١) يقول السامريون انهم ساعدوا السلطان صلاح الدين في دخول نابلس وكذلك يقول بنو الامير (الأدهم) بانهم ساعدوه فعهد اليهم بصيانة وحفاظة القلعة وهم وآل السخنيان من ذرية الامير عبد المغيث .

جميع النصارى من جبل نابلس ولم تحدث بعد ذلك غارات فتوافدت  
الامر والعشائر العربية واستوطن الجند وشيوخهم (ضباطهم) في جبل  
نابلس جميعه .

### الاستقرار والنهوض

بلغ عدد المهاجرين المسلمين في نابلس نحو مائتي ألف بعد الظاهر  
بيبرس فأتى الملك الناصر بن قلاوون في أواخر القرن السابع الهجري  
وقسم أراضي مدينة نابلس بين شيوخ الأجناد وأمرائهم فأعطى للأمير  
صارم الدين الذي عرفت ذريته فيما بعد بآل سويسه أراضي وبساتين  
في الجهة الغربية من أراضي وبساتين نابلس . وأعطى الشيخ بدر الغفير  
وولديه عماد الدين ومجير الدين (الذين عرفت ذريتهم فيما بعد بآل خضر خمخوم)  
أراضي في سفوح جبل عيال . وأعطى الشيخ غانم الذي عرفت ذريته  
فيما بعد (بأبي شمس والعلبي والغفوري وأصلان) أراضي وسفوحاً في جبل  
جرزيم . وأعطى للأمير علاء الدين البشيري (الذي عرفت ذريته فيما  
بعد بآل جابر) بساتين في حفرة الوادي . وأعطى أراضي وأملاكاً في  
الجهة الشرقية من الوادي للأمير عبد المغيث (الذي عرفت ذريته فيما بعد  
بالأدهم والسختيان) . وأعطى لآل العامودي مقام العامود وحرسته وقد  
كان من مقدسات النصارى ، والراجع أن جدهم الشيخ علي الدمشقي  
وقد عرفوا بآل العامودي<sup>(١)</sup> لتوليهم على مقام رجال العامود<sup>(٢)</sup> وأعطى  
الجنود بعض الأراضي والمساكن في المدينة وحولها وقد تولت كل أسرة

(١) وقد نفرع منهم آل الصابي وآل جملة بنابلس ويقولون ان أصلهم حجازيون .

(٢) ويقول عنهم الشيخ عبد الغني النابلسي انهم الاربعون الشهود من أنبياء بني اسرائيل  
عليهم السلام .

حراسة الجهة التي استملكك الأراضي المجاورة لها ، فالمقامات التي يقال  
لصاحبها شيخ أغلبها قلاع وأبراج للحراسة سميت باسم حارسها كالشيخ  
العماد ، والشيخ خانم ، والشيخ السري ، والشيخ مجير الدين وغيرها . وقد  
أوقفت جميع الاسر الأراضي التي اقطعتها فيما بعد ولا تزال بعضها  
تملكها إلى الآن .

وقد نزلت أمر أخرى في نابلس اشغلت بالعلم فتوات إمامة المساجد  
وتوات العناية ببعض المقامات كالجعافرة والبسطاميين الذين أتوا من  
العراق والاضرميين الذين أتوا من مصر ممن سيأتي الكلام عليهم ونزلت  
أمر أخرى اشغلت بالتجارة والصناعة فازدهرت مدينة نابلس  
وتقدمت :

وإذا سألت عن البقاع فانها تشقى كما يشقى الرجال وتسعد

وبعد أن أتم الملك الناصر تقسيم أراضي المدينة خرج بنحو مائتي  
الف من المهاجرين إلى القرى فأقطعهم أراضيها وأغلبها أقيمت مشاعاً  
للرجال تقسم بحسب عدد الرجال في كل بلد إلا الجنود فانه أقطعهم  
أراضي خاصة وقد أسكن المهاجرين بحسب قبائلهم وعشائرتهم ونصب  
عليهم شيوخاً منهم كما سيبين .

ولأن جبل نابلس أصبحت أكثريته الساحقة عربية إسلامية فقد  
اشتدت قوة سكانه وكانوا جميعهم من الأجناد والعشائر القوية وفيهم  
أمر الامارة والمشيخة المطاعة فظهرت بعد ذلك شخصية جبل نابلس  
وأصبح ملجأ تولدت فيه نهضة علمية نبغ بعدها عدد من مشاهير العلماء .



## الفصل الثالث

### النهضة العلمية الاولى

#### بناء السامري

حينما استولى الصليبيون على نابلس هدموا مسجدها الكبير وجعلوه  
ركاماً ولما استردها المسلمون انتصروا عند الكنيسة الصليبية فحولوها  
إلى جامع سموه جامع النصر ولما هدم الملك الناصر كنائس النصارى  
بنى المسلمون جامعاً مكان الكنيسة الرومانية الغربية عرف بجامع الحنبلي  
وحولوا معبد السامريين إلى جامع الخضر (مخزن يعقوب عليه السلام).  
وبنوا مسجداً آخر مكان معبد صليبي صغير سموه جامع الساطون .  
وحولوا كنيسة الامبراطور يوستنيانوس الروماني إلى الجامع المعروف  
بالجامع الكبير . وخصصت لهذه المساجد الأوقاف ورتب لها الأئمة  
والمدرسون .

#### تأسيس المدارس

أما الجامع الاسلامي القديم فقد حوله الملك الناصر بن قلاوون  
المذكور إلى مدرستين وبنى مدرستين في الجهة الجنوبية وبنى بين المدارس  
الأربع السوق المعروف بخان التجار وأوقف على المدارس كثيراً من  
الأملاك التي تعرف اليوم بالأوقاف المدرسة وجعل التدريس في كل  
مدرسة من هذه المدارس الأربع خاصاً بأحد المذاهب الأربعة وهي : الشافعي  
مذهب الدولة ، والحنبلي مذهب العراقيين ، والحنفي مذهب السوربيين ،  
والمالكي مذهب المغاربة ؛ وسارت هذه المدارس بنجاح كل القرن الثامن  
والتاسع الهجري فتخرج منها عدد كبير من العلماء الذين كانوا يعيشون

في سوريا ومصر ويحصلون على مراكز عالية . وقد انتسب بعضهم إلى أسرهم كالجعفري ، وابن الشنيتي ، وابن السلعوس ، وبعضهم نسبوا إلى قراهم كاللبدي ، والكريمي ، والمرداوي ، والرامي ، والشويكي . وبعضهم نسبوا إلى مذاهبهم كالشافعي والحنبلي والحنفي . وقد استمرت هذه النهضة مدة قرنين ثم أخذت بالانقراض في عهد الحكم الغريب والاضطراب الذي ساد جبل نابلس في أواسط القرن الحادي عشر الهجري لا سيما في عهد ابن فريخ وآل فروخ والعينين . وقد ترجم المؤرخون لعدد من مشاهير علماء جبل نابلس وتعرض آخرون لذكر بعضهم . وقد اقتصرنا على أشهرهم فلم يذكرنا إلا القليل بالنسبة إلى الحقيقة .

## تراجم مشاهير علماء جبل نابلس في هذا العهد

### الشيخ أحمد الشويكي

هو ابن عبد الرحمن الشويكي <sup>(١)</sup> الحنبلي حفظ القرآن الكريم ثم المتقن الذي فهم حله على ابن عمه العلامة شهاب الدين . وقد أخذ علومه عن علماء نابلس ثم رحل إلى دمشق <sup>(٢)</sup> الشام فسكن صالحيها إلى أن مات تاركاً هناك سلالة من أهل العلم ظهر منهم علماء أفاضل . وقد عاش ومات في القرن العاشر الهجري .

### قاضي القضاة الشهاب الشبيخ برهان الدين الراميني <sup>(٣)</sup>

هو قاضي قضاة الشام في أول القرن الثامن الهجري له عدة مصنفات ذكرها صاحب الطبقات . عاش في دمشق وعرفت ذريته فيما

(١) نسبة لقرية شويكة من قرى الشعراوية الغربية (٢) دمشق هي المدينة المعروفة والشام اسم القطر كله (٣) رامين تقع في منتصف وادي الشعير - راجع خريطة النواحي في الجزء الثاني .

بعد بيني مفلح وقد ظهر منهم علماء نوابغ . وكان الشيخ برهان الدين جريئاً قوي الحجة لا تأخذه في الله لومة لائم وكانت هذه الجرأة سبب استشهاده فان تيمورلنك<sup>(١)</sup> الطاغية لما استولى على دمشق في المرة الاولى جمع علماء الشام في مجلسه وسألمهم سؤالا مخرجاً وهو : «أيها أفضل درجة العلم أم درجة النسب ؟» وكان شيعياً يريد الفتك بهم إذا فضلوا العلم على النسب فتهيبوا وأطرقوا ولم يجيبوا فنقض الشيخ برهان وأجابه بلا وجل قائلاً «درجة العلم أعلى من درجة النسب وهي عند الخالق والمخلوق أعلى الرتب ، والمهجين الفاضل يقدم على المهجان الجاهل والدليل في هذا جلي وهو إجماع الصحابة وتقديمهم أبا بكر على علي ولي بذلك دلالة من قول صاحب الرسالة لا تنفق امتي على ضلالة» ثم أخذ ينزع ثيابه فقال له تيمورلنك : «ما حملك على نزع ثيابك» فأجابه الشيخ قائلاً : «بذلاً لنفسي في سبيل الله صابراً لعقابك» فقال له تيمورلنك : «وسعك حلمنا فلا تعدم سلمنا» ثم أرسله محروساً إلى بيته وكان أحد الحراس من غلاة الشيعة فوكزه بحربة مسمومة في رجله مات منها سنة ٥٧٨٤ هـ .

### الفنّي شهاب الدين الشوبكي

هو أبو الفضل شهاب الدين بن محمد الشوبكي ولد بقرية شوبكه سنة ٨٧٦ هـ . وتعلم في نابلس ثم نزل إلى دمشق وعاش فيها مفتياً للحنابلة إلى أن مات .



(١) هو القائد المغولي المشهور وابن أحد وزراء جنكيز خان ملك المغول العظيم كان شيعياً شغوفاً بالحجاج علماء السنة يمثل هذه الاسئلة .

### الوزير الفاضل مجير الدين البيساني

هو أبو علي عبد الرحيم البيساني اللخمي الملقب بمجير الدين . ولد سنة ٥٢٩ هـ وتعلم على أبيه قاضي عسقلان الشيخ بهاء الدين علي البيساني وغيره ثم نزل مصر فتعلم كتابة الدواوين<sup>(١)</sup> وكان البديع شائعاً فابتكر طريقة خاصة نسبت اليه فعرفت بالطريقة الفاضلية فذاع صيته واتصل بديوان ابن مدينة قاضي الاسكندرية فظهر فضله برسائله التي كان يرسلها إلى القاهرة فاستقدمه الخليفة الظافر الفاطمي وعينه في ديوانه وبعد اقراض الفاطميين استوزره سلطان الاسلام صلاح الدين الايوبي فكان يتردد معه بين مصر والشام فدير المملكة أحسن تدبير وبعد موت السلطان صلاح الدين استوزره ابنه العزيز ثم أحضره من مصر وظل وزيراً كبيراً إلى أن مات سنة ٥٩٦ هـ وكان أبو علي ديناً محسناً وفيما شغوقاً يجمع الكتب محمود السيرة .

### قاضي القضاة الشيخ عبد الله موفق الدين الحجاوي<sup>(٢)</sup>

هو قاضي قضاة مصر تولى رئاسة القضاء لأحد عشر سلطاناً من سلاطين المماليك خلال احدى وثلاثين سنة إلى أن مات سنة ٧٦٩ هـ ودفن بقرية باب النصر بمصر وكان أحد السلاطين<sup>(٣)</sup> أمر منه لمسألة أفق بها فشكله طلب ما يشاء فطلب بناء جامع بنظارته في قرينته حجة فأجيب إلى طلبه .

(١) الديوان هو الادارة أو الدائرة باصطلاح الحكومات الحاضرة . (٢) نسبة إلى قرينته حجة ، التي كانت تسكنها حامولة العملة التي ظهر منها عدد من العلماء آخروهم الشيخ محمد الحجاوي الذي سكن مدينة نابلس ، وعرفت ذريته بآل الحجاوي ولا تزال .

<sup>(١)</sup> **الفتى الشبغ علاء الدين المرداوى**

تعلم في الخليل ودمشق فنبغ وأفتى وصنف فذاع صيته وأخذ عنه كثيرون منهم قاضي القضاة الشيخ بدر الدين الجعفري وأصبح من أكابر العلماء الى أن توفي سنة ٨٨٥ هـ .

<sup>(٢)</sup> **قاضي القضاة الشيخ عبد القادر الجعفري**

هو شرف الدين أبو حاتم الشيخ عبد القادر بن محمد الجعفري تولى قضاء الشام سنة ٧٩٢ هـ ففس عليه السم في طعام مات منه هو ومن شاركه فيه سنة ٧٩٣ هـ .

**الشيخ محمد عبد القوي المرداوى**

هو الشيخ محمد بن عبد القوي بن بدران عبد الله المرداوي الملقب بشمس الدين ، ولد سنة ٦٣٠ هـ بقرية مردا ، وسمع الحديث من خطيبها ، ومن الشيخ عثمان بن خطيب القرافة ، ومن ابن عبد الهادي ، وإبراهيم ابن خليل وغيرهم ، وثققه على الشيخ شمس الدين بن أبي عمر وغيره . وبرع باللغة العربية ، ثم اشتهل بالتدريس والإفتاء والتصنيف ، ونظم منظومة الآداب المشهورة التي شرحها الشيخ موسى الحجاوي ، ثم الشيخ محمد السفاريني ، وهي تبحث في جميع أبواب الفقه والآداب الإسلامية وله منظومة أخرى في العلوم الإسلامية ، قال عنه الذهبي « كان حسن الديانة دمث الأخلاق كثير الإفادة مطرّحاً للتكليف » . وقد تولى التدريس في المذهب الحنبلي بدمشق إلى أن مات .

(١) نسبة لقرية مردا في قضاء جماعين . (٢) نسبة الى سيدنا جعفر الطيار الطالبي رضي الله عنه ، عرفوا فيما بعد بالحنبلي وهاشم والنقيب كما سيأتي .

### قاضي القضاة ابن مفلح الرامني

أخذ علومه عن ابن تيمية الذي قال له « ما أنت ابن مفلح بل أنت مفلح » ، وكان ابن القيم يقول عنه « ما تحت قبة الفلك أعلم بذهب الإمام أحمد من ابن مفلح » . وقد ألف عدداً من المؤلفات في أصول المذهب الحنبلي وفروعه ليس للحنابلة أحسن منها ، وقد توفي سنة ٧٦٣ هـ عن ولده الشيخ عبد الله الذي خلف ولداً اسمه الشيخ محمد وكلاهما من أهل العلم .

### المفتي الشيخ محمد شمس الدين أبو عبد الله الجعفري

ولد في نابلس سنة ٧٢٧ هـ ، وأخذ علومه عن عددٍ من علمائها ، ومنهم : الإمام شمس الدين أبي محمد عبد الله بن محمد ، والحافظ صلاح الدين العلائي ، والشيخ إبراهيم الزيتاوي ، والشيخ قطب الدين ابن المكرم ، والشيخ أمين الدين محمد بن عمر الحريري ، والشيخ محمد ابن غالب الماكسيني ، والشيخ محمد الحجاز ، والشيخ عيسى بن طيحا ، والإمام صدر الدين أبي الفتح المبدومي ، والشيخة صفية بنت عبد الحلیم ، ووالدته الشيخة مريم وغيرهم من المشايخ المعتبرين . وحدث فسمع عليه الحافظ جمال الدين أبو الفرج شمس الدين بن قيم الجوزية وغيره ، ونصدر للإفتاء والتدريس في نابلس ، وله مصنفات كثيرة منها تصحيح الخلاف المطلق في المنع ، وشرح الوجيز ، وقطعة من تفسير القرآن ، ومختصر طبقات الحنابلة ، ومختصر طبقات العزلة لأبي سليمان الخطابي وقد لقبوه بالجنة لكثرة ما عنده من العلوم ، لأن الجنة فيها ما تشتهي الأنفس ، وعنده ما يشتهي الطلاب ، وقد توفي في نابلس سنة ٧٩٧ هـ بعد أن اختلط عقله بسبب تسمم ولده القاضي الشيخ عبد القادر المار ذكره .

## قاضي القضاة الشيخ محمد بدر الدين الجعفري

باشتر القضاء في نابلس سنة ٨٤٠ هـ ، وأضيف إليه قضاء القدس والرملة ، ثم عين قاضي قضاة الديار المصرية ، وظل كذلك الى أن توفي في الإسكندرية سنة ٨٨٩ هـ .

### (١) الشيخ مرعي الكرمي

أخذ علومه عن الشيخ محمد المرداوي ، وعن القاضي الشيخ يحيى الحجراوي ، ثم ذهب الى مصر وأتم تحصيله ، فنبغ وأصبح من أكابر علماء المذهب الحنبلي ، وقد ألف وشرح كتباً عديدة نيفت على الستين .

### شيخ الحنابلة الشيخ موسى الحجاري



هو ابن أحمد بن موسى بن سالم الحجراوي صاحب الإقناع أشهر كتب الحنابلة ولذلك لقب بشيخ الحنابلة . وقد شرح منظومة الآداب التي نظمها الشيخ عبد القوي المرداوي ، وقد عدّ الشيخ محمد السفاريني الكبير شرحه لها بعد الشيخ موسى فضولاً . وقد عدّه خاتمة المحققين وقد أفاد الشيخ موسى وأخذ عنه كثيرون الى أن مات في دمشق سنة ٧٦٩ .

جامع قرية حجة وقد بناه أحد سلاطين المماليك باسم وأمراف الشيخ محمد الحجراوي جد آل الحجراوي بنابلس لفتوى أفتاها الشيخ فسر منها الملك

(١) نسبة الى قرية طول الكرم التي أصبحت عاصمة بني صعب اليوم وصارت تأتي بمد نابلس بالانواع .

<sup>(١)</sup> المقي السبخ ياسين اللبدي

تعلم في مصر وعاد الى الافتاء في جبل نابلس ، وظل كذلك الى  
أن توفي سنة ١٠٥٨ .

أسماء بعض العلماء ومرآ كزهم

لقد عني الخبالة بتراجم علماءهم فكان أكثر من ترجم منهم ، وقد  
حصلت على أسماء بعض العلماء مع بعض أحوالهم ، فرأيت من المناسب  
ذكرهم وهم :

١ - الشيخ اسكندر بن إسماعيل قاضي نابلس سنة ٩٨٨ هـ .

٢ - شيخ القراء شهاب الدين بن السلعوس الذي مات سنة ٦٩٧ هـ

بدمشق ، ومنه آل السلعوس في نابلس والخليل ، وهو حفيد

الرجل الذي تخلف من بني السلعوس حينما طلبهم الى مصر

الملك الأشرف قلاوون وقتلهم مع كبيرهم الوزير شمس الدين

ابن السلعوس .

٣ - الشيخ شهاب الدين الشنتير الذي صار إماماً للصخرة الشريفة

في القدس بعد وفاة الإمام شهاب الدين أحمد بن حافظ

سنة ٨٧٦ هـ .

٤ - الشيخ محب الدين الجعفري قاضي نابلس سنة ٩٣٣ هـ .

٥ - الشيخ محمد معدي قاضي نابلس سنة ٩٧٦ هـ .

٦ - الشيخ محمد الشنتير الذي كان إماماً للمسجد الأقصى ثم صار

إماماً لسبباي كافل دمشق الى أن توفي سنة ٩١٩ هـ .

(١) نسبة الى كفر اللبد من قرى وادي الشعير الغربي بجبل نابلس

٧ - قاضي القضاة الشيخ شمس الدين محمد بن هونس<sup>(١)</sup> الشافعي ،  
الذي كان قاضياً للقدس ونابلس والرملة سنة ٧٧٩ هـ .

## الفصل الرابع الأمراء الوطنيون أحزاب العالم العربي القديمة

ينسب العرب الى أصلين كبيرين وهما : الأصل القحطاني وموطنه  
اليمن ولذلك عرفت قبائله بالقبائل اليمنية ، وقد تفرقوا بعد تصدع  
السد في جزيرة العرب كلها . والأصل الثاني العدناني الذي ظهر وتوطن  
في الحجاز ومنها تفرق في جزيرة العرب . وكانت القبائل اليمنية تحكم  
العدنانية فثارت عليها قبل الإسلام ، وخلعت نيرها بعد حروب طويلة ،  
كانت بدء الحروب بين الشعبين .

### القيس واليمن في سوريا

بعد الفتح الإسلامي نزلت في سوريا قبائل متعددة من القحطانية  
والعدنانية ، ولما وقع الخلاف بين علي ومعاوية رضي الله عنهما انتصر  
اليمنيون أي القحطانيون لعلي ، وانتصر المضربون أي العدنانيون لمعاوية  
ولما وقع الخلاف بين الأمويين أنفسهم انتصروا بنو كلب اليمنيون لفريق ،  
وانتصرت قبيلة قيس المضرية لفريق آخر ، فعرف الحزبان بالقيس واليمن

(١) كانوا يعرفون باليونانيين وهم اليوم يعرفون بقناديلو ، وقد تفرع منهم آل كتانة  
والفرع الثاني يعرف بالشافعي نسبة للقاضي الشافعي المذكور . وتوجد أسرتان في نابلس  
تعرفان بيونس لم أتفق ثمرهما منها .

وكذلك حصل في جميع الأقطار العربية المفتوحة لآسيا سوريا والأندلس  
وقد ظل هذا الانقسام سائداً مرعياً في سوريا الى عهد قريب .

وكانت جهرة القبائل العدنانية في الشمال ، فأُسست الدولة الحمدانية  
التغلبية التي جعلت مركزها حلب وامتدت الى ديار بكر والموصل  
كما مر ، وقد انضمت اليها بكر رغم ما كان بينها وبين تغلب .  
وكانت جهرة القبائل اليمنية في الوسط والجنوب ، فما زالت تشن على  
الدولة الحمدانية الغارة الى أن قضت عليها بقيادة الأمير صالح بن مرداس  
الكلابي ، فاشتد العداء بين الحزبين في الحروب الصليبية وما بعدها .

### القبس واليمن في جبل نابلس

كان المعركة<sup>(١)</sup> أول من دخل جبل نابلس من العرب ، وقد أتى  
بهم سرجون الثاني الآشوري ، وفي العهد الروماني دخلت جبل نابلس  
قبائل عربية من اليمنيين منها لحم ، وجذام ، وغسان فابتلعت المعركة .  
ولما دخل المسلمون كانوا خليطاً من اليمنيين والمضربين ، ولما وقعت  
الفتنة في العهد الأموي انقسموا الى قيس وعين كغيرهم .

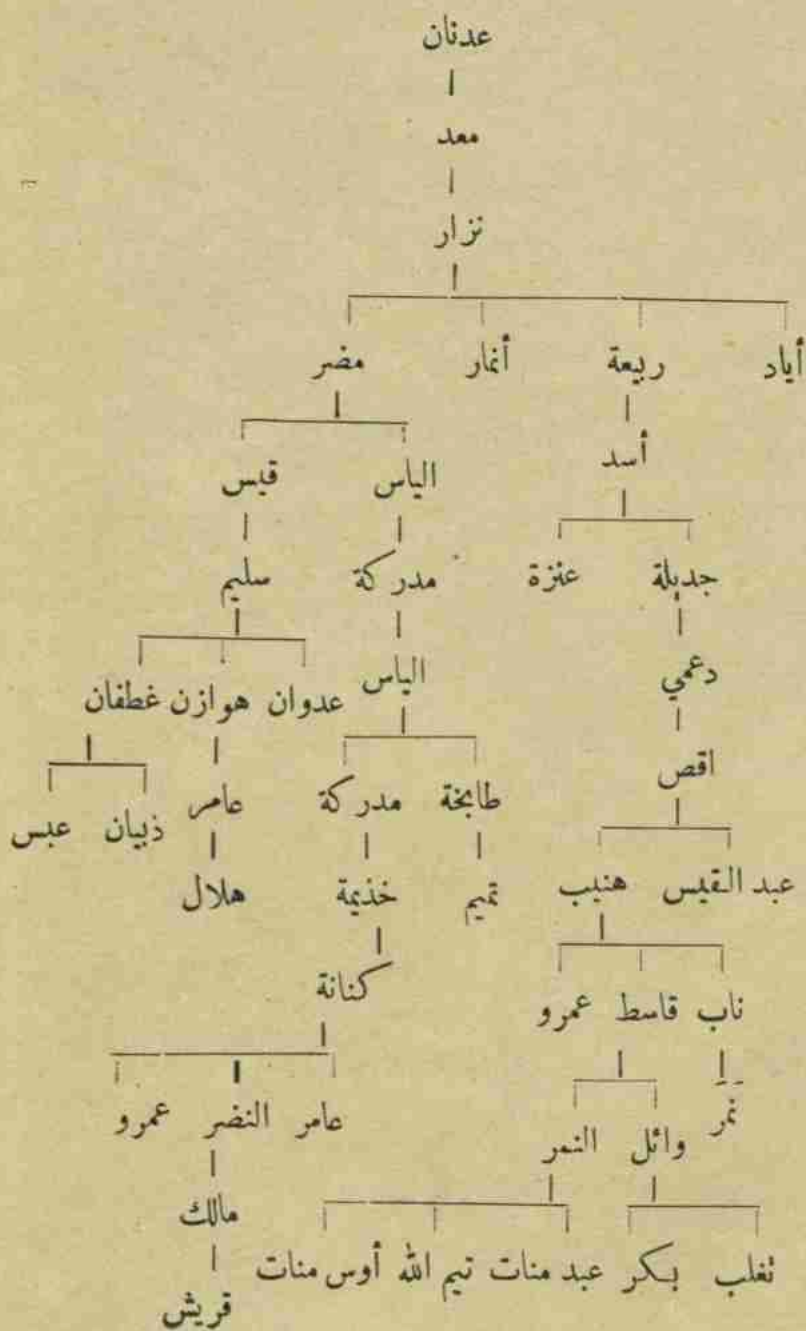


---

(١) هم من العرب البائدة نسبة الى عمليق — راجع قسلس القحطانيون .



# تسلسل القبائل العدنانية



### وادي نابلس فاصل بين القيس واليمن

واستمرّ النزاع بين القيسيين واليمنيين الى أن أتى الصليبيون فأجلوهم . وبعد خروج الصليبيين واستقرار الأحوال نزلت في جبل نابلس عشائر وبطون من قبيلة قيس ومن ينتمي إليها ، ومثلها من قبيلة طي وبقايا اليمنيين ، ولما جاء الملك الناصر بن قلاوون وقسم الأراضي أقطع القسم الشمالي لليمنيين والقسم الجنوبي للقيسيين ، وجعل وادي نابلس فاصلاً بينهما .

### الأمراء والتبوغ

كان أمراء القيس في جبل نابلس يعرفون ببني إسماعيل ، وقد سكنوا نابلس في الجهة القديمة بين حبي الباسمينية<sup>(١)</sup> والقربون ، وكان شيوخهم يعرفون بآل عبد القادر وقد سكنوا في قرية جماعين<sup>(٢)</sup> وبيتنا ، وكان شيوخ المغاريب<sup>(٣)</sup> يعرفون بالجيايسة ، وأصلهم من قواد الأجناد المصريين ، وحيث جعلت بني صعب مقرّاً لجيوش المماليك فقد سميت مقرّاً القيادة بجيوش ثم حرفت الى جبوس ، وسمي صاحبها بالجيوش أي صاحب الجيوش ، ثم حرفت الى الجبوسى ، وهكذا عرفوا ولا يزالون ، وهذه أرجح وأصح الروايات . وكان أمراء اليمن يعرفون ببني بكر شيوخ عشيرة وائل من ربيعة طي ، وكانوا ينزلون في سهول بيسان ، وكان يشار إليهم في الإمارة أيضاً الحارثيون الطائيون الذين عرفوا بآل طرباي ، والذين جعلوا مركزهم في مدينة جينين ، ثم امتد نفوذهم في جبل نابلس جميعه .

(١) هي الدار المجاورة لدار الشيخ شحاده الخماش من الشمال والمعروفة بدار أبي الخمام على الراجع . (٢) وكانوا يعرفون بالقادرية ثم ظهر بعدهم القوم ، وكان لهم قصر في حي القيسارية بنابلس استولى عليه آل نقلى ثم المصري ، وقد هدم مؤخراً . (٣) يسمى القسم الساحلي أي الغربي من جبل نابلس بالمغاريب ، وهو يقسم الى بني صعب والرمل ، والشعراوية الغربية .

## رد عساكر تيمورلنك

كان أول ما لفت نظر الناس لجبل نابلس كسر عساكر تيمورلنك في أوديته إذ في سنة ٨٠٣ هـ هاجم فريق من عساكر تيمورلنك جبل نابلس فحاصروهم التابلسيون في واد ضيق بين جبلين وقتلوا منهم عدداً كبيراً بالنشاب والحجارة فولوا مدبرين ، ومن ذلك الحين أصبح جبل نابلس ملجأً للفارين من وجه المغول ، وأصبح مقرّاً لجيوش المماليك ، وأصبح القواد والساطين يعولون على جموع جبل نابلس كلما احتاجوا إليها .

## الفئة الكبرى

سبق أمراء وشيوخ القيس في جبل نابلس أمراء اليمن بالسيادة والنفوذ والاتصال بالدولة ؛ وهم الذين كان عليهم المغول ، وإليهم أسند الحكم ، وظلوا كذلك الى أواخر القرن التاسع الهجري . وفي هذه الأثناء نهض اليمنيون وحسدوهم وصمموا على شل حركتهم . وفي سنة ٨٩١ هـ وقع الخلاف بين المماليك والسلطان بايزيد العثماني واحتاج المماليك الى نجدة جبل نابلس كمعادتهم ، فأعطوا المال والعتاد اللازم للأمراء وشيوخ القيس إلا أن أمراء اليمن شلوا حركتهم وعرقلوا مساعيهم ، وأوقعوا سوء التفاهم بينهم وبين الأمير أقبرديي الإينالي أحد أمراء المماليك الذي حاربهم قتل . فوقعت بسببه فئنة شعواء بين القيس واليمن في جبل نابلس جميعه . قتل فيها عدد كبير من شيوخ وأمراء الفريقين منهم : الأمير أبو بكر الطائي ، أمير اليمنيين وأمراء من آل إسماعيل وآل عبد القادر والشيخ يوسف الجيوسي أمراء القيس .

## اضمحلال زعامة القيس

لما بلغ الدولة خبر مقتل الأمير أقبرديي الإينالي ، أرسلت جيشاً

بقيادة الأمير أقبردي الداودار<sup>(١)</sup> الكبير فقبض على باقي أمراء وشيوخ القيس وأخذهم معه إلى مصر مكبلين بالحديد ، فبعضهم قتل وبعضهم سجن ، وقد نكل بمن يلوذ بهم ، ولم تقم لأهالي القسم الجنوبي بعد ذلك قائمة واضمحلت القبسيون ونزح كثيرون منهم إلى جبل الخليل وجبل القدس واضمحلت أسر الإمارة والمشخة وتولى الحكم في نابلس حكام غريباء مدة قرن ونصف إلى أن نزلت الإمامية من بني النمر بمحملتهم الكبرى في الجنوب كما سيظهر في الباب الآتي .

### سيادة أمراء اليمن

أما القسم الشمالي الذي عرف بلواء<sup>(٢)</sup> اللجون فقد ساد فيه الأمراء الطائيون ، لا سيما شيوخ عشيرة وائل . فلما فتح السلطان سليم العثماني سوريا سنة ٩٢٣ هـ سلم الراية للأمير أحمد بن بكر شيخ عشيرة وائل الذي كان في ذلك الوقت أقوى أمراء سوريا الجنوبية كلها . وبعد موته ظهر آل طرباي الأمراء الحارثيون الذين قضوا مدة قرن كامل بحرب مع ولاية دمشق وأمراء لبنان وعجلون وحوران .

### الثورة على الغزالي وأبّاس

بدأ الأمير جانبردي الغزالي التمهيد للعصيان بتولية حكام من قبله ، ولما حاول نزع حكم لواء اللجون من آل طرباي ، ثاروا عليه فحاربهم وقتل أربعة منهم ، كان فيهم الأمير قراجا بن طرباي أميرهم الكبير وقطع رؤوسهم وأرسلها إلى السلطان سليم .

(١) الداودار الكبير هو قائد المؤخرة في دولة المالك ، والبشداد قائد الطليعة .

(٢) نسبة إلى وادي اللجون بين جينين وحيفا ، وكلمة لجون رومانية معناها : الكتيبة

ولما عين أياض باشا على إيالة الشام سنة ٩٢٧ هـ بعد الغزالي ، كان الحارثيون لا يزالون متمردين ، فخرج إليهم بجيشه وعرب الشام ، واستمات الحارثيون فكسروا جيشه وجرح هو نفسه وارتد إلى دمشق ، بعد أن قتل من جيشه ومن عرب الشام خلق كثير . وفي سنة ٩٣٠ هـ ثارت مدينة نابلس ثورة عنيفة وأحرقت دار حاكمها سليمان بك قراجا<sup>(١)</sup> الذي نجا بنفسه بصعوبة .

### آخرة آل طرباي

وقع العداء بين جبل نابلس وعرب الشام في حوران وعجلون ولبنان واستمر التمرد إلى أن غيرت الدولة الولاية وعينت على إيالة الشام ولاية وطنيين منهم : نصوح باشا النمر ، ويوسف باشا سيفا ، وحسين باشا النمر فنفاهموا وأصلحوا ما بين الفريقين ، واعتمدوا على آل طرباي في مقاومة المعنيين ، فما زالوا في نزاع معهم إلى أن غلبوا على أمرهم ، فنزلواهم وعربانهم في سهول الرملة ثم عادوا فنزل عربانهم في وادي الحوارث<sup>(٢)</sup> وعادواهم إلى جينين ضعفاء لا حول لهم ولا قوة ، وذلك في أواخر القرن الحادي عشر ، فلما مر الشيخ عبد الغني النابلسي سنة ١١٠١ هـ عن جينين في رحلته إلى القدس زارهم فكتب في رحلته « وزرنا مدافن الأمراء بيت طرباي الذين كانت بلدة جينين في أيديهم سابقاً ، واجتمعنا بمن بقي من أمرائهم هناك ، وقد صاروا مغارب للإمارة بعد أن كانوا لها مشارق » وهذا آخر ما عرف عن آل طرباي ، وقد ساد بعدهم المهاميط ، والنزالية ، ثم آل جرار ، ولم نعلم بعد آل طرباي لليمن قائمة إلى أن ظهر آل طوقان .

(١) ثم عاد بعد ذلك بقوة من الانكشارية فحكم ، وعرفت ذريته فيما بعد بآل سليم وصفو ولا يزالون . (٢) هو بقعة في سهول بني صعب سميت بوادي الحوارث نسبة إليهم .

## الفصل الخامس الحكام الغرباء

### الاضطراب والاضمحلال

فقدت نابلس أمراءها الوطنيين فأصبح حكمها يعطى لحكام غرباء لا يهتمون من أمرها إلا الحصول على الأموال ، وكانوا يبدلون ويفيرون باستمرار ويستبدون بالأهالي ويعاملونهم بمنتهى القسوة بواسطة جنودهم من المماليك والانكشارية فحكمها حكام كثيرون منهم : آل ثقلی<sup>(١)</sup> ، وقرقاز بن فرنج الظالم ، والحكام المعنويون ، وكانت الثورات فيها لا تنقطع ، فكثرت اللصوص والأشقياء ، واضمحلت النهضة العلمية وتأخرت التجارة والصناعة ، وتخربت المزارع والقرى ، ونوالى الجذب والأوبئة فأفقرت نصف القرى والضياح من السكان . إلا أنها تمتعت بفترة من الأمن والاستقرار حينما جعلت مركزاً لامارة الركب الشامي في عهد الفقارين .

### امارة ركب الحج

كان الخلفاء يكسون الكعبة المطهرة كلما احتاجت ، فيأخذون الكسوة معهم أو يرسلونها مع أحد أبنائهم أو وزراءهم ، وكانوا يرسلون الصدقات لفقراء مكة والمدينة من وقت لآخر بدون حراس . ولما ظهر القرامطة في عهد الفاطميين واختل الأمن في الحجاز ، صارت الكسوة والصدقات ترسل

(١) لم أعرف أصل آل ثقلی والراجح أنهم مماليك أو أتراك قصورهم في حي القيسارية والحيلة ، اشتراها آل النمر كما سيتبين .

محروسة بقوة من الجند ، وصار الحجاج ينتظرون خروج الكسوة فيخرجون معها ، فسمي هذا الموكب بالركب وقد عين له أمير خاص وأصبحت الكسوة ترسل سنوياً ، وكذلك الصدقات ، وقد صار تنظيم الركب . وقد خصص السلطان قلاون أحد سلاطين الماليك الأتراك الصدقات الكثيرة والهبات الوافرة لأمرء البدو كي يحافظوا على الحجاج ، فكانت هذه السنة سبباً في تمرد البدو الدائم ووقوفهم في سبيل الحجاج الى أن يأخذوا الهبات . وكان الأفضل من هذا تأديبهم كلما عصوا وتمردوا .

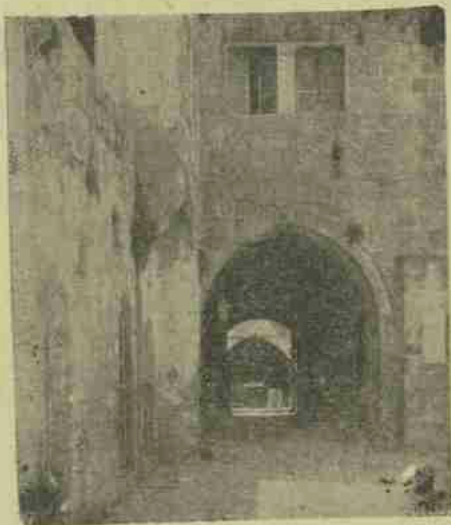
ولما ظهر سلاطين آل عثمان خصص سلطانهم الخامس السلطان محمد شلي أربعة آلاف ذهبة لتوزع على فقراء الحجاز . ولما استولى السلطان سليم على سوريا ومصر نظم ركباً ثانياً عرف بالركب الشامي ، وعرف الأول بالركب المصري ، وصار الركب الشامي يخرج ومعه حجاج الشمال فيلتقي بالركب المصري ويسير الاثنان معاً . وقد خصص السلطان سليم الأول ست ذهاب لكل شيخ من شيوخ عشائر الحجاز ولكل بدوي ذهبة ، ولكل شريف من الأشراف خمماية ذهبة ، وخصص خمسة آلاف ذهبة لفقراء مكة المكرمة ، وألتي ذهبة لفقراء المدينة المنورة ، وقمحا وأرزاً تقدر قيمته بمائتي ألف ذهبة توزع على الفقراء والبدو ، وصار الركب ينطلقان على برك الخليل ويسيران من هناك عن طريق واد اتصلت الى الكرك ومعان وتبوك والعلاء الى المدينة المنورة ومنها الى مكة المكرمة ، وكذلك في العودة .

ولما استعرت الفتن في مصر والشام وتولى اماره الركب المصري الأمير رضوان الفقاري خرج من مصر وجعل مركزه غزوة ، ثم تولى اماره الركب الشامي أخوه الأمير بهرام الفقاري بعد ابن فريخ فجعل

مركزه نابلس وتولاه بعد موته مملوكه الأمير فروخ ، فدام حكم الفقاريين نحو نصف قرن .

### آل فروخ

الأمير فروخ هو ابن عبد الله الشركسي ومملوك الأمير بهرام الفقاري تولى إمارة الركب الشامي في أول القرن الحادي عشر وضم إليه حكم نابلس والقدس ، وقد جعل مركزه نابلس ، فبنى وكالة



الفروخية غرب خان التجار ليسكن فيها رجال الركب الشامي وأصلح أحوال جبل نابلس بقدر الاستطاعة وقد دام أميراً للركب الشامي إلى سنة ١٠٣٠ هـ ، وفي هذه السنة مات في مكة المكرمة .

وكان الأمير فروخ في السنة التي مات فيها مختلفاً مع ابنه الأمير محمد ، فوكل مكانه على نابلس مملوكه يوسف ، ولما علم الأمير محمد بموت أبيه وثب على

وكالة الفروخية من الداخل ، وقد كانت مقرراً لركب الحج الشامي في عهد آل فروخ أمراء الحج

مملوكه<sup>(١)</sup> يوسف قتلته ، وتولى الحكم مكان أبيه ، وحصل على مرسوم بإمارة الركب الشامي بمساعدة الصدر الأعظم حسين باشا صدوق أبيه .

(١) وقد رماء من شباك دهبان مرابطة نابلس إلى الشارع فقتل ، ويستند هذه القصة بعض آل طوقان إلى صالح باشا طوقان خطأ .

وقد أظهر بعد ذلك قوة وسطوة فهابه العربان حتى كانوا يخوفون به بعضهم ، فإذا قيل للواحد منهم جاء ابن فروخ اصططكت ركبته من الفزع ، وقد اشترك الأمير محمد فروخ برد الأمير نخر الدين المعنى عن جبل نابلس مرتين .

ولما ضم السلطان مراد الرابع حكم نابلس للأمير نخر الدين المعنى نقل الأمير محمد مركزه الى دمشق وبني هناك داراً عرفت بدار فروخ وسمي بهذا الاسم من سكنوها بعدهم . وظل ابن فروخ في دمشق الى أن قتل الأمير نخر الدين المعنى سنة ١٠٤٣ هـ فعاد لنابلس وظل فيها الى أن مات سنة ١٠٤٧ هـ عن ولدين قاصرين وهما الأمير علي الذي مات



سنة ١٠٦٣ هـ ، والأمير عساف الذي صار أميراً المركب الشامي سنة ١٠٦٨ هـ ، ثم نازعه عليها عبد الله باشا النمر وحسن باشا التركماني وولده موسى باشا ، فصار أميراً على لواء عجلون ، وبعد قتل محمد<sup>(١)</sup>

باشا المذكور سنة ١٠٨١ هـ سافر الأمير عساف الى الآستانة ، للحصول على مرسوم بإمارة المركب

من السلطان فمات في قونية ، مؤذنة الجامع الكبير الصلاحي بنابلس التي بناها مصطفى بك الفقاري وبموته انتهى<sup>(٢)</sup> بيت آل فروخ .

(١) قتله حمد الرشيد أمير حوران وهو عائد من الحجاز . (٢) قبور آل فروخ جوار السراية القديمة بنابلس استولى عليها آل طوقان فدفنوا فيها بعض أسراهم .

## آل بهرام

بعد موت الأمير محمد فروخ تولى إمارة الركب الشامي سيده مصطفى بك ابن الأمير بهرام الفقاري وظلّ أميراً للركب الشامي الى أن توفي سنة ١٠٥١ هـ ، ومن آثاره في نابلس مئذنة الجامع الكبير الصلاحي والمارستان المجاور للجامع المذكور الذي دفن خارجه بأمر عمه الأمير رضوان " المذكور .

## الاضطراب والفوضى

وبعد موت الأمير مصطفى تولى الحكم في نابلس ممالك الأمير رضوان فسأت الأحوال وعم الاضطراب حتى سنة ١٠٦٦ هـ التي مات فيها الأمير رضوان ، فتأثرت نابلس وطردت الممالك ، واضطربت سوريا الجنوبية كلها ، فاضطرت الدولة الى إرسال حملة كبيرة وإيجاد إمارة مستقرة خرج بها عبد الله باشا النمر ، فوفق هو وأولاده الى إيجاد إمارة مستقرة دامت مدة قرن ونصف .



# الباب الثالث

عصر بني النمر

## الفصل الأول

تاريخهم وفروعهم

قيس النمر

قبيلة النمر تنتمي الى أسد ربيعة<sup>(١)</sup> العدنانية انضمت الى تغلب في حروبها مع اليمانيين وانضوت تحت لوائها بعد ذلك تقيم حيث تقيم وتظعن حينما تظعن ، ولما دخلت بكر الى الشمال ولحقها تغلب نزلت النمر بين القبيلتين ، وامندت من الموصل الى بلاد الأناضول ، وفي الفتح الإسلامي استنجد المثنى بن حارثة قائد جيش المسلمين بأُس بن هلال النمر فأنجده بمجموع كثيرة من تغلب والنمر وأياد ، فاشتركوا في واقعة البويب وتكريت والموصل . واشترك فريق منهم بقيادة صهيب النمر الملقب بالرومي في فتح الشام وقدمات هناك ودفن في الميدان الاوسط بدمشق . ولما أسس الحمدانيون التغلبيون دولتهم في الموصل وحلب اشتركت معهم النمر الى أن دالت هذه الدولة وقد نزحت في الحروب الصليبية الى الجنوب فنزل امرائها في بادية مهين وامند باقيها حتى<sup>(٢)</sup> حوران . وتعد قبيلة النمر من القبائل العربية العريقة ، فقد صاهاهم الملك قيس بن زهير العبسي حينما تخلف فيهم بعد واقعة حفر الهبابة ، وولد له

(١) راجع تسلسل القبائل العدنانية . (٢) ورد في آخر مقدمة ابن خلدون قطعة من الشعر لامرأة من النمر تستنجد بـقيس في حوران بعد أن قتل زوجها .

ولد سماه فضالة ، قدم على النبي صلى الله عليه وسلم فعقد له على من معه من قومه . وتزوج من النمر عبد المطلب جد النبي صلى الله عليه وسلم فولد له من النمرية سيدنا العباس وأخوه ضرار . ومن النمر سيدنا صهيب الصحابي المشهور الملقب بالرومي لنشأته في بلاد الروم . ومنها الحارث ابن حصير أحد رواة الحديث . ومنها زيد بن الكيس النسابة المشهور ومنها ابن القرية المشهور بالبلاغة معاصر الحجاج .

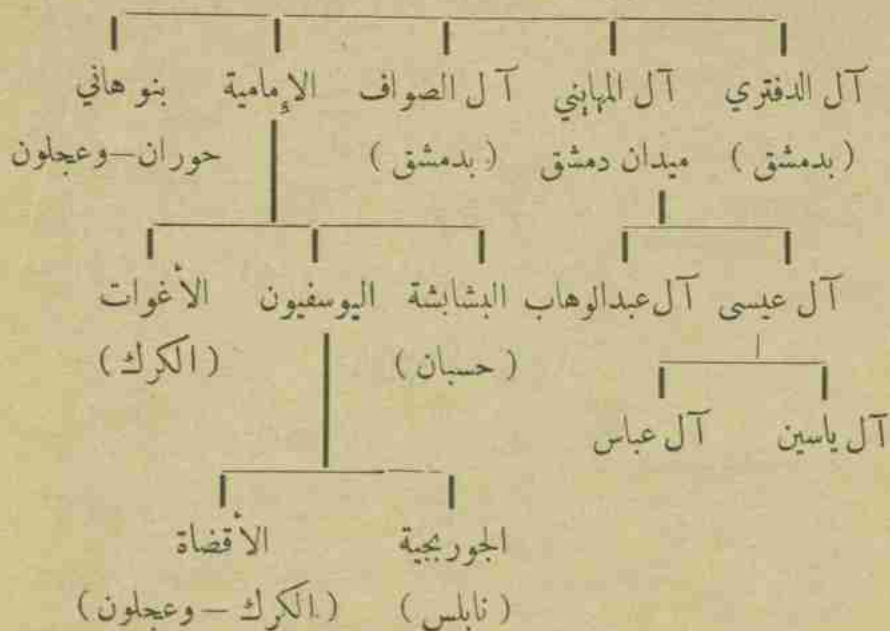
### مظنة بني النمر في الشام

نفرعت قبيلة النمر كغيرها الى بطون وعمارات ، منها : سعد ، والجراح ، وعبد منات ، وأوس منات ، وتيم الله ، ولم يحافظ على اسم القبيلة إلا أمراؤها الذين كان لهم حصن على حدود الأتراك كان يسمى بحصن نمران<sup>(١)</sup> أي حصن النمر ، وفي الحروب الصليبية نزلوا في بادية مهابين ، وامدت القبيلة بعد ذلك من حدود الأناضول الى حوران . ولجأورتهم للترك كان في الشمال واتصل بهم اتفقوا معهم وأصبحوا قادة الحركة ضد المماليك في بلاد الشام ، ثم اتفقوا مع السلطان سليم فدخلوا دمشق وأصبحوا أمراء وعماد الدولة في سورية ، فدخلوا جيشها وتقدموا في مناصبها الى أن بلغ أحدهم منصب الصدارة العظمى كما مر . وظل أمرهم في بلاد الشام سائراً على هذا المنوال الى آخر عهد الاقطاع . وقد ساروا مع الدولة العثمانية بإخلاص تام الى آخر عهدها وحكموا بقاعاً عديدة ونفروا الى بضع أسر سميت بألقابها .



(١) هكذا يسمى بلغة الأكراد والترك كان لأن الألف والنون تقوم مقام آل في تلك اللغات الشرقية .

## (١) فروع أمراء النهر في الحواضر



### أنسابهم وألقابهم

بعد خروج أمراء النهر من مہابن صاروا يعرفون بالمہابنیة ، ولا يزال فريق منهم يعرف بهذا الاسم ، وفريق عرف بالصواف لانتجارهم بالصوف ، وعرف فريق بالدفتری لأن جدہم كان دفتردار دمشق ، وهذا الفرع قد انقرض ، وفريق عرفوا ببني ہانی نسبة لجدہم ہانی بك كما مر ، وفريق عرفوا بالإمامیة لحراستهم طريق الحاج ، وقد انقرض هؤلاء الى عدة فروع وهم : الأغوات الذين نسبوا للقب آبائهم ، والبشاشة الذين نسبوا للقب أبيهم عبد الله باشا ، وقد تولوا حراسة قلعة حسان ، وفريق عرفوا بالأقضاة نسبة لجدہم القاضي الشيخ عمر ، والذين في نابلس عرفوا باليوسفين نسبة لجدہم الأول الأمير

(١) الحواضر جمع حاضرة وهي المدينة ويقال لسكانها حضر .

يوسف ، وبالجرىجية كما عرفوا في دمشق ، وقد لقبوا بالأغوات أيضاً ،  
وقد عادوا للانتساب الى نسب القبيلة القديمة ، إلا أنهم اضطربوا بين ألقابهم  
وأنسابهم فكان بعضهم ينسب للجرىجي وآخر للبوسفي وثالث للنمر مع  
الاحتفاظ بلقب آفا ، وقد لقب بعضهم بك ، ثم اقتصروا على لقب  
آفا ، ونسب النمر وهو الغالب والأصح .

## الفصل الثاني

### حملة الامامية للجنوب

#### سبيلها وفروعها

حكم المماليك الفقار يونس الجنوب وأمنوا طريق الحج والركبين المصري  
والشامي نصف قرن كامل ، وحينما كانت سوريا الوسطى تضطرب كانت  
سوريا الجنوبية آمنة مستقرة ، ثم مات الأمراء الفقاريون الواحد تلو  
الآخر ، فصارت الفوضى تزداد يوماً فيوماً الى أن مات الأمير رضوان  
فعمّ الاضطراب ، وطرده جميع المماليك الفقاريين من جبل نابلس ،  
فاضطرت الدولة الى إرسال حملة كبيرة لإقرار الحالة في جنوب سوريا  
وتأمين طريق الحج ، تخرج بالحملة أمير عساكر الشام عبد الله باشا النمر  
عن طريق حوران والجولان وعجلون ، ودخلت جبل نابلس عن طريق  
بيسان وذلك في آخر سنة ١٠٦٦ .

#### عبد الله باشا النمر

كانت فرقة البرلية<sup>(١)</sup> في دمشق تشكّون من كتائب أربع : الأولى

(١) البرلية أي الوطنيين .

من العرب وأمرائها من النمر المهاييين ، والثانية من التركان وأمرائها من ذرية غازي<sup>(١)</sup> باشا شمسوار ، والثالثة من الأكراد وأمرائها من آل بيرم ، والرابعة من الممالك وأمرائها من الممالك الفقاريين ، وكان أمراء بني النمر يفوقونهم جميعاً لأنهم فوق هذا أمراء عرب الشام في الغوطة وعجلون وحوران وفي الوقت الذي صدرت فيه الإرادة السلطانية بخروج الحملة كان عبد الله باشا<sup>(٢)</sup> النمر أميراً على عساكر الشام كلها وكان أولاده علي آغا ويوسف آغا وعثمان آغا ضباطاً للكتيبة اليرلية العرب فيها وكل منهم برتبة جوريجي ، وكانوا من أنصار السنة والعلم فاضموا هذه الفرصة للاستيلاء على الجنوب ، ولأنهم عمروا المساجد والقلاع ، وأحبوا العلم والسنة ، وأمنوا طريق الحج ، فقد عرفوا بالإمامية ، وبهذا عرفت حملتهم وعساكرهم .

### جموع الحملة

تكوّنت الحملة من فصيلة من اليرلية العرب بقيادة يوسف آغا وعثمان آغا ولدي عبد الله باشا أمير الحملة ، وفصيلة من اليرلية الأكراد بقيادة أحمد آغا بيرم ، وفصيلة من التركان بقيادة مصطفى بك شمسوار ، وفصيلة من الأنكشارية بقيادة جعفر بك الأنكشاري ، وفصيلة من التركان بقيادة الأمير عساف فروخ .

وانضمت إلى الحملة جموع من عرب الغوطة وبادية الشام بقيادة علي

(١) من ذرية شمسوار المار الذكر صار والياً على دمشق فسكن فيها ، واشتغلت ذريته بالعلم والجندية . (٢) وهو ابن حسين باشا النمر أحد ولاة الشام اشتهر بالآغا الجريججي كأمرته وقد نال لقب باشا مؤخراً أي بعد الحملة ، وإنما اختير للحملة لمكانته الشعبية أكثر من رتبته الحكومية .

آغا ابن عبد الله باشا المذكور ، ومن عرب عجلون وحووران بقيادة أبناء هاني بك المهابني ، ومن عرب الجولان بقيادة الحاج محمود طوقان ، ومعهم أحلافهم من العيطة<sup>(١)</sup> والبشانة<sup>(٢)</sup> . وانضم إليهم من عرب الغور العبيدات الجراحيون<sup>(٣)</sup> . وكان مع الحملة فرحان بك دروزة الذي يقال انه من الفريجات في جبل عجلون .

### خطة عبد الله باشا وأعماله

خولت الدولة عبد الله باشا وأولاده سلطة مطاعة ليوجدوا استقراراً في الجنوب إلا أن عبد الله باشا رأى وجوب استعمال الحكمة ، فاتفق مع أولاده على تجنب الصدام والعمل للاستقلال بامارة البلاد والمخلص من الفصائل المتردة واستمالة الأهالي بالعدل والإنصاف . فلم يبحث عن مسببي الفوضى والاضطراب لأن الغرض منها كان للتخلص من حكم المماليك الفقاريين ، فشكل حكومة إدارية في نابلس برئاسة ولده علي آغا ، وشكل مجلس الشرع الشريف برئاسة القاضي الشيخ عبد القادر العلمي ، ثم شكل حكومة في القدس وشكل كتائب عسكرية يرلية ولأها لولديه يوسف آغا وعثمان آغا ، ثم ترك جبل نابلس للوالي الجديد علي باشا كيوان ولأولاده ، وخرج ببعض الفصائل التي انضمت إليها جرود من جبل نابلس ونزل في البلقاء ، فبنى قلعة وشكل حكومة ،

(١) العيطة منهم : الصدر والسخن والقصص وأبو شامة في نابلس ، وهم طائيون .  
(٢) منهم آل البشتاوي وآل التاباسي في نابلس ، وقد سميت الأسمرة الأخيرة بالنابلسي انزول جدها الى مكة فاشتهر هناك بالنابلسي ، ولما عاد ولده أو حفيده لنابلس عرف بالنابلسي المكي ، فأناكره أبناء عمه ليفصبوا أملاكه . (٣) ومنهم آل الخماش وأبو الهدى والجوهري الآتي الكلام عليهم .

ثم رحل الى الكرك ، فصاهر عمرو<sup>(١)</sup> وعهد إليهم بحراسة طرق الحج  
ثم رحل الى معان ونزل فيها ، وبني معان الجديدة وبني القلاع ومنازل  
الحج حتى تبوك ، وأمن بذلك طريق الحج من دمشق الى العلاء فصار  
يسير بأمان . وقد اشتهر هو ورجاله بين البدو بالامامية ، وظلت الأحوال  
سائرة على غاية ما يرام الى حوالي سنة ١٠٨٠ هـ التي مات فيها ، فاضطربت  
الأحوال بعده في المناطق الشرقية ، فخرج إليها ولده الأمير يوسف  
بجملة ثمانية فبدأها كما سيبتين .

## الفصل الثالث

### استقلال الامامية بالامارة

#### الخطبة الحكيمة

لم يرد عبد الله باشا وأولاده سلوك طرق العنف للتخلص من عناصر  
التمرد لا سيما الانكشارية ، فأخذوا يتحينون الفرص للتخلص منهم .  
وكانوا في نفس الوقت يعملون لاستمالة أهالي البلاد والنفخيف عنهم .

#### تخفيف الضرائب

تحرر علي آغا النمر متسلم نابلس الخانات ، فأثبت بتقرير رسمي  
لدى الحاكم<sup>(٢)</sup> الشرعي أن خمسا وثمانين خانة قد تخربت وتركها أهلها  
نظراً لما حل بهم من الدمار في المدة الماضية ، وكان عدد الخانات كلها  
مائة وستا وثمانين خانة ، وكان ذلك بمناسبة طلب مشير الشام قرشين

(١) هم أقوى عشائر الكرك إذ ذاك ، وهم من عمرو مضر أو ربيعة اعتمد عليهم  
لكثرتهم وقوتهم كما سيبتين . (٢) راجع فصل المهدي في باب الحكومة من الجزء الثاني .

عن كل خانة بموجب أمر سلطاني . وبناءً على تقرير علي آغا المصدق من الحاكم الشرعي ، أعفى جبل نابلس من نصف الضرائب والأموال الأميرية المعتادة ، وذلك سنة ١٠٦٨ هـ .

### أخراج الأنكشارية

ازداد أهالي البلاد تمسكاً بالإمامية ، فشجعهم ذلك على التعهد بحراسة البلاد وحكمها بلا أنكشارية ولا ممالك ، فصدرت الأوامر لهم بالرجوع إلى الشام ، ثم تلاهم الأكراد ، ولم يبق في البلاد إلا فصائل اليرلية من العرب والتركمان ، وكان هؤلاء متعربين وقد اختاروا سكنى السهول ، وبذلك تمكن بنو النعم من توطيد إمارتهم دون منافسة . وفي أوائل القرن الثاني عشر تمرد تركمان المريج ، فأبعدوا أيضاً كما سيأتي .

### فروج إمارة الركب الشامي والممالك

بعد استقرار الحملة في جبل نابلس صار الأمير عساف فروخ أميراً للركب الشامي سنة ١٠٦٨ هـ ، إلا أن عبد الله باشا خشي من أن يكون وجود الأمير عساف سبباً في رجوع الممالك الفقاريين ، فعمل بالاتفاق مع حسن باشا التركماني على نزع إمارة الركب من الأمير عساف ، فتولاها حسن باشا الذي جعل مركزه دمشق ، ولأن الأمير عساف عين مير لواء على عجلون ، فقد خرج<sup>(١)</sup> من نابلس ، وبخروجه

(١) ولم يعد الركب الشامي إلى جبل نابلس إلا مرة سبغ أرائل القرن الثاني عشر الهجري حينما صار أميره الشريف يحيى باشا البركات من آل أبي نزا أمراء مكة المكرمة ، ثم عين حاكماً على معرة النعمان فعاد الركب الشامي إلى دمشق ، وكان أمراء آل العظم قد ظهروا ، فاستقر الركب في دمشق .

خرجت فصيلة الماليك وبعض الأكراد ، ثم خرجت باقي العناصر . فزاد ذلك أهالي البلاد اغتباطاً إذ أصبحت البلاد كلها متفاهمة رغم وجود بعض أمراء من الأكراد والتركمان ، وقد تعاون الإمامية مع رؤساء وعشائر البلاد ، فأنهضوها وأصلحوها ، فدخلت في دور استقرار دام مدة قرن ونصف كانت فيهما من أسعد بلاد الدولة العثمانية<sup>(١)</sup> .

## الفصل الرابع

### رؤساء وعشائر العصر

#### « القضاة »

كان الشيخ عبد القادر العلمي<sup>(٢)</sup> أول قضاة عصر آل النمر في نابلس ، وقد ساعدتهم على توطيد مركزهم ، وصاهر الأمير يوسف وعاضده ، وولاه خلافة الصوفية فأكسبه بذلك عطفاً شعبياً كبيراً ، وكذلك حفيده الشيخ عمر الآتي ذكره . ثم ظهر القضاة التميميون<sup>(٣)</sup> في القرن الثاني عشر ، فوقفوا مواقف كانت من أهم الأسباب في القضاء على التمرد . وكانت لهم مواقف إباء مجيدة ، فقد بلغت بأحدهم الجرأة إلى حد التمرد على السلطان كما سيظهر . وقد تلاهم قضاة من آل البسطامي

(١) راجع الجزء الثاني . (٢) العلميون هم حشنيون من بلدة علم في بلاد المغرب وقد نزل جدهم الشيخ محمد العلمي في القدس في القرن العاشر الهجري فأحيا التصوف فيها ، وقد ظهر من ذريته علماء وقضاة أجلاء . (٣) هم من ذرية سيدنا تميم الداري الصحابي المشهور ، جاء جدهم الشيخ عبد الفتاح بن درويش التميمي قاضياً لنابلس فاستوطنها ، ومن ذريته آل التميمي بنابلس ، وسقاني تراجع قضائهم في الجزء الثاني .

والخالدي<sup>(١)</sup> والخماش كانت ظروفهم مضطربة .

### الأمراء الشافعيون

هم من ذرية القاضي جلال الدين بونس قاضي قضاة القدس والرملة ونابلس في عهد المماليك الشراكسة ، وأصله من مصر توالى من ذريته القضاة الشافعيون فعرفت ذريتهم بآل الشافعي ، وقد ظهر منهم في العهد العثماني أمراء نغام صاروا أمراء للركب المصري وحكاماً على لواء غزاة بعد الأمير رضوان إلى أن ظهر آل مكي . فظهر منهم : محمد باشا الشافعي ، وولده مصطفى باشا ، وابن أخيه حسين باشا ، وظهر منهم أيضاً بيكوات وجوريجية كثيرون ، وقد ظلوا أمراء اقطاعيين إلى أواسط القرن الثاني عشر الهجري ، وكان آخر أمرائهم الرسميين صالح بك الشافعي ميرألاي كتيبة نابلس بعد اسماعيل آغا النمر ، وبعده اعتزلوا وعاشوا من اقطاعهم وأملأهم وأوقفهم الكثيرة التي لا يزالون يملكون جانباً منها . وقد عاشوا مع أصهارهم آل النمر على نفاهم ووئام تام .

### بيكوات التركمان

قرَّب العثمانيون آل شمسوار ، وولاهم حكم الايالات في الروملي والأناضول والبلقان ، وقد عين أحدهم غازي باشا شمسوار والياً على ايالة الشام ، فاستوطن دمشق ، واشتغلت ذريته بالعلم والجنديّة ، ولما خرج عبد الله باشا النمر بالحملة كان فيها كتيبة من التركمان بقيادة الميرألاي مصطفى بك شمسوار الذي ظلّ ميرألاي في نابلس واستوطنها ، فبنى قصرآ جوار قصر الأمير يوسف النمر ، وقد تولى بعده ولده خليل بك

(١) نسبة لسيدنا خالد بن الوليد الخزومي رضي الله عنه ، سكنوا القدس ، وظهر منهم عدد كبير من القضاة الأجلاء بدرجة القاضي الكبير .

امارة ألابي نابلس ، وبعده انتقلت لآل النمر ، وظلّ أبناؤه وأحفاده  
زعماء اقطاعيين الى آخر عهد الاقطاع ، وكانوا من أخلص وأوفى الناس  
لآل النمر .

### الزعماء التميميون

بعد الحرب الاهلية التي نشبت بين الصف التميمي والصف الكردي  
في الخليل سنة ٨٧٨ هـ تفرق التميميون في جهات شتى منها الكرك ونابلس  
ودير نظام. وقد عرف الذين نزلوا في نابلس بالسلطان ولما شكل  
الأمير يوسف النمر كتيبة نابلس اليرلية دخل فيها مصطفى سلطان التميمي  
وصار زعيما بلقب باغا وجوريجي وتوالى الزعماء من ذريته ثم نافسوا  
آل النمر وعاضدتهم بعض الاسر الخليلية فثاروا في أواسط القرن  
الثاني عشر مرتين جلوا في الاخرة منها عن جبل نابلس كما سيأتي .

### الزعماء الخليلية

بعد الحرب الاهلية في الخليل المار ذكرها توالى جلالة الاسر  
والعشائر الخليلية من الفريقين الى جبل نابلس ومنها : التكروري ،  
والصاحب ، وكعمكور ، والدودة ، وبغارة البقرة ، وسالم البجي من  
التمميمين ويلحق بهم من صفهم الشنيوات ، وأبو الرووس ، وكلبونه  
والحامد<sup>(١)</sup> ، والزغبة ، والعاول . ومن الصف الكردي آل شاهين<sup>(٢)</sup>  
والخليلي<sup>(٣)</sup> ، وقادري عيناثي ، والمصري<sup>(٤)</sup> ، وزكريا ، والسائح ،

(١) الحامد والزغبة والعاول يرجعون الى أصل واحد (٢) آل شاهين ينسبهم البعض  
لبنى مخزوم وقيل لثمة اتوا من الكرك (٣) هم من عشيرة الحامدة (٤) وهم الذين  
تفرغ منهم ياسين ورزق وزريق وسعادة

والطرطوط<sup>(١)</sup> والقنصير، والبحش<sup>(٢)</sup> وعشيرة الدويكات<sup>(٣)</sup> .  
وقد نزع عن بيت جبرين الحلواني وعائش والشريم وقد كان لهذه  
الاسر اثر في حوادث المدينة .

### « شيوخ النواحي »

كان شيوخ نواحي جبل نابلس من بقايا عشائر العهد الماضي المتباغضين  
المتمردين ، ومنهم عشيرة المشاقي مشايخ الجبل الشمالي ومر كزهم ياصيد  
وعشيرة<sup>(٤)</sup> الرشيدات شيوخ بلاد حارثه ومر كزهم « صير » ، والمهاميط  
ومر كزهم جينين ، والعشيرة النزالية في القراوية الشرقية ومر كزهم « عرابه » ،  
والهناطشة في القراوية الغربية ومر كزهم « شويكة » ثم « قاقون » ،  
وعشيرة شبيطه في بني صعب ومر كزهم في رأس العين ، وعشيرة العنوم<sup>(٥)</sup> في  
جماعين ومر كزهم عزون المعروفة اليوم بعزون ابن عتمه او عزون الخراب ،  
وعشيرة بني شمسة في المشاريق ومر كزهم بيتا والعطاءطة في وادي الشعير  
ومر كزهم رامين . وقد ظلت هذه العشائر تثور وتتردد الى أن قضت  
على بعضها وضعفت فخل محلها غيرها كما سيأتي في الباب الرابع .

(١) وهم من حامولة الهنانية (٢) وهم من حامولة العوبض في الخليل (٣) راجع  
عشائر جبل نابلس في الباب الرابع (٤) وهم يمانيون من الضيغم الزبيدي من بقايا اليمانيين  
في جبل نابلس ومن اقدم عشائر الاقطاع (٥) والراجع انهم من نسل آل عبد القادر  
المار ذكرهم .

## الفصل الخامس

### الأمير يوسف النمر

#### نشأته وثروته

الأمير يوسف هو ابن عبد الله باشا النمر المار الذكر ، وأمه بنت الصدر الأعظم نصوح باشا النمر المار الذكر ، وحفيده السلطان أحمد<sup>(١)</sup> الأول ، علمه والده في دمشق ، ثم أدخله في جند اليرلية ، فصار بلو كباشياً<sup>(٢)</sup> بلقب آغا ورتبة جوريجي ، ثم صار ميرالياً بلقب بك ، فعرف بيوسف بك في أخريات حياته . وكان والده في أخريات حياته قد أشرك معه في حكم المناطق الشرقية ولديه علي آغا وعثمان آغا ،



بوابة قصر الأمير يوسف النمر  
المعروف بدار الآغا الكبيرة

وترك جبل نابلس لولده الأمير يوسف بك وحفيده علي آغا وصالح آغا ، وكان الأمير يوسف أشجع إخوته وأكثرهم ثروة ، إذ ورث من أمه ثروة كبيرة ، كما ورث ثروة أخرى من زوجاته وإحداهن بنت الصدر الأعظم سياغوش باشا والآخرى بنت الأمير رضوان الفقاري ، والثالثة بنت القاضي الشيخ عبد القادر العلمي ، وبهذه

(١) ولان جده آل النمر اليوسفيين حفيده السلطان أحمد ، فقد منعوا تزويج بناتهم من غير أسرهم ولا يزالون . (٢) كانت هذه الرتبة كبيرة ذكرها المرادي .

الثروة اشتغل بالتجارة ، وأسس الإمارة ، واشترى أملاكاً كثيرة من دور وبساتين وأراضٍ في نابلس وقراها ، وقد اشترى قرية بيت سلوم جوار عزرون ابن عتمة .

### تأسيس الإمارة

كان الأمير يوسف مصمماً على سكنى نابلس ، فخلالما نزلت الحملة واستقرت اشترى داراً حولها إلى قصر اقطاعي<sup>(١)</sup> جميل في الجهة الشمالية<sup>(٢)</sup> الشرقية من مدينة نابلس أوفاه جميع ما يجب أن يكون فيه حسب طراز ذلك العهد من الدواوين والغرف والمقاصير ، فصار هذا القصر قاعدة الحكم ومقر إمارة جبل نابلس مدة تزيد على القرنين .

وقد بنى الأمراء والضباط والزعماء والتجار دورهم في البقعة التي بنى فيها قصره ومنهم آل مرعي ، والاخرص ، والنابلسي ، وشهسوار ، وشاهين ، والمصري ، ومنكو ، والبابا ، وبعارة ، وأمين العرين ، وبكري ، والطوباشي ، والششتري وغيرهم من الأشراف ، وقد نقل مجلس الشرع الشريف إلى هذا الحي أيضاً . وقد انتشر البناء في هذه البقعة ووسع السور<sup>(٣)</sup> وزيدت البوابات .

وكان الأمير يوسف فوق هذا عالماً ، فبعد اتصاله بصهره الشيخ عبد القادر العلمي أخذ عنه طريقة التصوف فأحبه الشعب وصار أميراً

(١) راجع بحث القصر في فصل الاماكن الخاصة في باب أحوال المجتمع في الجزء الثاني . (٢) وقد سمي هذا الحي بالحبلبة لأنه كان مقسماً إلى بساتين تعرف بالحواكير المحاطة بأحجار غير مبنية تسمى الحبلبة . (٣) كانت نابلس محاطة بسور بسيط فيه أربع عشرة بوابة لاخذ المكوس ( الجمرك ) .

عسكرياً ورئيساً روحياً . وكان محباً للعمران والتقدم والنهوض ، ففي الوقت الذي كان يعمل فيه لتأسيس الإمارة ، كان يبذر بذور النهضة العامة ، ويخطط خطط العمران ، فهو مؤسس إمارة بني النمر ومنهض جبل نابلس ، على أن أعماله لم تقتصر على جبل نابلس إذ إن موت أبيه وثورة الكرك والبلقاء واضطراب منطقته معان وعجز الإمامية هناك عن تسكينها كل ذلك حمله على الخروج بجملته أخرى وفق فيها كل التوفيق فعدّ بعد ذلك أمير سوريا الجنوبية وكافل قلعة الكرك وحامي طريق الحج كما سيأتي .

### النهضة العسكرية

بعد خروج الانكشارية والمماليك والأكراد قام الأمير يوسف بتشكيل كتيبة من النابلسيين فيها الفرسان والمشاة وقد ساعده والده في تشكيلها . وبتوزيع الاقطاع على الفرسان الذين عرفوا بالسباهية ، أصبح منهم الزعماء والعرفاء الذين لقبوا بـ « آغا » و « جوريجي » وبشبه . فانتظم في هذه الكتائب عدد من أبناء الأسر الكبيرة الذين نالوا فيها مراكز طيبة ومنهم : مصطفى آغا جوريجي سلطان التميمي ، وناصر جوريجي ومراد بك وحسين بك أبناء محمد باشا الشافعي ، وصالح بك المصري ، وعثمان بشه بن كمال <sup>(١)</sup> بطوطه ، وفخر الدين بك ابن الحاج علي فحبة <sup>(٢)</sup> ، وحسن آغا جوريجي بن أبي بكر الأخرمي ، وحسن آغا جوريجي ابن الشيخ بكري النابلسي ، ومراد بك بن ابراهيم

(١) نسبة إلى جدهم ابن بطوطه السائح المغربي المشهور وقد نفعوا إلى دياب ، وبطوط ، والمغربي ، وكل . (٢) يرجع نسبهم لبني سليم الحجازيين ولهم أقارب في مصر ومنهم نفع آل الداري بنابلس .

مرعي<sup>(١)</sup> ، وعلي بك أبي زعرور . وقد احترقت الجندية أسر كثيرة فيما بعد منها : عسقلان ، والبشتاوي ، وخريم ، وجيري باشي ، والرطروط وأبي سمرة ، وأبي شليك ، والمري ، وأبي زعرور ، والخلة ، والطوباسي وباكير ، والبيت ، والحلي ، والششتري ، وبعاره ، والكنا<sup>(٢)</sup> وشهسوار ومخلوف فكان منهم الزعيم ، والشاويش ، والسباخي ، والتابع ، وقد كانت هذه الكتيبة الوطنية التي عرفت بالاي سباهية نابلس سبباً في الحيلولة دون وجود الانكشارية في جبل نابلس حتى نهاية عهد الاقطاع . وقد تولى إمارتها الأمير يوسف بنفسه ، ثم ولاها فيما بعد لحليل بك شهسوار ، ثم انتقلت لحفيده محمد آغا واستقرت في آل النمر حتى نهاية عهد الاقطاع كما سيأتي .

### (٣) النهضة الاقتصادية

كان مما سهر عليه الأمير يوسف انهاض البلاد اقتصادياً فأنشأ المصبنة التي عرفت باليوسفية نسبة اليه وأمن طرق التجارة واتصل بأصهاره وأقاربه في القدس ودمشق ووكل الوكلاء . وقد حذت حذوه أسر كثيرة سيأتي الكلام عليها فتحسنت الأحوال التجارية ، وقد عمر العمارات وشجر البساتين وسهر على الاقطاع فتحسنت الحالة الزراعية . وأتى بمهرة الصناع من حلب وحماة ودمشق وأنزلهم في نابلس ، فازدهرت الصناعة وتحسنت اقتصاديات البلاد كلها . ولتحسن الصلة بين نابلس والمقاطعات الشرقية ، فقد أصبحت نابلس تصدر كثيراً من مصنوعات إليها وتستورد

(١) آل مرعي أسرة حلبية اشتهت بالعلم والجندية كان منهم كتاب مجلس الشرع ووكلاء لا يهملون نابلس ومتسلي آل نمر . (٢) وكانت أسرة الكنا تلقب بالبيك وقد انقرضت من عهد قريب . (٣) راجع باب التجارة في الجزء الثاني .

منها كثيراً من المواد اللازمة لها . واستمرت الحركة الاقتصادية في تحسن يغذيها أولاده وأحفاده حتى بلغت بعد قرن الغاية المنشودة في التقدم وأصبح جبل نابلس من أغنى بقاع المعمور وازدهت نابلس بالكنوز .

### النهضة العلمية<sup>(١)</sup>

مضى على جبل نابلس نحو قرن ونصف كان فيهما مسرحاً للفوضى فتقهقرت الحركة العلمية ثم اضمحلت ؛ فلما نزل فيه آل النمر بحملتهم وجدوا أن مدارس العلم قد درست وضاعت أوقافها وقد تناقص علماء نابلس ولم يبق منهم إلا الشيخ أبو بكر الاخري ، فانفق معه الأمير يوسف النمر ومعه صهره الشيخ عبد القادر العلبي على القيام بنهضة علمية ققبضوا الأوقاف وحضوا على العلم وتولى الشيخ أبو بكر الاخري التدريس في الجامع الحنبلي فجلس على حلقة الأمير يوسف النمر بنفسه وأولاده الثلاثة صالح آغا وعلي آغا وعمر آغا واقندى به سائر الأمراء وتحركت أسر العلم ، فصارت تحض أبناءها على العلم وترسلهم الى القدس ودمشق ومصر فازدهرت الحركة العلمية وتقدمت فظهر في القرن الثاني عشر عدد كبير من العلماء<sup>(٢)</sup> الأعلام .

### الاضطراب والثورة في المناطق الشرقية

كانت قبيلة العمرو خارجة من الحجاز قبل الحملة بقليل ولما توات أمر حراسة طرق الحج في اللقاء والكرك طغت واستبدت حتى كانت تجبر البدو على قطع الشوك وجعله طارحه يدوسونها حتى تدمى أرجلهم

(١) راجع باب العلم في الجزء الثاني . (٢) راجع تراجم العلماء في الجزء الثاني في باب العلم .

فثارت عليها عشائر الكرك ووقعت حرب أهلية امتدت إلى البلقاء ومعان دارت فيها الدائرة على العمرو وباغت التميمية رجال الحكومة والحامية في القلعة من رجال عبد الله باشا فذبحوهم عن آخرهم . وكان عبد الله باشا قد مات قبل ذلك وتعطلت طريق الحج وامتد التمرد حتى حوران فقتل أمير الحج موسى باشا التركمان سنة ١٠٨١ وعجز علي آغا وعثمان آغا ولدا عبد الله باشا النمر عن إخضاع التمرد ولم يمدحهم والي الشام بشيء فاستنجدوا بأخيه الأمير يوسف في نابلس .

### محمد الجوريجي إلى البلقاء والكرك

أصبحت كتيبة الأمير يوسف النمر قوية متماسكة ، وانضمت إليها جموع كثيرة من عشائر جبل نابلس البواسل ، ومن التركمان وبقايا الأكراد ، فدخل البلقاء وأخذ ثورتها ، وضم إليه ما استطاع من عربانها ، وتقدم بهم نحو الكرك ، ولما قرب من مدينة الكرك لاقاه التميمية بجمعهم ، فغلبيهم وهربوا تاركين في الساحة منهم ثلاثين قتيلاً ، فدخل الكرك دخول الظافر ونزل في قلعتها . وقد ضرب ببساتنه المثل فصار يقال سيف يوسف جوريجي ولا يزال ، وقد عرفت حملته بحملة الجوريجي . وملأت سطوته قلوب العشائر الشرقية رعباً ، فأخذت تتوافد عليه مقدمة له الطاعة ، وكانت هذه الحملة أول عمل قامت به الكتيبة النابلسية ، فأكسبها ذلك شهرة واسعة .

### امراء بعض عشائر الكرك والבלقاء

وبعد أن استقرت الأحوال قرّب الأمير يوسف إليه عقلاء العشائر وأخذ بمساعدتهم بحل العشائر التي ثبت أنها أصل الثورة ، فأجلى التميمية

الى الخليل ، فعرفوا بالمجالي ، وأجلى الجرادات أكبر عشائر العمرو الى جبل الخليل وجبل نابلس . ثم تحول نحو البلقاء فأجلى بني غازي<sup>(١)</sup> والحواترة وغيرهم الى ناحية جماعين في جبل نابلس ، وأجلى عشيرة قير الى جورة عمرة ، فنزلوا في كفر قدوم ، وأجلى الشقران الى لواء اللجون ، وقد أجلى غيرهم وأسكن عدداً من عشائر جبل نابلس من عرب وتركمان ودويكات في منطقتي الكرك والبلقاء ، وأصبح الإجماع الى جبل نابلس ، ومنه عادة جارية مدة قرن كامل ، ولهذا فإنها توجد قرابة وصلة بين كثير من عشائر جبل نابلس والكرك والبلقاء ، كما أن أسماء بعض القرى والبقاع في الجهتين واحدة .

### التنظيم الجديد

رأى الأمير يوسف أن من الصعب حكم المناطق الشرقية ما دام المركز العام في معان . فنقله الى الكرك لأنها تقع بين البلقاء ومعان ، وأتى بالإمامية<sup>(٢)</sup> وأمراءهم من الأغوات<sup>(٣)</sup> والبشاشة ومعهم بنو حميدة<sup>(٤)</sup> الى الكرك فأسس علي آغا الحكومة وعثمان آغا كتيبة عسكرية بمساعدة أخيه الأمير يوسف وأسس الشيخ عمر ابن الأمير يوسف مجلس الشرع<sup>(٥)</sup> وصارت حكومة الكرك تسيطر على مناطق شرق الاردن كلها من عجلون الى العقبة ، وظلت كذلك الى أواخر القرن الثاني عشر . وقد

(١) راجع عشائر جبل نابلس في الباب الآتي . (٢) عرف رجال عبد الله باشا جميعاً بالإمامية في المناطق الشرقية . (٣) عرف علي آغا وعثمان وذريتهما فيما بعد بالأغوات وعرف اخوتهم الصغار وذريتهم فيما بعد بالبشاشة نسبة الى لقب أبيهم عبد الله باشا . (٤) يقال ان منهم أسرة النبط بنابلس . (٥) عرفت ذريته بالافضاة ومنهم فريقي بك جبل عجلون .

سكن الأغوات قلعة الكرك<sup>(١)</sup> ، وتولى إخوتهم البشاشة حماية قلعة  
حسبان . وقد أصبح الأمير يوسف كافلاً لقلعة الكرك ، واقب بأمير  
الأمراء .

### تغيير طريق الحج

كان من رأي الأمير يوسف تغيير طريق الحج فوافقه والي الشام  
على ذلك ، وبعد أن كان الركب يسير عن طريق معان الى قلب  
الحجاز صار يسير من الكرك الى الشوبك فالعقبة ، ثم يسير عن طريق  
ساحل الحجاز الى الوجه والينبع ، وبهذا أصبح الطريق أكثر أماناً من  
ذي قبل ، وقد دام على هذا السير نحو قرنين كاملين .

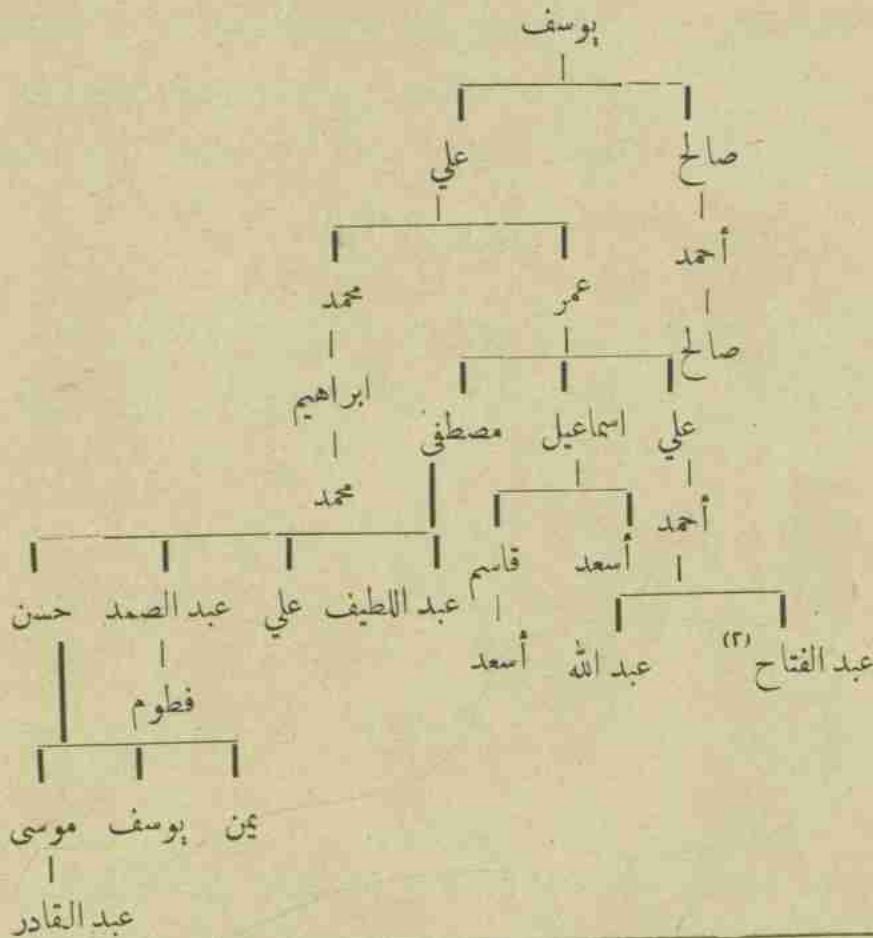
### باقي أعماله وزرته

قضى الأمير يوسف باقي حياته التي انتهت حوالي سنة ١٠٩٧ هـ  
منقلاً بين نابلس والقدس والسلط والكرك ومعان ينظم الكتائب ،  
ويصلح أحوال البلاد ، وهو من طريق الحج . وقد حسن العلاقات  
التجارية بين نابلس والقدس والمناطق الشرقية ، فكان البدو يستوردون  
من نابلس ما يحتاجون إليه من الملابس الصوفية والقطنية والمصنوعات  
الحديدية والسروج وغيرها ، ويأتون لنابلس بالقليل والسمن والصوف  
وغیره ، وصار سكان شرق الأردن وغرب الأردن يتبادلون السكنى  
والسلع .

(١) وفي أواخر القرن الثاني عشر بدأ التميمية يعودون الى الكرك تدريجياً فربوا  
مؤامرة مع العشائر الحاسدة للأغوات و باغثوهم في القلعة يوم العيد وقتلوا عدداً منهم  
وأخرجوا الاطفال والنساء واستولوا عليها وقد رحل الاغوات بعد ذلك الى خربة سمره  
وانضم اليهم الامامية جميعاً واصهارهم من العزرو وبني حميده فحافظوا على كيانتهم ولا يزالون

وقد رَسَخَ الأمير يوسف قدم بني النمر في الجنوب ، وعرفت  
ذريته فيما بعد في جبل نابلس بالأغوات الجوريجية ثم باليوسفيين الى أن  
عادوا للانتساب الى النمر مع بقاء لقب آغا . ولقد وفقوا الى إيجاد  
امارة<sup>(١)</sup> مستقرة مستوفية لكافة الشروط والنقائيد ، وقد مات الأمير  
يوسف محترماً محبوباً من الجميع بعد أن أوجد في سوريا الجنوبية نهضة حقيقية .

### تسلسل بني النمر في نابلس



(١) راجع باب الإمارة في الجزء الثاني . (٢) أن آل النمر الباقين هم من ذرية  
ذرية عبد الفتاح وعبد الله وعبد القادر والباقون ماتوا بلا خلف .

## الفصل السادس

### البليغ المفرد علي جوريجي النمر

#### نشأته وصفاته

علي آغا جوريجي هو أكبر أبناء الأمير يوسف النمر وأمه السيدة علمية بنت الشيخ عبد القادر العلمي .

نشأ نشأة الفتوة<sup>(١)</sup> مشبعاً بروح الفروسية كآبيه وأعمامه ، ولما كبر طلب العلم على حلقه الشيخ أبي بكر الأخرمي وسار على خطه آبيه في التصوف فنبح وفاق الأقران حتى خوطب بالبليغ المفرد . ثم أدخله والده في ألاي السباهية وأعطاه إقطاعه ثم صار متسلماً على نابلس بعد انتقال عمه علي آغا إلى معان وقد تعاون مع أمراء آل الشافعي وآل شمسوار على حكم جبل نابلس فأحسن القيام به ، ولما كبر أخوه الشيخ صالح وأولادهما أحمد آغا ومحمد آغا وعمر آغا ساعدوه في الحكم ثم ضم إليهم حكم القدس والد والرملة فترك الجرجي الحكم لهم واعتزل .

وكان علي آغا مثال الزهد والنبيل والشجاعة والكرم مع الحكمة في الحكم والسياسة فاشتهر فضله عند العام والخاص واحترمه العلماء وأجلوه وقد أعجب به الشيخ عبد الغني النابلسي الدمشقي<sup>(٢)</sup> كبير علماء عصره فنزل ضيفاً عليه حينما زار القدس سنة ١١٠١ هـ وأثنى عليه ثناء عاطراً في رحلته القدسية فقال : « وقد نزلنا في بيت متسلم تلك البلاد النابلسية

(١) راجع أصلي الفتوة والفروسية في باب الامارة من الجزء الثاني . (٢) آل النابلسي بدمشق أصلهم من قرية جماعين في جبل نابلس ، رحلوا إلى دمشق في الحروب الصليبية .

(م ١٢ - ج ١ - تاريخ جبل نابلس والبقاء)

والأما كن الشريفة الانسية ، وهو صاحب الأخلاق الرضية والسلالة  
العلمية مفخر الأعيان وآنسان العين بالنسبة الى نوع الانسان جناب علي  
الجرجي من أعيان الجرجية التي في دمشق المحمية ابن المرحوم مفخر  
الأمرء المعترين الأمير يوسف كافل قلعة الكرك سابقاً فقابلنا بصدره  
الرحيب ووجهه الذي هو وجه الحبيب فكثنا عنده خمسة أيام في عيش  
هني وقدر سني وروض جني ، فتصاحفنا بكفوف الأرواح والسرور  
ودخل علينا الإخوان والأحباب وتفتح لنا من بشارير القبول آيات «  
وقد قال فيه الآيات الآتية :

|                           |                         |
|---------------------------|-------------------------|
| زرت في بلدتنا نابلس       | أهل أصل في العلا منغرس  |
| أهل إكرام وجود وثقي       | ما لهم غير الهدى من حرس |
| عندهم انست نور الآي       | مثل موسى طالباً للقبس   |
| دوحة الوادي له الظل الذي  | ينعش الغارس قبل الغرس   |
| نسل عز وفخار وعلا         | كل سار من نداه يحتسي    |
| عليّ الاسم والقدر وما     | هو إلا ياء فيه ياء نسي  |
| زاده الله كمالاً في الوري | وحباه بالمقام الأقدس    |
| وله أوهب أعلا دولة        | جودها كالوابل المتبجس   |
| وعن الشر حمى ساحته        | بين من يحسن فعلا وبسي   |
| ما زها الروض بزهر فايع    | وتبدى في ثياب الستدس    |

وقال في مكان آخر : « وتذكرنا بسيرنا من دمشق الشام الى  
نابلس المحروسة ، ونزولنا بالساحة العلية على قدم الاعزاز والإكرام  
فقلنا في ذلك :

قد سرت من عند ابراهيم آفاتنا<sup>(١)</sup> بخلق الشام نجل المجد والكرم  
الى علي ابن بحر الجود يوسف يوم النداء يده السمحاء كالديم  
وهذا من الشيخ عبد الغني الصوفي الكبير لا يكون مجرد مجاملة ،  
لأنه لم يكتبه لغير الجرجي إذ كان علي آغا الجرجي عالماً صوفياً  
وأميراً خطيراً ، وقد أصبح قطب الرحي في الجنوب ومرجع الولاة ،  
وموضع ثقتهم ، ولم يكن علمه وتصوفه مع الضعف فقد كان ثرياً  
كبيراً وحاكماً قوياً قديراً ، وفق للقضاء على التمرد والعصيان والى  
حل مشاكل خطيرة دخلت البلاد بعدها في عصر ذهبي زاهر كان كله  
عهد خير وبركة .

### طرد التركان

ضعفت صلة تركان المرج بأمرائهم آل شمسوار في نابلس وانقرط  
عقدهم ، ففسدوا وكثر أذاهم وتسلطهم على القرى المحيطة بالمرج فقطعوا  
الطرق حتى بلغت بهم الجرأة الى الاعتداء على جمال وذخائر متسلم  
لواء اللجون حسين بك الشافعي الذاهبة من جينين الى عكا بحراسة  
رجاله . فطلب حسين بك علي آغا انمر متسلم نابلس الى جينين وكتب  
تقريراً لدى الحاكم الشرعي عدداً فيه فظائع التركان وعدوانهم على  
القرى وقطعهم الطرق بشهادة شهود العيان ، وأرسل التقرير الى والي  
دمشق ، فصدرت الأوامر بطرد التركان من جبل نابلس ، فقام  
بطردهم علي آغا وحسين بك والشيخ علي المهابيط شيخ جينين ، فأجلوهم  
الى جهات حيفا وطبريا ، ولا يزالون يعرفون بعرب التركان ، وهم آخر

(١) ابراهيم آغا هو ابن سعيد آغا جد آل المهابي بدمشق وهو سبب الصلة بين الشيخ  
عبد الغني النابلسي وعلي آغا الجرجي ابن عمه .

العناصر الغربية ، وكان إبعادهم آخر مادة في خطة عبد الله باشا النمر وأولاده ، وقد حدث ذلك في سنة ١١٠٦ هـ .

### غارة نصوح باشا الطافية

بعد خروج الركب من نابلس واستقراره في دمشق ، صار أميره يمر عن عجلون والبلقاء وينزل في جماعية<sup>(١)</sup> حسان حيث يلتقي بباشا<sup>(٢)</sup> الدورة الذي يمر عن الجهة الغربية ، فيجمع الأموال الأميرية المطلوبة من صفد وجبل نابلس وجبل القدس وجبل الخليل ، وكانت عادة باشا الدورة النزول في مراكز الألوية<sup>(٣)</sup> وهي : جينين ونابلس من جبل نابلس ، وهناك يحاسب المتسلم<sup>(٤)</sup> وشيوخ النواحي . وتسمى هذه المراكز بالمنازل . وفي سنة ١١٢١ هـ خالف باشا الدورة نصوح باشا هذه العادة وأتى إلى القرى رأساً وصار يطلب من شيوخها الأموال الكثيرة ، فعصوا وخطف بضع<sup>(٥)</sup> بنات من بنات قرى لواء اللجون ، وعاد مسرعاً إلى دمشق .

### اغتيال نصوح باشا

هاج جبل نابلس جميعه حينما بلغه ما فعله نصوح باشا ، إلا أن الجوريجي سكن الهياج واعدأ باغتيال نصوح باشا إذا عاد . وبقيت البلاد تنتظر مرور نصوح باشا ، إلا أنه لم يمر بالدورة إلا سنة ١١٢٦ هـ

(١) هي قطعة أرض يملكها آل النابلسي اليوم . (٢) باشا الدورة يقال له أمير الجردة أيضاً وهو نائب أمير الركب ، فإذا مات أمير الركب حل محله بموجب مرسوم احتياطي من السلطان ، كما سيظهر في الجزء الثاني في آخر باب الامارة . (٣) كانت القسم الشمالي في أكثر الاحيان يعتبر لواء مستقلاً يسمى لواء اللجون ومركزه جينين . (٤) راجع بحث شيوخ النواحي في باب الامارة من الجزء الثاني . (٥) ولم تكن البنات المخطوفات سبعاً كما يقول بعض المؤرخين ، لأن اختطاف هذا العدد من جبل نابلس في ذلك العهد يحتاج إلى جيوش .

فر عن جبل نابلس خلسةً ونزل على بركة الرباط في الرملة ، وأرسل يطلب أمراء وشيوخ جبل نابلس اليه ، فاجتمعوا في رأس العين عند الشيخ شبيطي شيخ بني صعب وانفقوا على عدم الذهاب اليه ، ولما بلغه الخبر جاء بنفسه ونزل ضيفاً على الشبيطي ، ولما أراد العودة خرج معه الشبيطي لوداعه فقتله الباشا في الطريق . وفي تلك الأثناء كانت المؤامرة قد تمت بين أحمد آغا بن صالح آغا النمر متسلم اللد وبين فدائية عمه الحاج علي آغا الجوريجي وأهل البنات على اغتيال نصوح باشا . ولما كان يتجول في ناحية بركة الرباط بعيداً عن جنوده وثب عليه فدائية نابلس فقتلوه وهجمت عربان نابلس والرملة ونهبت جردة الحج وكل ما كان فيها من الذخائر ، فشرد جنود الجردة الى القدس .

### القدس في مقتل نصوح

كانت القدس لواءً ، تتبعها الرملة واللد ، وكان حاكمها يعرف بالمتصرف<sup>(١)</sup> ، ولما وصل جنود الركب الشامي الى القدس وبلغ المتصرف ما حل بهم وبأميرهم جن جنونه فخرّد الجرود<sup>(٢)</sup> والجوع وبطش بعربان الرملة وبني صعب . وكاد يقع صدام بين جبل القدس وجبل نابلس ، فأنذر علي آغا الجوريجي متصرف القدس بالكف ، وطلب من والي الشام التحقيق ، وأطلعه على الواقع وسبب هياج جبل نابلس ، ففوض الوالي علي الجوريجي النمر المذكور بالتحقيق ، فأرسل من طرفه ولده عمر آغا الذي قام بالتحقيق بمساعدة ابن عمه أحمد آغا متسلم اللد . فأظهر التحقيق أن الذين قتلوا نصوح باشا هم أهل البنات اللواتي اختطفن نصوح باشا في غارته ، وأرسلوا بعد التحقيق الى والي الشام .

(١) كانت هذه الرتبة معروفة . (٢) الجرود أي جموع العساكر أو المحاربين .

### العفو عن قتل نصوح

ولما وصل المتهمون إلى الوالي طلبوا التحقيق مع البنات أنفسهن وكانت اليعبدية<sup>(١)</sup> أجهلن في الاستانة عند زوجة نصوح باشا وكانت تتردد معها على حرم السلطان فأعجبهن بجمالها وتعرفن عليها . ولما طلب التحقيق معها استدعاها السلطان وحقق معها ولما تأكد الخبر أصدر الامر بإعادة البنات وبالعفو عن قتل نصوح باشا فعني عنهم وكان في هذا المصير عبرة لمن تلوا نصوح باشا من الولاة وامراء الدولة .

### عزل متصرف القدس وتعيين عمر آغا

على أثر التحقيق بالحادث تبين أن متصرف القدس خرج عن حدود التأديب فعزل ، وقد ألغيت متصرفية القدس وأصبحت في الرملة واللد سناجق أي ألوية تابعة للوالي رأساً واحتفظ ولاية آل العظم من ذلك الحين بإمارة اللواء لأنفسهم ولم يتجاسر أحد على طلبها منهم وقد عين عمر آغا النمر متسلماً على الرملة ثم على القدس ، وبذلك بدأ حكم آل النمر للقدس من ذلك الحين حتى أواسط القرن التالي أي نحو قرن كامل فشمّلها عصرهم الذهبي .

### اعتزال الجور بحبي ووفائه

لما تقدم علي جور بحبي النمر في السن ، ترك حكم نابلس لأخيه الشيخ صالح ولولده محمد آغا وبقي حكم القدس بيد ولده عمر آغا واعتزل إلا أن الثورة التي حصلت بعد ذلك اضطرتة على الخروج من عزلته والإشراف على حكم البلاد إلى أن استقرت الأحوال وازدهرت البلاد

(١) وهي من قرية بعبد .

ودخلت في عصر ذهبي طويل مات الجوريجي في أوائله قرير العين حوالي سنة ١١٥٠ هـ بعد أن تمتع كل عمره بمكانة كبرى عند الشعب والولاة ، فهو العالم الصوفي الكبير والسياسي المحنك والحاكم القدير ، طارد المتمردين ومذل الطغاة والفاتك بالجبارة . تركه والده في جبل نابلس وحيدا فبحكمته وسماحته وحسن خلقه استطاع أن يحتفظ بالإمارة والحكم بمساعدة أصدقائه ثم أخيه وأبنائهما مات وحوله عدد من أمراء أسرته وكلهم حكماء ازدهرت البلاد في عهدهم وأصبحت في اسعد حال ، وكفاه فخراً أن يمدحه الشيخ عبد الغني النابلسي العالم الصوفي الكبير وقد وفق لتربية حكماء أصالحوا البلاد ووحدها ورفعوا<sup>(١)</sup> مستواها الأخلاقي الى أسمى الدرجات .

## الفصل السابع

الحاج<sup>(٢)</sup> محمد آغا جرجي النمر

نشأته وامرته

درب الحاج<sup>(٣)</sup> علي جرجي المار الذكر ولديه محمد آغا وعمر آغا علي الحكم وأشركهما معه في غرة شبابهما فجعل الأول عسكرياً والثاني

(١) راجع فصل رقي المجتمع في الباب الأخير من الجزء الثاني ، وكذلك مباحث الفروسية والفتوة من باب الامارة . (٢) أصبح الوصول الى الحجاز عسيراً لاختلال الأمن هناك ، فصار من يحج بلقب بالحاج ويعتبر لقبه لقباً دينياً كلقب شيخ فيضمه الولاة لألقابهم كما سيظهر ، وقد أقيمت هذا اللقب ل محمد آغا تمييزاً له عن حفيده وعن منافسه ومحميه ابن سلطان . (٣) الحاج علي جرجي وعلي آغا جرجي هونفس المتسلم المار الذكر .

إدارياً . وكان الأول شغوفاً بالفتوة فنشأ فتى فارساً شجاعاً كريماً ، فتدرب على ألعاب الفتوة والتمارين الحربية السائدة في ذلك العهد وأعطاه أبوه اقطاعه واقطاع جده الأمير يوسف وأدخله ألاي السباهية فصار زعيماً على زعامة بيت وزن . وفي سنة ١١٣٩ هـ انتخبه الزعماء والسباهية أميراً لألاي نابلس وبذلك انتهى عهد أمراء الأكراد والتركمان وهذه أمنية الجرججي وهي استرداد الامارة العسكرية لأمرته ، وقد اشتهر محمد آغا كآبيه وأجداده بالجرججي ولقب بالآغا لقب أمرته ولقب بالبيك لقب أمير الألاي .

### إعادة تنظيم الدولة

كثر الأشقياء في جبل نابلس ممن اعتادوا قطع الطرق وحرق الشجر والعدوان على الناس ، وكان هؤلاء يجتمعون بالشيوخ والزعماء والسباهية المتمردين الذين كان يعجز أمراء الأكراد والتركمان عن إخضاعهم . فلما تولى الحاج محمد آغا النمر اماره الألاي صمم على تجديده وقطع دابر الأشقياء فصار يبدل الأقطاع <sup>(١)</sup> القديم ويعطيه الى سباهية جديدين ويتوب الأشقياء في القرى ويضمهم الى السباهية بعد أن يأخذ عليهم عهداً باتباع تعاليم الفتوة وروح الفروسية . وقد قام بهذا بمساعدة والده فأصلح أحوال البلاد وبذل روحها <sup>(٢)</sup> كما سيتبين من مباحث الفتوة والفروسية في الجزء الثاني .

### ثورة ابن سلطان

كانت أعمال محمد آغا النمر سبباً في تحرشه واصطدامه بالشيوخ

(١) راجع فصل الاقطاع في باب الحكومة من الجزء الثاني . (٢) راجع باب الامارة في الجزء الثاني .

والزعماء والسباهية المتمردين الذين صار يضرب على أيديهم وبوقفهم عند  
حدهم وقد ابتهج جبل نابلس جميعه بخطة محمد آغا فعاضده الجميع بكل  
اخلاص وكان محمد آغا سلطان التميمي أحد زعماء السباهية في ذلك  
العهد يطمع بإمارة الألاي فأضمر الكيد لمحمد آغا النمر ولما شرع بخطته  
الإصلاحية ترأس المتمردين ودعاهم الى الثورة فاشتد التمرد في المدينة  
والقرى .

وفي ذلك الحين كان متسلم نابلس الشيخ صالح آغا النمر ابن  
الأمير يوسف ، وكان الحاج علي الجريجي نازلاً في القدس يساعد  
ولده عمر آغا على حكمها . وكان وكيل المتسلم بنابلس مصطفى آغا شاباً  
صغيراً فأغرى ذلك المتمردين على الثورة والتمرد . فثار ابن سلطان  
واقادت اليه أكثر الأسر الخليلية في المدينة . وامتدت الثورة للقرى  
والبدو .

### عصيان القرى والبدو

كان المشاقيون يقطعون بضع قرى في الجبل الشمالي منها : عصيرة  
وباصيد ، وزوانه ، وطلوزة ، وطمون ، وطوباس . وكان الرشيدات  
يقطعون بضع قرى أخرى وراء اقطاع المشاقين وهي : الكفير ، وسريس  
وصير ، وخربة أبي علي ، وعقابة ، ومسلية ، وتياسير . وكانت العداوة قوية  
بينهم وبين المشاقين ، وكان هؤلاء في نهضة وتقدم فباغتوا الرشيدات  
وذبحوهم عن آخرهم ، ولم ينج منهم الا امرأة مع طفلها لجأت به الى  
الشيخ جرار في صانور . واستولى المشاقيون على اقطاعهم بعد ذلك  
فاستفحل أمرهم في الجبل الشمالي وصاروا يهاجمون الشقران وشيوخهم جرار .

وكان الشقران بعد رحيلهم من البلقاء يتولون في بعض الأحيان حكم اللجون فتنافسهم النزاليون شيوخ الشعراوية فضايقوهم وأخرجوهم من الشعراوية فنزلوا بلاد حارثة ونزل شيخهم في صانور ، مع الحقد على النزاليين والاتصال بآل النمر .

وكان الأمير يوسف النمر قد أنزل الجرادات في بيت سلوم ملكه الخاص فتخوف منهم العتوم وأخرجوهم منها ، فنزلوا في كفر الديك ، فأخرجهم شيخها الأجاقي . فنزلوا في عين الصورتين جوار تل<sup>(١)</sup> وظلوا ينتظرون سnoch الفرصة الى أن حصلت هذه الثورة فاستنجدوا بعرب الجبارات النزاليين اذ ذاك في جهات غزة فقبلوا حدو الخيل ومروا عن غزون وكفر الديك دون أن يشعر بهم احد ليلاً ، فلم يفتن العتوم والاجاقي للمكيدة فباغتوهما في الضحى وهم مشغولون بالحصاد ، فتشرد سكان كفر الديك<sup>(٢)</sup> وذبح العتوم عن آخرهم ولم تنج منهم الا امرأة وطفلها نزلت<sup>(٣)</sup> في نابلس ورجلان كانا منفيين فنزل أحدهما في سوق بناحية المعراض من جبل عجلون والآخر في الصنمين من حوران<sup>(٤)</sup> .

واستغل البدو هذه الفوضى ففزوا حوران ، فاستنجد عرب حوران بالوالي وهذا استنجد بمحمد آغا النمر فأصبح امام آل النمر اخضاع المدينة والقرى والبدو .

تكاثر الطيأ على خراش فما يدري خراش ما يصيد

(١) هي قرية في الجهة الجنوبية الغربية من مدينة نابلس . (٢) ومنهم آل ملحس في نابلس . (٣) ومنه آل عتمة بنابلس وهم على الراجح من آل عبد القادر شيوخ جماعين القدماء . (٤) ولم هناك ذرية معروفة .

## تبريل المسلم

لما بلغ والي الشام اسماعيل باشا العظم ما حل بجبل نابلس جاء بنفسه ونزل في جينين فتوافد عليه وجهاً نابلس وشيوخ النواحي وأخبروه بأنهم طائعون وإن ما حصل إنما هو من ضعف المسلم الشيخ صالح فسحبته أخذه معه إلى دمشق موقفاً وعين مكانه ابن أخيه عمر آغا النمر ووكل الحاج محمد آغا النمر عن أخيه عمر آغا إلى حين حضوره . وقد استسلم فريق من الثوار فأعطاهم والي مراسيم الأمان لينتمكنوا من الوصول إلى دمشق وفيما يلي مرسوم التعيين والأمان .

### كتاب والي الحاج محمد آغا النمر

قدوة الأقران مير ألي بك جوريجي زاده محمد آغا زيد قدره تحيط علماً أنه في وصول مرسومنا هذا اليك تفتح سراي مدينة نابلس وتنفيد في المسلمية وكالة إلى أن يصل إلى المدينة المزبورة قائمقاماً<sup>(١)</sup> بالقدس الشريف الحاج عمر آغا وتفتح عينك لأموال الضبط والربط والحفظ والحراسة مع تناول ما بالمدينة عايد لطرف الميري من احتساب وغيره من الأقاليم<sup>(٢)</sup> من حين طلوع الشيخ صالح من نابلس حسب اليومية وتحفظ احتساب ذلك واعتمده في غرة ربيع الأول سنة ١١٤١ هـ

الحاج اسماعيل

محافظ الشام ومير الحاج

### مرسوم الامانة للتوار

قدوة الأماجد والأعيان المسلمين من طرفنا بسنجق نابلس والقدس

(١) صار يعرف مسلم القدس بقائمقام والي بعد الغاء رتبة المنتصرف (٢) راجع

فصل الميري في باب الحكومة من الجزء الثاني

الشريف وغزة<sup>(١)</sup> عمر آغا ومصطفى آغا وحسين آغا زيد قدرهم .  
 نعرفكم أن الشيخ شهاب الدين أخو صاحب العرضحال وأولاده  
 الشيخ كمال ومحمد وعثمان وعلي أعطيتهم من طرفنا رأي الله وأمان الله  
 ورأينا وأذننا لهم بالهجرة إلى الشام في دخولهم ومرورهم عن السناجق لا  
 أحد يتعرض لهم ولا يمانعهم اعلّموا ذلك واعتمدوه من غير خلاف .  
 في ١١ رجب سنة ١١٤١ هـ  
 الحاج اسماعيل باشا  
 محافظ الشام واميير الحاج الشريف

### محاولة اغتيال عمر آغا

بعد استقرار عمر آغا النمر في نابلس أخذ يعالج الأمور بالحكمة  
 ويستميل الثوار فيستسلمون وقد عقد محكمة إدارية في بيته ليصل إلى  
 النتيجة فلجأ بعض المتهمين إلى محمد آغا سلطان رأس التمرد ورفض  
 إرسالهم للتحقيق ولما أُلح عمر آغا في طلبهم هجم ابن سلطان برجاله  
 عليه وهو في مجلس التحقيق يريد اغتياله فقتل من رجال عمر آغا ثلاثة  
 وجرح آخرون ثم لاذوا بالفرار . فأوقف عمر آغا المهاكمت والنحقيقات  
 ووقع محضراً . من وجهاء البلد بما حصل أرفقه بكتاب منه وأرسلها للوالي  
 ليطلق يده ويد أخيه وليمده بما يجب في هذا الظرف ، فأجاب الوالي  
 بالمرسوم الآتي :

### جواب الوالي لنابلس

قدوة النواب والمتشرعين نايب الشرع الشريف بنابلس أفندي<sup>(٢)</sup>

- (١) كانت العادة الاكتفاء بذكر لقب الموظف ورتبه دون اسمه كما يتبين .  
 (٢) راجع باب الحكومة في الجزء الثاني فإن فيه التفصيل عن هؤلاء جميعاً وعن الاقطاع  
 والزعامة والسباهية والنيحار مع الشروح الدقيقة .

زيد علمه ، ومفخر الفضلا المفتي بها زيد فضله ، والعلماء الكرام زيد علمهم ، وعين السادات قائمقام تقيب الأشراف زيدت سيادته ، وقدوة الأمائل والأقران ميرالاي السنجق ، والزعما<sup>(١)</sup> وأرباب التيمارات زيد قدرهم ، ونفخ أمثالهم وجوه ناس المدينة المرقومة وأعيان رعاياها ؛ بعد التحية نعرفكم أنه ورد علينا محضركم مع عرض حال من قائمقامنا بالسنجق الحاج عمر آغا وفهمنا ما ذكرتم وما تضمنناه من أنه اقضى سماع دعاوى على أناس صدر منهم شقاوة وفساد ولما طلبوا لذلك وجدوا فارين عند محمد ابن سلطان من أهل المدينة فأرسل اليه بطلبهم محضر المحكمة وترجمان السرايا فمنعهم من التوجه الى سماع الدعوة الشرعية ، ولم يكتف بذلك حتى جمع أعوانه من أهل الشقاوة والفساد وتساحوا بآلات الحرب وأتوا صابليين وهجموا على دار الحكم وأشهبوا المحاربة وضرب البارود وقتلوا ثلاثة أنفار وجرحوا كم نفر ، فلا يخفى أن هذا سعي بالفساد كبير سيما اذا صادفه الاقدام على قتل النفس التي حرم الله وخرج الشقي المذكور بهذه الفعال ومن تابعه وأعانته ظاهراً وباطناً وأغواه فهو داخل فيما دخل فيه يجازى انشاء الله بما يجازى في أيام خلافة مولانا سلطان المسلمين مع الله ببقاء دولته الكفرة أعداء الدين والطغاة المفسدين ، بناء على ذلك أصدرنا الى قائمقامنا الحاج عمر آغا المومى اليه بيور لدينا يتضمن مباشرة الخروج من حق الشقي المذكور ولكم هذا المرسوم انشاء الله تعالى مع وصوله اليكم وتحققكم الأحوال تكونوا مع قائمقامنا المذكور جميعكم قلباً ولساناً بهمتكم معه يداً

(١) راجع باب الحكومة في الجزء الثاني أيضاً .

واحدة في دفع هذا الخارج عن الطاعة المخالف بفعله وبغية أهل السنة والجماعة وكل من لم يكن مع قائمنا المذكور وخالف الشرع الشريف ونجا عن طريق الجمهور يجب علينا الخروج من حقه في الحال فتفكروا عاقبة وخامة هذه الأحوال والحاصل تقدم من كبيركم وصغيركم حركات تعرفونها ولكونكم اطأئتم لطرفنا وتأملتكم المرحمة ورجوتم العفو منا أغضبنا عن حركاتكم وعفونا عنها مع المقدره . وبحمد الله لم نلثفت لشيء حتى أت دعاوى شرعية عرضت علينا لم نسمعها وخرجنا راضين عنكم وما أقننا بإيالة الشام لا تروا انشاء الله تعالى أمراً يسوءكم وتأمنوا على أنفسكم ومالككم وتشاهدوا ثمرة الطاعة والأمان والراحة وأما إذا طاوعم محمد المذكور ورافقتموه في هذه الشقاوة نعلم أن الشقاوة فيكم طبع خامس وإن أرجعنا الله<sup>(١)</sup> بالسلامة يتعين علينا مقابلتكم بما تستحقوه وتجحدوا غير ما مضى وأنتم بصلاح أمركم أدري وهذا التحرير منا نصح لكم وبالله التوفيق في ١١ ل سنة ١١٤١ هـ .

الحاج اسماعيل  
محافظ الشام حالاً

### التعليق على ابن سلطان

كانت الأسر الخليلية المنتمية الى الصف الكردي مبالاة لآل النمر فهددوا بها الأسر المنتمية للصف التميمي فخفضت ثم استمالوها بواسطة القاضي الشيخ عمر العلمي والقيب السيد عمر الاخرمي . وبعد ذلك ضيق الحاج محمد آغا النمر برجاله الخناق على ابن سلطان الذي تحصن في

(١) كان في طريقه الى الحجاز . (٢) ل أي شوال - راجع مخاطبات الامراء في باب الامارة من الجزء الثاني .

قصره وما زال محمد آغا يستميل أنصاره وأعوانه ويقيم عليه الارصاد في الأزقة والمسالك الوعرة المحيطة بآل سلطان الى أن اضطره على الحرب منها دون أن تسفك الدماء داخل المدينة وبعد خروجه من نابلس خرجت في اثره الخيل فوجد نازلاً في طمون أقطاع المشاقية المتمردين الذين صاروا يهاجون الشقران ويحاولون الاستيلاء على باقي القسم الشمالي .

### القضاء على المشاقية

اتفق محمد آغا النمر مع الشقران للقضاء على المشاقية فباغتوا شيخهم وهو يبني قصرآ له في ياصيد سخر فيه الرجال والنساء فقتلوه وقتلوا من دافع عنه من رجاله وعشيرته وقضوا على المشاقين فلم تقم لهم بعد ذلك قائمة . وأعيد اقطاع آل الرشيد فيما بعد للشاب الشيخ أحمد الباقي منهم فأهدى لآل النمر قرية مسلية التي ظلت من اقطاعهم حتى نهاية عهد الاقطاع ، واقتسم محمد آغا النمر<sup>(١)</sup> والشيخ جرار شيخ الشقران اقطاع المشاقية بينهما .

### القضاء على النزالية

لما بلغ ابن سلطان خبر القضاء على المشاقية في ياصيد فرّ هارباً الى عرابه ونزل على النزالية هناك ، فخرج الحاج محمد آغا النمر بكتيبته وجوعه وانضم اليه الشيخ جرار بمجموعه وهاجوا عرابه يطلبون ابن سلطان ولما رفض الشيخ النزالي تسليمه حل به وبعشيرته ما حل بالمشاقية واقتسم آل النمر والشقران اقطاعه وضم لآل النمر اقطاع دير الغضون

(١) فاخذ آل النمر عصيره من ذلك الحين وامتد نفوذ جرار حتى طوباس فعرفت المنطقة الشمالية من ناحية نابلس بمشاربى الجرار من ذلك الحين . وبعض الروايات والتواريخ تنص على ان هذه الموقعة سابقة لهذا التاريخ إلا ان الواقع كما هو .

والسيلة الحارثية وباقر المغربية الذي ما زال تحت يدهم الى آخر عهد الاقطاع .

### تفريق الجرادات

بعد هدوء المنطقة الشمالية التفت محمد آغا الى المنطقة الجنوبية التي اضطربت على أثر مقتل العتوم والأجلق وأصبحت تهاجم الجرادات ، فجمع شيوخ البلاد فحكموا بإجلاء الجرادات وسكان عين الصورتين مفرقين . فنزل منهم آل جبيري باشي ، والعبوة ، وعناب الحصني<sup>(١)</sup> ، وهواش ، وعوكل والبيت في نابلس . ونزل فرياق في دير الغضون ، عرفوا بالصورة نسبة لعين الصورتين ، وفريق آخر نزلوا في السيلة الحارثية . وما زالوا يعرفون بالجرادات الى الآن . وقد عرف شيوخهم بأولاد صالح السليمان . وقد وقع نزاع بينهم على المشيخة في آخر عهد الاقطاع فنزل الشيخ أسعد الطاهر منهم في نابلس وعرفت ذريته بآل الطاهر ولا تزال .

### انفضاع البدو

بعد أن تم لمحمد آغا القضاء على المتمردين في جبل نابلس جمع كل ما أمكنه من الجرود والجموع ونزل بهم الى غور بيسان وأحاط بالبدو هناك فأدبهم وأخذ عليهم العهد بأن لا يعودوا لغزو حوران وبذلك انتهت الثورة وشمل الهدوء جميع جبل نابلس وما جاوره .

### مجموع ابن سلطان وصلمه

كان صالح باشا طوقان متصرفاً على القدس حينما قتل نصوص باشا وقد عزل<sup>(٢)</sup> بذبول الحادثة وحل عمر آغا النمر محله فكان هذا أول

(١) وقد تزح فريق منهم الى دمشق فعرفوا بالحصني ولا يزالون . (٢) ذكر المرادي في تراجمه قصيدة للسيد عبد الغني التابلسي يهدد فيها أهالي بعلبك بأعمال صالح باشا في —

صدام بين آل النمر وآل طوقان ، وظلّ صالح باشا حاقداً على آل النمر ، ولما تحرك ابن سلطان شجعه وشجع حركة التمرد ، ولهذا فالوالي يقول في كتابه « وقد أخبرنا من يوثق به أن هذا الحالة أجبرتم وأكبرتم عليها » وفي كتابه المدروج هنا يقول « ومن تابعه وأغاثه ظاهراً وباطناً وأغواه » ، ولما اشتدت الثورة وظهر العصيان خذل صالح باشا ابن سلطان ، ولما قتل الشيخ الغزالي هرب ابن سلطان وسلم نفسه لوالي الشام ، وادعى بأن صالح باشا طوقان هو الذي دفعه على الثورة وبعد هدوء الثورة وحوالي سنة ١١٤٤ هـ عفا عنه والي الشام وأطلقه فعاد لنابلس وطالب الصلح مع آل النمر بوجه<sup>(١)</sup> على رأسه القاضي الشيخ محمد التميمي ، والمفتي الشيخ مصطفى التميمي ، فقبل آل النمر الصلح وعفوا عما حصل على شرط أن لا يثير آل سلطان فتنة أخرى في حكمهم .

### وقوع الفتنة بين آل سلطان وآل طوقان

لما فضح محمد آغا سلطان المؤامرة التي تمت بينه وبين صالح باشا طوقان على آل النمر ، طلب الوالي الأخير الى دمشق ، فأنكر ما نسبته ابن سلطان اليه ، وقد أعجب الوالي به فعينه مير لواء على بعلبك فأغاظ هذا الأمر ابن سلطان كثيراً ، ولما عاد لنابلس بدأ النفور بين آل سلطان وآل طوقان ، ولما شرع الشيخ ابراهيم بك طوقان ببناء القصر الاقطاعي عارضه آل سلطان بحجة غصبه الدار التي يقيم القصر

فلسطين ويطشه بعرابها جاء فيها :

أما عندكم علم بشدة بأصه وعن قتله العريان لم لا سألتهم

بنى في فلسطين الرؤوس صوامعاً فهل هذه الاخبار ضلت عنكم

(١) راجع القانون العشائري في باب الامارة من الجزء الثاني .



بوابة قصر آل سلطان وقد جدد بنائها  
الشيخ حسين عبد الحادي سنة  
١٢٥٠ هـ والمعروفة في نابلس  
بدار سعيد الحسين

على أنقاضها من امرأة<sup>(١)</sup> من  
أقاربهم ، فأنصرت باقي آل طوقان  
للشيخ ابراهيم بك ، وأنصرت  
عشائر أخرى لآل سلطان ، فانتسعت  
الفئنة وانقسمت البلد الى فريقين :  
فريق يناصر آل سلطان ، وفريق  
يناصر آل طوقان .

### اهل آل سلطان

كان الواجب على آل سلطان  
مراجعة مجلس الشرع الشريف ،  
وعدم إثارة الفئنة ، ولأنهم لم يفعلوا  
فقد عد هذا العمل منهم إخلالاً بشروط  
الصالح مع آل النمر حكام البلاد  
الذين اشترطوا في صالحهم معهم الهدوء

فدعا آل النمر أمراء ووجهاء نابلس بما فيهم الوجه الذي حصل<sup>(٢)</sup> الصالح  
على يده ، فقرروا إجلاء آل سلطان عن جبل نابلس جميعه .  
ولما لم يذعن آل سلطان لذلك أحاط الحاج محمد آغا النمر قصرهم

(١) كان احمد آغا طوقان يصلح جانباً في دار ابيه ابراهيم آغا جريجي فآثار ابن  
اخيه الشيخ ابراهيم على البناء برأي فلم يقبله عمه احمد آغا فاقسم ان لا ينال إلا في دار له  
خاصة فأعطى امرأة زيادة عن قيمة الدار واشترها ونام بها فبر بقسمه وعلى أنقاضها بنى  
القصر إلا ان آل سلطان بغضاً بابيه ادعوا أنه غصبها . (٢) إلا ان القضاة التعميميين  
أحقدوها لآل طوقان لتشددهم بطلب إجلاء آل سلطان فتابوا عن آل سلطان في عداوتهم  
الى آخر عهد الاقطاع وما بعده كما سيأتي .

برجاله ، ولما لم يسلموا ؛ اغتلى رجال محمد آغا اسطحة القصر وصاروا يهدمون العقود ، وبعد هدم ستة عقود استجارت النساء فأوقف الهدم وأذن آل سلطان وجلوا الى خليل الرحمن . وقد برهن آل النمر أنهم إنما صالحوا آل سلطان عن مقدرة وتجنباً للانتقام ، فصبروا الى أن أجلوهم جميعاً<sup>(١)</sup> الى جانب أبناء عمهم مجالي الكرك ، قبل نحو نصف قرن .

### انحدار المهابنية

استمرت في دمشق الفتنة بين الجند اليرلية والجند الانكشارية في أواسط القرن الثاني عشر ، فذهب ضحيتها أسعد باشا العظم وأكثرت التركبان ، فاستنجد المهابنية ببني عمهم في نابلس ، فأنجدهم محمد آغا النمر بالأي نابلس وجموع جبل نابلس من القرى والبدو ، فأنقذ اليرلية العرب وأمراءهم المهابنية وأوقف الانكشارية عند حدهم ، فتعدت شهرته الى دمشق .

### سائر أعمال محمد آغا وذريته

لقد هبأت ثورة ابن سلطان لمحمد آغا الأسباب للقضاء على المتمردين فجدد الاقطاع والشيوخ ، وأوجد نظام الفتوة وصفات الفروسية في المدينة والقرى ، وقضى على جميع الأشقياء هو وابن أخيه مصطفى آغا بالحكمة والتأديب ، ورفع المستوى<sup>(٢)</sup> الأخلاقي الى حدٍ عظيم فترعت

(١) وقد عاد ايواز بشه سلطان بعد ذلك بنصف قرن وسكن قصر اجداده ثم باعه ولده يوسف آغا سلطان للشيخ حسين عبد الهادي وهذا اسكنه ولده سعيد أفندي الحسين ولا تزال ذريته فيه وهو المجاور لجامع الساطون في حارة الباسمينية . (٢) راجع فصل الصفات الفروسية في باب الامارة ، وفصل رقي المجتمع في باب أحوال المجتمع من الجزء الثاني .

البلاد بعد ذلك في عصر ذهبي زاهر مات في منتصفه حوالي سنة ١١٧٠ هـ  
وقد ورث بطولته ولده إبراهيم آغا ، وحفيده محمد آغا اللذان أصبحا  
هم ورجلهم سيوف آل النمر يتقنونهم من المآزق الحرجة ، وقد رفعوا  
رأس نابلس عاليًا ، وأظهروها بأسمى وأقوى مظاهر القوة .

## الفصل الثامن

### الصدر الأُمجد عمر آغا اليوسفي النمر

#### سياسته ومكانته

هو ابن الحاج علي آغا جوريجي النمر ، أشركه معه في المتسلمية  
من صغره ودربه على حل المشاكل ، فوقف في أول شبابه على عرف  
البلاد وعاداتها ، فشب إدارياً محنكاً ، وقد ترك الانتساب للجوريجي  
اللقب العسكري ، وانتسب لجدّه الأمير يوسف فاشتهر باليوسفي ،  
وصار الأمراء العسكريون من آل النمر يشتهرون بالجريجية ، والأمراء  
الإداريون يشتهرون باليوسفيين ، ومنهم من يجمع النسبين ، ثم عادوا  
للانتساب إلى نسب القبيلة القديم فوحدوا نسبهم جميعاً ، ومنهم من  
كان يجمع الثلاثة معاً فيقال فلان آغا جوريجي<sup>(١)</sup> اليوسفي النمر .

وقد سر الجريججي من نبوغ ولده عمر آغا ، فاعتزل وصار يشرف  
على الحكم إشرافاً ، ولما طلب منه التحقيق في مقتل نصوح باشا عهد  
به لولده عمر آغا فظهر اسمه وسر منه وإلى الشام ، فعينه متسلماً على الرملة

(١) راجع الوثائق التجارية في فصل المعاملات التجارية في باب التجارة من  
الجزء الثاني .

وبعد إلغاء متصرفية القدس عين قائماً على القدس ، فأظهر من الحنكة  
والدراية ما أدهش ولاية الشام ، ولما ثار جبل نابلس عين لإخماد الثورة  
فوفق لذلك كما مر بمساعدة أخيه محمد آغا ، ولما كبرت سنه عهد بحكم  
القدس لولده مصطفى آغا وبحكم نابلس لولده اسماعيل آغا ثم لحفيده قاسم آغا .  
وكان عمر آغا اليوسفي سياسياً حكيماً مسالماً ، يعمل على جمع كلمة  
البلاد ، فقد استمال كثيراً من الأسر بسياسة المصاهرة ، فصاهر بنفسه  
أولاً أمراء أسرته الجعافرة ، وطوقان ، وأمين الدين العمري ، وآل  
الشافعي ، وجدّد مصاهرة العلمية في القدس ، واستمال أسراً أخرى  
باشترائها في حكم القدس ونابلس فعين صالح بك الشافعي ميراً لآل  
الآل نابلس ، وبعد وقوع الفتنة بين الجيايسة عين مصطفى بك ابن  
الشيخ ابراهيم بك طوقان شيخاً على بني صعب ، وولى علي بك بن مصطفى بك  
جيري باشي ميراً لآل القدس ، وحسين بك كنعان من نابلس ولاء  
إحدى زعامات آل القدس . وقد استمال أسراً وعشائر أخرى بالصفح مع  
المقدرة وبالإحسان فقد صالح آل سلطان ، واستمال بعد ذلك الأسر والعشائر  
الخليلية بنابلس وأدخل قسماً كبيراً منهم في آل نابلس ، وصفح عن كثيرين  
من اشتروا بالثورة ، واستمال شيوخ القرى والنواحي بعد القضاء على  
الشيوخ المتمردين ، فتوثقت العلاقات في عهده بين آل النمر والشقران  
والرشيدات بعد القضاء على المشاقبة والنزالية وكذلك بينهم وبين بني غازي  
في جماعين بعد تفريق الجرادات ومع ذلك فقد أعطى الجرادات اقطاع  
آل النمر في دير الغصون والسيلة الحارثية وأعطى الذين نزلوا في نابلس  
بعض الأراضي والأملاك فظلوا جميعاً من أخلص أصدقاء آل النمر ،  
وسيطر نفادي آل هواش في عصر موسى بك .

وكان اليوسفي كسائر امراء أسرة آبائه واجداده سلفياً يبغيض الحزبية  
 فعامل الجميع معاملة متساوية فالتفوا حول بيته . وكان أعرف من حكموا  
 نابلس بعقلية النابلسيين فساوهم كما يجب ان يساوا فأجلوه واحترموه وقد  
 ادهش بسياسته ومقدرته <sup>(١)</sup> ولاية الشام ، فقوضوا اليه حكم الألوية الجنوبية  
 كلها ، واصبحت تدار بإشرافه ولا يعين حكامها إلا برأيه وصار الوزراء  
 وأمراء الحج يخاطبونه بالأخ العزيز وفي المكتاتب الشعبية كان يخاطب  
 بالصدر الامجد .

وقد قام اليوسفي بكثير من المشاريع والاعمال وعم الامن في عهده  
 جميع البلاد التي يحكمها او يشرف عليها لا سيما القدس ونابلس واللد والرملة  
 وقد عظم نفوذه في البلاد المجاورة فسارت القوافل بأمان في طول البلاد  
 وعرضها فبلغت متاجر نابلس قلب الأناضول ، وبلاد المغرب ، والسودان ،  
 واليمن ، والحجاز ، والبحرين ، والهند ، وبغداد ، وبلاد الموصل ،  
 والأكراد ، وازدحت أسواق نابلس التجارية بالبضائع والمكاتب  
 التجارية ، وازدحت صناديق أهلها بالكنوز والحلي واللؤلؤ والمرجان  
 ورتعت نابلس والقدس في عهده وعهد أمراء أسرته بعصر ذهبي زاهر  
 دام أكثر القرن الثاني عشر . وقد كان أخوه محمد آغا لا يقل عنه  
 وكذلك ولدهما مصطفى آغا وابراهيم آغا الآتي ذكرهما .

### حكمهم في القدس والمقاطعات المجاورة

لم يكن حكم القدس حكم نابلس فإن احتاج الأمير إذ ذاك  
 في حكم نابلس الى الحكمة والعصبية والمعرفة بعقلية النابلسيين ونفسياتهم

(١) وقد ساعد اليوسفي الحظ باضطراب ولاية الشام وعصيان ظاهره . وفتنة البرلية  
 والانكشارية ولو أراد الاستقلال عن والي الشام لفعل كما سيظهر في الباب الآتي .

فإنه يحتاج فوق هذا في حكم القدس الى الوقوف على عادات وأحوال  
أتباع الأديان الأخرى لا سيما طوائف النصارى وصلتهم ببعضهم ،  
ويحتاج الى القوة والمقدرة الكافية للحيلولة دون العدوان على زوار  
النصارى الأوروبيين وعلى إقرار الأمن في المواسم والأعياد ، ولهذا فقد  
نزل الحاج علي الجرجي في القدس لمساعد ولده عمر آغا الحاكم الشاب  
على حكمها ، وقد كان لآل النمر في القدس أحوال محترمون وهم آل العلمي ،  
فساعدوا ذلك في حكمها ، وقد كان اليوسفي على جانب عظيم من المقدرة  
فجدد آلاي القدس بمساعدة آل الدردار<sup>(١)</sup> العسلي واستمال الأسر والعشائر  
الكبيرة واضطر شيوخ القرى على التعهد بالمحافظة على زوار النصارى  
حين مرورهم من جوار قراهم . وقد وفق لحل مشا كل الطوائف المسيحية  
بكل حكمة فسروا منه ووثقوا به حتى كانت الهدايا والصر<sup>(٢)</sup> تأتي تحت  
يده وتوزع بمعرفته لا سيما صر الروم أكبر طوائف ذلك العهد . وقد  
قطع دابر اللصوص والأشقياء وأصبح الأمن في جبل القدس كجبل  
نابلس وارف الظلال معدوم النظير في ذلك العهد المضطرب وقد ولي حكم  
المقاطعات المجاورة لأمرأ يثق بهم من أهلها ومن أمرأ القدس ونابلس ،  
فكانت غزة وبافا والخليل واللد والرملة تدار بإشرافه وتسير على خطته  
وقد اتصل بأبناء عمه في الكرك ، وكان لتأمين طريق الحج يتدخل في  
البلقاء فشمّل حكمه سوريا الجنوبية كلها وقد قام بمشاريع عمرانية وأعمال  
خيرية عامة حسنت مرافق البلاد وأسعدتها .

(١) الدردار كلمة فارسية معناها المحافظ لانهم كانوا يحافظون على قلعة القدس .

(٢) الصر هو المال المحدود المصروف وكان هذا الصر والهدايا يأتي هبات لنصارى

القدس من البطارقة والملوك .

## المشايخ العمرانية والأعمال الخيرية

كان عمر آغا عمرانياً محباً للخير قام بمشاريع عمرانية وأعمال خيرية في جميع البقاع التي حكمها أو أشرف على حكمها . وقد قام بكثير منها من ماله الخاص ، فعمر في سور القدس باب الأسباط وباب السور ومقام الشيخ محمد العلمي وجامعه في الطور . وكان ماء القريون في نابلس يجري من واد عميق نُنصب عليه الجسور للمرور من جهة الى جهة ، فقام بردمه ، ورفع مجرى الماء فاستفادت<sup>(١)</sup> منه مساجد البلد كلها بعد أن كانت لا تلتفع منه بشيء إذ كانت تأخذ من ماء رأس العين وعين العسل البعيد المكشوف . وقد أصلح الجانب الشرقي والشمال من الجامع الكبير ، وأجرى سبل الماء والعيون في أنحاء نابلس كلها ، وقد أصلح الطرق والجسور والمدارس ، وضبط أوقاف المساجد في البلاد التي يحكمها أو يشرف عليها ، وأمر المساجد والخانات ، وحض على إيقاف الأوقاف ، وحسن أحوال أهل العلم ، وأخذ العهود على شيوخ النواحي بالمحافظة على الأمن في نواحيهم ، وأخذ العهود على حكام وأمرأ البلاد المجاورة بالمحافظة على القوافل التجارية في ذهابها وإيابها . وقد قطع الغزو بين البدو ، وأخذ عليهم العهود بعدم العدوان على الخارج ، فساعده هذا على أخذ العهود على بدو الخارج في حوران والجولان والجهات المجاورة بالمحافظة على القوافل التجارية فازدهرت التجارة أيما ازدهار . وكان لأعماله الخيرية ، لا سيما المحافظة على الأوقاف ، وإصلاح المساجد وإصلاح أحوال أهل العلم فضل كبير في نضوج النهضة العلمية التي

(١) وقد جر الى داره من ماء القريون فوجد الفسقية والشادروان الذي يعطي ارقى نموذج في البناء ، راجع فن البناء في باب العلم من الجزء الثاني .

غرسها جده الأمير يوسف . وكان لسهر الأمراء العسكريين وسائر الحكام في باقي المقاطعات فضل كبير على الأمن الذي ضرب به المثل وحمل كثيراً من التجار ومهرة الصناع على المجيء الى القدس ونابلس ، لا سيما نصارى الشام والقدس فأنت أسر كثيرة بطلبه أو برغبتهم ، من الحجاز والشام ومصر والعراق ، فازدحمت نابلس والقدس بالسكان من الصناع والتجار ، ورتعت في عصر ذهبي جعل امارة اليوسفي كواحة في بطن صحراء ، فكانت جنة بيننا البلاد المجاورة تعج فيها الفتن العظيمة : ففي مصر فتن المماليك ، وفي دمشق فتنه اليرلية والانكشارية ، وفي الحجاز يذبح البدو الحجاج ، وقد بلغ بهم ذبح أمير الركب بالذات وظل ملقى بلا دفن ثلاثة أيام .

### العصر الذهبي

بدأ الاستقرار في جبل نابلس بعد قتل نصوح باشا الذي كان سبباً في حصول آل النمر على القوة والثقة ، ثم انضمت إليهم الامارة العسكرية وحكم القدس ، فازدادوا قوة على قوة ، وقضوا في الثورة على الشيوخ والزعماء المتمردين ، وقبضوا على ناصية الحكم ، وأصلحوا الأحوال ، وقضوا على الشقاوة فبدلوها بالفتوة ، وقضوا على التمرد وبدلوه بصفات الفروسية ، وساعدوا العلماء ، وأمنوا طرق التجارة ، فنمت البلاد وازدهرت واندججت فأصبحت كأنها أسرة واحدة خالية من عناصر الفساد ، تترع في أمن وسعة ، فنضجت في هذا العهد النهضة التي قام بها الأمير يوسف مادة ومعنى .

باتت نابلس مقر الامارة في سوريا الجنوبية كلها ، وأصبحت مركزاً

كبيراً كحلب وبغداد والموصل ودمشق ، فكان يفد إليها الطلاب من كل صوب لتلقي دروس العلم عن فحول علمائها <sup>(١)</sup> وأساتذتها الكبار : الشرايين ، والطوقاني ، والتميمي ، والقديمي ، والبسطامي ، والحنبلي الجعفري ، وهاشم الجعفري ، والجوهري ، والشمس ، والعقرباوي ، واللبدي ، وابن مكية ، والباقاني ، وعالمها الكبير السفاريني .  
وكان أصحاب المسائل يفدون إليها لاستفتاء مفاتيح الكبار ابن مكية ، والسفاريني ، والتميمي .

وكان يفد إليها الأشراف والسادات <sup>(٢)</sup> من صيدا وبعبك وبيروت لتسجيل أسمائهم وأنسابهم ، وأخذ التوصيات اللازمة للحكام من قائمقام نقيب الأشراف السيد عمر الأخرمي .

ويقدم إليها الصوفيون للأخذ عن خلفائهم وكبرائهم الحاج علي جوريجي النمر ، والشيخ عبد الغني مكية ، ثم السيد مصطفى البكري الدمشقي الذي كان نازلاً فيها ، وعمن تولوا خلافة الصوفية بعده .

وكان النجار يأتون إليها من مختلف الجهات لتنظيم علاقاتهم مع تجارها <sup>(٣)</sup> وخواتمها الكبار من آل العمر ، والبشتاوي ، وعبد الرزاق طوقان ، وشويكة ، ومرواد ، ويعيش .

وكانت القوافل تصدر <sup>(٤)</sup> منها مثقلة بمسوحاتها القطنية والصوفية ، ومصنوعاتها النحاسية والفضية والحديدية وصابونها الممتاز ، وبمستوحاتها من النيلة ، والحبوب ، والفواكه المجففة ، فتجدها إلى مختلف الجهات ، ثم

(١) راجع تراجم علماء هذا العهد في باب العلم من الجزء الثاني . (٢) راجع فصل الأشراف في باب الحكومة من الجزء الثاني . (٣) راجع فصل التجار في باب التجارة من الجزء الثاني . (٤) راجع فصل المتاجر والواردات والصادرات في باب التجارة من الجزء الثاني .

تعود مثقلة بحاجاتها من الأسلحة المزركشة بالذهب والفضة ، والمرصعة بالأحجار الكريمة ، ومن الملابس الكشميرية والحريرية ومن الحلي والذهب والمرجان ، ومن السجاد والخيل الأصلية .

وفي هذا العصر السعيد اختزن نابلس قوتها النفسية وكنوزها الذهبية وعلومها وفضائلها ، فكانت تدهش زائرها بقصورها الاقطاعية ومساجدها ومدارسها ومكباتها ، وحلقات علمائها ، وكتيباتها العربية بقرسانها وفنيانها . وإن كان الزائر من ذوي المكانة حضر مجالس علمائها الأعلام فازداد دهشة من مباحثاتهم في الأمور العلمية الدقيقة ، وحضر مجالس أمرائها من النمر والشافعي وطوقان وشهسوار ، فسحره أسلوبهم الرقيق ونبلمهم الممتاز . وحضر مجالس خواجاتها<sup>(١)</sup> الكبار ، فأصغى الى مباحثاتهم عن المتاجر والصادرات والواردات ، وعلاقاتهم بالخارج . وباحثوه عن بلاده وما تنتج وما تحتاج ، وقد يجرهم الحديث الى البحث عن غيرها ، فيجد عندهم من العلم عن البلدان<sup>(٢)</sup> والأقطار الثائية ما لا يجده عند غيرهم . وإن صادفت زيارته نزول باشا الدورة في منزله بنابلس شاهد مواكب شيوخ النواحي والبدو يخولهم العربية وملابسهم المزركشة التي تلفت الأنظار بروقتها وبهائها .

وإن دخلت زوجته المقاصير<sup>(٣)</sup> شاهدت الستات<sup>(٤)</sup> نساء الأمراء والخوارج وبناتهن وحولن الجواري والخدمات يعنين بالبيوت ويسهرن على تربية أولادهن تربية الفتوة العالية ، ويقطعن الوقت بأشغالهن اليدوية الحريرية

(١) الخواجه لقب شيخ التجار في ذلك العهد . (٢) راجع بحث معرفة البلدان من باب العلم في الجزء الثاني . (٣) راجع أحوال المجتمع في الجزء الثاني . (٤) الستات بدلاً من السيدات ، هكذا كان الاصطلاح - راجع مبحث الألقاب .

والقطنية لزركشة البيوت وتزيينها بفاخر الأثاث والرياش . وإن سررن  
منها أطلعنها على حلين الثمين من الذهب والفضة واللؤلؤ والمرجان  
والخواتم المرصعة بالزمرد والياقوت ، وعلى السلاح ذي القبضات الذهبية  
والحائل المزركشة ، وعلى التحف الثمينة من الكؤوس والأواني الذهبية  
والفضية والمقالم والعلب<sup>(١)</sup> الصغيرة الثمينة ، وتشاهد في سقف المقصورة  
الثريات والمصابيح المزركشة ، وعلى الجدران المصاحف الشريفة ذات  
الأغلفة المزركشة ، وتحتها الأسلحة الحربية .

وحيثما تجول الزائر شاهد الخانات<sup>(٢)</sup> ، وأما كن القوافل ، والمعامل ،  
والمصانع ، والمصاين ، والمخازن المزدهجة بالمتاجر ، وشاهد الخيول المطهنة  
والفرسان والفدائية الذين بارزوا - قبل ذلك وبعد - أبسل رجال  
عصرهم ؛ شاهد عمراناً وسودداً ، وإمارة عريضة مزركشة بالألقاب  
العثمانية تتمتع بالعزة والمنعة القومية الكاملة . هكذا كانت نابلس يوم  
فقدت<sup>(٣)</sup> أميرها الكبير عمر آغا اليوسفي وولده مصطفى آغا النمر ، فطعم  
فيها الطامعون وتوالت عليها السنون :

لكل شيء إذا ما تم نقصان فلا يغرّ بطيب العيش إنسان  
هي الأمور كما شاهدتها دول من سرّه زمن ساءت أزمان



(١) المقالم جمع مقلمة أي محل وضع الأقلام ، والعلب جمع علبة ومنها ما يكون  
للشوق ومنها ما يكون للعطور . (٢) جمع خان وهي الفنادق اليوم ، وكانت تسمى  
الوكالات أيضاً فيكون الطابق الأول للخيول والثاني والثالث للعتاجر ونزول التجار  
والمسافرين . (٣) مات عمر آغا النمر حوالي سنة ١١٨٠ وقد مات ولده مصطفى آغا  
النمر في السنة التالية .

## الفصل التاسع

(١) أحفاد الجوريجي

الحاج مصطفى آغا النمر

هو أكبر أبناء عمر آغا اليوسفي النمر ونائبه في الامارة والحكم في نابلس والقدس ، درّبه والده على الحكم صغيراً وأنابه عنه في حكم القدس سنة ١١٤١ هـ حينما نقل الى نابلس لاجل ثورة ابن سلطان ، وظلّ يحكم القدس الى سنة ١١٤٣ هـ ، فعاد اليها أبوه وعين هو لنابلس ، وكان لا يزال صغيراً ، وكان عمه الحاج محمد آغا لا يزال مشغولاً باخماد باقي الثورة وتعقيب أشقياء الخارج ، فاستهان به النابلسيون ، فكثرت اللصوصية ، وتمرد شبان نابلس ، وقصد الأمن ، فصار ينزل الى الحراسة بنفسه ويمكن برجاله في الأزقة ، فقبض على الأشقياء الواحد تلو الآخر ، وقد أظهر من الأساليب العجيبة في القبض عليهم وبتأديبهم ما حدا بالعامّة للاعتراف بممارسته السحر ، وقالوا إنه يجلس الجان في القمام<sup>(٢)</sup> ، الى غير ذلك من الأفكار والإشاعات التي راجت بين العامّة

(١) نسبة لجدهم علي آغا الجوريجي . (٢) هذا مثل قديم ضربه أبو بكر الصيرفي عن موقف أبي الحسن الأشعري من المعتزلة فقال « كان المعتزلة قد رفعوا رؤوسهم حتى أظهر الله تعالى الأشعري فحجزهم في أفاع الساسم » فذهب مثلاً وحول الى التهام ، وهي الأنايب المسدودة من طرفها والمفتوحة من الطرف الآخر ، وقد قبل هذا عن مصطفى آغا تناسباً قبضه على أبناء ريحان السبعة وأبيهم الذين أدخلوا بالامن في نابلس والقدس ، ونقلتوا من السجن صرّاً فقبض عليهم أخيراً وسجنوا الى أن ماتوا في بيت صغير مكبلين بالاصفاد ، وكان مصيرهم عبرة لجميع الأشقياء فتأبوا وأتابوا .

ونوقلت الى عصرنا الحاضر ، وقد أوجد نظام الفتوة بين شبان نابلس فشغلوا به عن التمرد والشقاوة ، وأصبحت للصوصية عاراً كبيراً ، فاستتب الأمن الى حدٍ عظيم .

ولما كبر أخوه اسماعيل آغا ترك له حكم نابلس وتولى هو حكم القدس حيث كبر سن والده فأوجد في القدس من الأمن ما أوجد في نابلس ، إذ أن بعض أشقياء نابلس انتقلوا اليها . وجدد اليهود لحماية الزوار النصارى على القرى الآتية : بيت اكسا ، وبيت أونية ، وبيت حانيا ، والبيرة . وقد كان لأبيه كالظل وكانت كل أعماله بمشورته ، فقضى عمره حاكماً عادلاً وأميراً فروسياً محبوباً ، وقد كان نزاعاً الى البداوة شغوقاً بنظم الفتوة وأساليبها ، فكان يعرف ما تقصد العجاوات والطيور والوحوش في أصواتها مما يعده علماء الغرب اليوم من الابتكار والنبوغ ، وقد انتسب للنمر نسب القبيلة القديم ولم ينتسب للجريجي واليوسفي ، وقد تغلب هذا النسب فيما بعد على العائلة كلها .

وقد مات مصطفى آغا حوالي سنة ١١٨٣ هـ عن أولاد أربعة وهم : حسن آغا وعبد اللطيف آغا وعبد الصمد آغا وعلي آغا ، وقد كان الأول خير مثال لأبيه وجده خلفهما كما سيتبين .

### اسماعيل آغا النمر

هو ابن عمر آغا النمر كان ينوب عن عمه محمد آغا في امارة الآلاي فشهد إحدى الحروب العثمانية الروسية فأنعمت عليه الدولة بأقطاع خاص في بساتين نابلس الذي كان يسمى بالمالكانة أي الملك الخاص ، وبعد موت عمه تولى امارة الآلاي ، ولما نقل أخوه الى القدس تولى متسلمية نابلس مكانه تاركاً امارة الآلاي لصالح بك الشافعي . وقد ظل متسماً

على نابلس الى حوالي سنة ١١٧٧ هـ فمات وتولى مكانه ولده قاسم آغا  
الذي هاجم ظاهر العمر نابلس في عهده .

### ابراهيم آغا جوريجي النمر

هو ابن الحاج محمد آغا الجوريجي المار الذكر كان وكيلاً للمير الألي  
صالح بك الشافعي ، ثم صار أميراً للألي بعد موته ، ولما مات عمه  
عمر آغا وابن عمه مصطفى آغا تولى حكم القدس تاركاً اماره الألي  
لحسن آغا ابن مصطفى آغا ، وفي هذا الظرف هاجم ظاهر العمر نابلس  
فاشترك ابراهيم آغا النمر في رده ، وقد أعطي رتبة أمير الأمراء مع  
لقب باشا فرفضه لخلافه مع الوالي عثمان باشا ومع مصطفى باشا طوقان  
وقد قضى عمره في عداوة مع البيكات من آل طوقان فجره ذلك للتمرد  
على أوامر السلطان والصدر أعظم كما سيأتي .

### الحاج علي آغا البوسفي النمر

هو ثالث أبناء عمر آغا وأصغرهم ، كان ثرياً حكيماً وكان قاضياً  
عشائرياً وأحد الخبراء في المسائل الشرعية ، وكان مساعداً لابن عمه  
قاسم آغا ، وقد أنجد الجزائر في عكا حينما هاجمه الإفرنسيون . فعين  
أميراً لجردة الحج ثم متسلماً على القدس الى أن مات سنة ١٢٢٦ هـ عن  
ولده أحمد آغا الآتي ذكره .



# الباب الرابع

الهجوم الخارجي و التنافس الداخلي

## الفصل الأول

أحوال الولايات المجاورة

أحوال ولاية مصر

بعد زوال دولة المماليك بقي بيدهم الضياع والاقطاع وظلموا اصحاب النفوذ وكل ما كان للدولة في مصر بضعة آلاف من الانكشارية ووال ينزل في القلعة ، ليستلم الاموال المطلوبة وكثيراً ما قتله المماليك اذا تدخل في شئونهم او حاول اصلاحهم . وكانوا في كل وقت يحاولون الاستقلال عن الدولة إلا ان انقسامهم كان يحول دون ذلك وقد انقسموا بعد الفتح العثماني الى فرقتين احدهما برئاسة احد أمراءهم قاسم بك سميت بالقاسمية والاخرى برئاسة ذو الفقار بك سميت بالفقارية وقد ظلت هاتان الفرقتان في نزاع الى ان فازت الفقارية على القاسمية سنة ١١٤٢ هـ وبعد فوزها انقسمت الى عدد من الفرق كل منها تطلب السيادة والنفوذ برئاسة احد بيكات المماليك الكبار وفي سنة ١١٨٠ هـ فازت فرقة علي بك الكبير على جميع الفرق فقبضت على ناصية الحكم في مصر واتفق رئيسها علي بك مع دولة روسيا واعلن استقلاله بمصر . وفي سنة ١١٨٤ هـ ارسل مملوكه ابو الذهب الى الحجاز فاستولى عليها وصمم علي بك على ارجاع دولة المماليك فحاول الاستيلاء على سوريا ، إلا ان هذه المحاولة

قُضت عليه ، لأن قائده أبو الذهب انقلب ضده مع الدولة العثمانية كما سيأتي .

### اموال ولاية الشام

استقر آل العظم <sup>(١)</sup> في دمشق في القرن الثاني عشر الهجري وصار الولاية يعينون منهم في غالب الاحيان . والراجع ان اولهم اسماعيل باشا العظم الذي مر ذكره في ثورة ابن سلطان . ثم ظهر بعده اسعد باشا العظم الذي وقعت في عهده الفتنة بين اليرلية والانكشارية فذهب ضحيتها وكانت سبباً في تمرد حكام الألوية على والي الشام وظهر بعده سليمان باشا العظم الذي سمى ظاهر العمر . وقد ظهر بعد هذا سعد الدين باشا العظم الذي قتل في قونية فظهر بعده محمد باشا العظم الآتي ذكره . وقد كان حكمهم مضطرباً لضعف الدولة العثمانية ودسائس دولة روسيا .

### اموال جبل لبنان

نزل الشهابيون <sup>(٢)</sup> في وادي التيم في عهد الايوبيين فصاھروا المعنيين امراء لبنان .

وفي سنة ١١١٨ هـ مات الامير احمد المعني آخر الامراء المعنيين فورث اماره لبنان بعده حفيده من جهة الأم الأمير ملحم الشهابي وكان هذا قسباً متطرفاً فرأى وجوب القضاء على الحزب اليمني في لبنان لأنه سبب ضعف المعنيين من قبل ف قضى مدة حكمه في حرب مع هذا الحزب وقد تولى الإمارة بعده ولده الامير منصور الذي سار على سياسته مدة اربع وعشرين سنة تنازل في نهايتها لابن اخيه الأمير يوسف الذي ولاه الامارة

(١) اختلف المؤرخون في اصل آل العظم فمنهم من قال انهم اتراك ومنهم من قال انهم اكرد . (٢) هم من بني مخزوم من قريش .

رسمياً عثمان باشا الكرجي والي دمشق واستعان به لمحاربة جبل نابلس فخذل بخذلانه فانقلب عليه وحاربه فغلبه وكان سبب عزله ، وفي عهد الامير يوسف ظهر امر الجزار وظاهر العمر ، فخرج من يد الشهابيين الساحل جميعه وما زالوا بعد ذلك في نزاع مع الامراء الشانويين رغم تدبيرهم باديانهم ومذاهبهم الى ان فقدوا نفوذهم فقداً تاماً . وقد قسم لبنان بعد ذلك الى شمالي وامراؤه آل أبي الاعم المسيحيون ، والى جنوبي وامراؤه آل أرسلان التتوخيون .

### ظاهر العمر الزيداني

يقال ان رجلاً من بني زيد في جبل القدس وقيل من قرية بلاطة في جبل نابلس نزل هو واخوانه في صفد واتصل بالشهابيين فاجبوه ووثقوا به فولوه حكم صفد وقد اشتهر بالزيداني والقبلاوي<sup>(١)</sup> ثم حكمها بعده ولده ظاهر العمر الذي اغتتم فرصة انشغال الشهابيين في النزاع الحزبي وانشغال ولاية الشام بالفتنة اليرلية فعصى في صفد واستولى على عكا وحيفا والناصرية وجبل عجلون . واتفق مع علي بك الكبير امير المماليك ومع حليفته روسيا فاستفحل امره . ولما هاجمه والي الشام سليمان باشا العظم قتل اخوه فانسحب الى عرب عزه ودس السم على والي المذكور فقتل به . وعاد بعد ذلك الى اسوار مما كان فهاجم دمشق هو وأبو الذهب قائد المماليك ثم هاجم جبل نابلس وما زال متمرداً الى ان قضي عليه وعلى اولاده سنة ١١٩٠ هـ كما سيتبين .

### عثمان باشا الكرجي

هو مملوك سعد الدين باشا العظم كان متسلماً على حماة يعرف بعثمان اغا فلما نقل سعد الدين باشا المذكور الى سيواس اخذه معه ولما قتل سعد الدين باشا في قونية طلب عثمان آغا هذا الى استانبول للمحاسبة فاعجب

(١) نسبة الى جهة القبلة .

به الوزراء وعينوه وائبا على ايلة مصر على شرط اخضاع ظاهر العمر والمماليك .  
 وكان والي الشام اذ ذاك محمد باشا العظم مع الركب الشامي في الحجاز  
 فامد مصطفى بك طوقان وساعده على مقاومة الظاهر ، فنجح برده  
 ومقاومته وكان عثمان باشا هذا يطمع بولاية الشام فتآمر هو ومصطفى  
 بك طوقان على عزل محمد باشا العظم فنجحا إلا ان الدائرة دارت عليهما  
 فعزل عثمان باشا وعاد محمد باشا لولاية الشام كما سيأتي .

## الفصل الثاني

### أحوال أمراء وشيوخ جبل نابلس

#### آل النمر

نظراً لأهمية القدس وصعوبة حكمها أصبحت لهم آل النمر بعد  
 انضمامهم اليهم بالدرجة الأولى ، وصار كبارهم ينزلون فيها ، فقد نزل  
 فيها الحاج علي الجريجي وولده عمر آغا ، ثم عمر آغا وولده مصطفى آغا ،  
 وبعد موتها نزل فيها كبيرهم اذ ذاك ابراهيم آغا وولده محمد آغا ، وبقي  
 في نابلس شبان أكبرهم قاسم آغا حفيد عمر آغا . وكان ييكاك الطوقان  
 في نهضة فطمعوا بحكم نابلس وساعدوا على ذلك هجوم ظاهر العمر عليها  
 ومجى عثمان باشا الكرجي لولاية الشام ، ثم موت قاسم آغا النمر متسلم  
 نابلس الشاب . فاضطر آل النمر الى إشراك آل جرار في حكم نابلس  
 والاتفاق مع ظاهر العمر لتخلص من البيكاك ، ثم أعادوا مشيخة بني صعب  
 للجيايسة ، ولما عاد البيكاك لحكم نابلس تركوا حكم القدس وصمدوا  
 لهم وجهاً لوجه فوقع الصدام الذي لا مفر منه والذي أطمع الشيوخ

بالحكم والآمارة ، فجر هذا الى الحروب والثورات وتدخل الولاة ، ففقد جبل نابلس استقلاله الذاتي ، وانحدر من قمة المجد والنهوض الى هاوية الانحطاط والتقهقر . سنة الله في خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلاً .

### آل طوقان

اختلف في اسم طوقان فمن قائل : إنهم شيوخ الموالي من الفضل الطائيين كانوا يضعون طوقين في أعناقهم تمييزاً لهم عن عشيرة الموالي النازلين بينها ، ومن قائل إن الطوقين من الدولة العثمانية<sup>(١)</sup> رتبة حسب الأصول المتبعة ، وعلى كل حال فلا خلاف في أن طوقان نسبة الى طوقين .

كان الطوقان في الجولان جاثوا مع حملة عبد الله باشا النمر الى نابلس ، وأول من يعرف من أجدادهم عبد الله الذي يقال إنه دفن في مادبا في قرية تسمى بقبر عبد الله ثم ولده ابراهيم الذي مات عن ولدين ، وهما : عفيف والحاج محمود ، ومنهما آل طوقان جميعاً كما يتبين من الفروع الآتية وهي :

١ - آل خليفة - خلف عفيف بن ابراهيم ولداً اسمه خليفة وقد عرفت ذريته فيما بعد بآل خليفة ولا تزال ؛

٢ - خضر ورحال - أما الحاج محمود فقد خلف أربعة أولاد ، وهم : رحال ، وعلي ، وعبد الرحمن ، وإبراهيم ، فعرف فريق من ذرية الأول بآل رحال الذين فقدوا نسبهم

(١) كانت قبيلة الموالي تعيش بين قبيلتي استاجلي والحريري على حدود الاناضول وكانت اول عشيرة عربية اتفقت مع الاتراك العثمانيين والراجع ان الدولة العثمانية اعطت اسراهم من الفضل رتبة امير الاسراء وطوقين فعرفوا بطوقان اي ذوي الطوقين .

لطوقان ، وقد نقرع منهم فرع عرفوا بآل خضر  
الذين اقترضوا في القرن الحاضر ؛

٣ - آل سعيد - أما علي ابن الحاج محمود فقد عرف بالشيخ علي لأنه  
كان يشغل بالمسائل الشرعية والدعوى ، وقد مات قبل  
والده الحاج محمود عن ولدين وهما : حسن ومحمد اللذان  
وهب اليهما جدهما داراً ومالاً ، وقد مات الأول بلا  
عقب ، ومات الثاني عن ولد اسمه سعيد عرفت ذريته  
بآل سعيد الذين صار منهم ضباط على جنود موسى فقتل  
بعضهم في عصره والآخرين اقترضوا .

٤ - عبد الرزاق والعثمان - أما عبد الرحمن ابن الحاج محمود فقد أدخله  
والده في جردة الحج حين نزول الأمير عساف في  
نابلس فصار ضابطاً بلقب بشه ، ثم صار ولده يوسف  
ميراً لاياً بلقب بك فكان أول من لقب بهذا اللقب من  
آل طوقان ، ولقيت به ذريته الى آخر القرن الثاني  
عشر ، فتركوه ولقبوا بالخواجه لاشتغالهم بالتجارة ، وقد  
نقرع منهم العثمان والخواجه ؛

٥ - الخواجه - توالى مشيخة التجار في فرع من آل عبد الرزاق  
طوقان فعرفوا بآل الخواجه نسبة للقب الذي اعتيد استعماله  
لشيوخ التجار ، وقد تركوا نسبهم لطوقان ؛

٦ - الأغوات - وأدخل الحاج محمود ولده ابراهيم في جردة الركب  
الشامي فصار زعيماً بلقب آغا جرجي وكذلك لقب أولاده  
فيما بعد وهم ثلاثة أحمد آغا ومصطفى آغا وصالح آغا ؛

٧ - البيكات - اشغل أحمد آغا ومصطفى آغا بالتجارة والأملك ،  
وسارت ذريتهما فيما بعد كذلك وعرفوا بالأغوات ؛ أما صالح اغا فانه  
التحق بامير الحج فعينه متسلماً لاحدى النواحي ثم متصرفاً على القدس  
فصار يعرف بصالح باشا ، ثم فصل على اثر الغاء المتصرفية بعد قتل



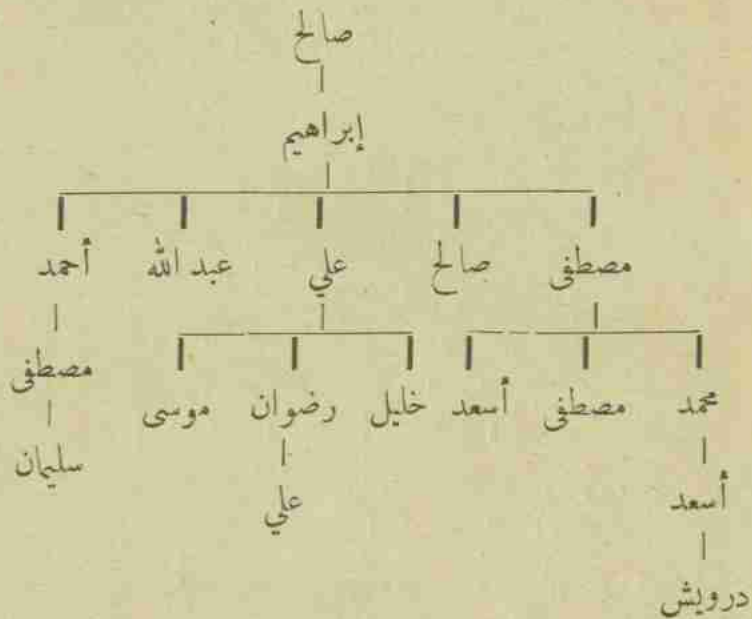
بوابة قصر الشيخ ابراهيم بك بن صالح  
باشا طوقان وقد ظهرت فيها الخوخة  
أي الباب الصغير وتعرف  
في نابلس بدار البيك

نصوح باشا ونهب جردته فعاد  
للاشغال بالتجارة في نابلس  
ولما اتهمه ابن سلطان بالتحريض  
على الثورة وتبرأ منها ، واعجب  
به والي الشام فعينه مير لواء على  
بعلبك التي لما ثارت عليه وادبها  
وبطش فيها ، عظمت سطوته  
وخشيته والي الشام سليمان باشا  
العظيم قسمه سنة ١١٥٥ هـ ،  
ولما شعر بالسم أسرع بالهجرة  
الى نابلس فمات فيها ودفن في  
مقبرة آل فروخ جوار السراية  
القديمة .

وقد لقب ابنه صالح باشا

بالببيكات ، وكذلك عرفت ذريتهم من بعدهم ولما تآلق نجمهم اختفى جميع  
بيكات نابلس الكثيرون واصبح هذا اللقب خاصاً بهم فاذا قيل البيكات  
عرف هذا الفريق من آل طوقان .

# تسلسل البيكات<sup>(١)</sup>



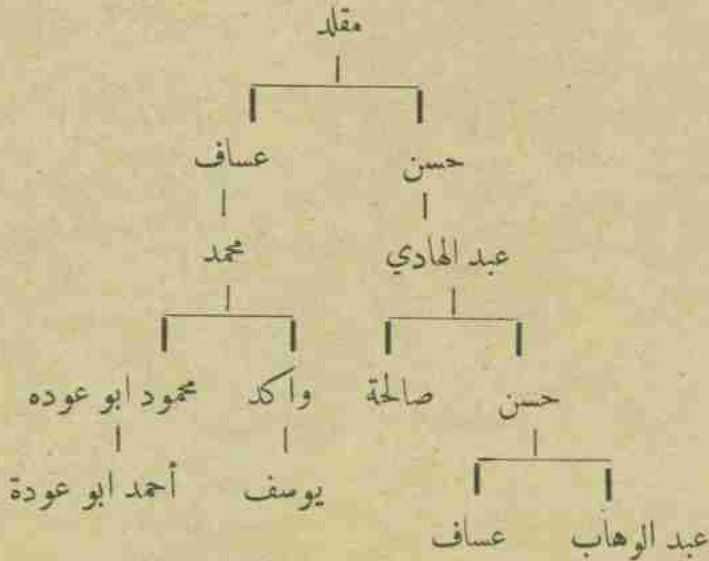
وقد خلف صالح باشا ولداً اسمه إبراهيم بك ، فاشتغل بالعلم وأصبح يعرف بالشيخ إبراهيم بك فاحرز مكانة بين علماء نابلس الذين ولوه رئاستهم وقد أمدته والده بالاموال ، فبنى القصر الاقطاعي الكبير ، وعمر جامع العين . وقد خلف الشيخ إبراهيم خمسة اولاد وهم : مصطفى بك واحمد بك وعلي بك وصالح بك وعبد الله بك . ولما وقعت الفتنة بين الجيايسة حصل الأول علي مشيخة بني صعب بمساعدة عمر آغا النمر ، وكان ذلك حوالي سنة ١١٨٠ هـ وهو بدء حكم البيكات في جبل نابلس ، وفي هذا العهد لما هاجم ظاهر العمر نابلس رده مصطفى بك فظهر امره كما سيأتي .

(١) فالحكام والمسلمون الذين حكموا نابلس في القرن الثالث عشر والذين مثلوا الدور الديامي في عهد الاقطاع من آل طوقان هم المذكورون في هذا التسلسل ومن ذريتهم الذين مثلوا دور الانفال ولم يشار كههم فيه أحد من آل طوقان بخيره وشره كما سيظهر .

(٢) راجع تراجم العلماء في باب العلم من الجزء الثاني .

« الجيايسة »

تسلسلهم في هذا الدور

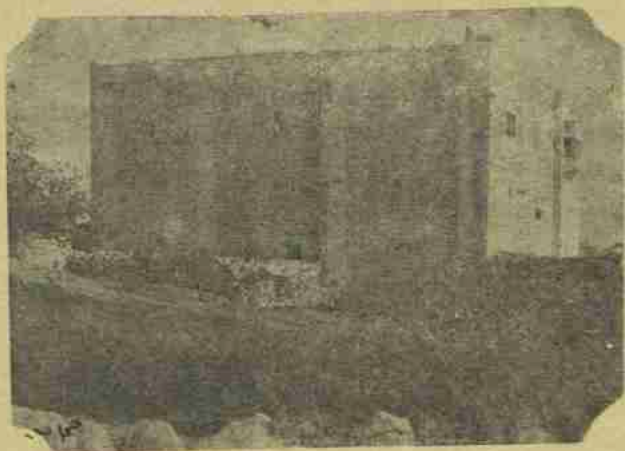


بعد قضاء المماليك على شيوخ جيوس في آخر القرن التاسع خرجوا من جيوس ونزلوا في قرية كور الحصينة واعتزلوا وعاشوا عيشة هادئة



المنظر الأمامي لقلعة الجيايسة في قرية كور من ناحية بني صعب

وبعد ان قتل الشيخ الشبيطي في رأس العين سنة ١١٢٤ هـ اجتمع شيوخ بني صعب وانتخبوا الشيخ مقلد الجيوسي ، وبعد موته انتقلت المشيخة لولديه الشيخ حسن والشيخ عساف ، وفي سنة ١١٤٢ هـ تنازل الشيخ حسن لأخيه الشيخ عساف وبعد موتها وقع الخلاف بين اولادها فادعاهما الشيخ عبد الهادي ابن



المنظر الخلفي لقاعة الجيايسة في قرية كور من ناحية بني صعب

الشيخ حسن وادعاهما الشيخ محمد ابن الشيخ عساف واخيراً لجأ محمد الى العنف فقتل الشيخ عبد الهادي . ولما كبر الشيخ حسن بن عبد الهادي قتل ابن عمه الشيخ محمد فانتسعت الفتنة واختلفت عشائر بني صعب فعين مصطفى بك طوقان شيخاً على بني صعب ، واستمر النزاع بعد ذلك من اجل مشيخة بني صعب بين آل طوقان والجيايسة ، وقد اشتهر الجيايسة بالكرم والنظافة وكشافة الحجاب ولذلك يقول يوسف اغا الجرار في قصيدته <sup>(١)</sup> :

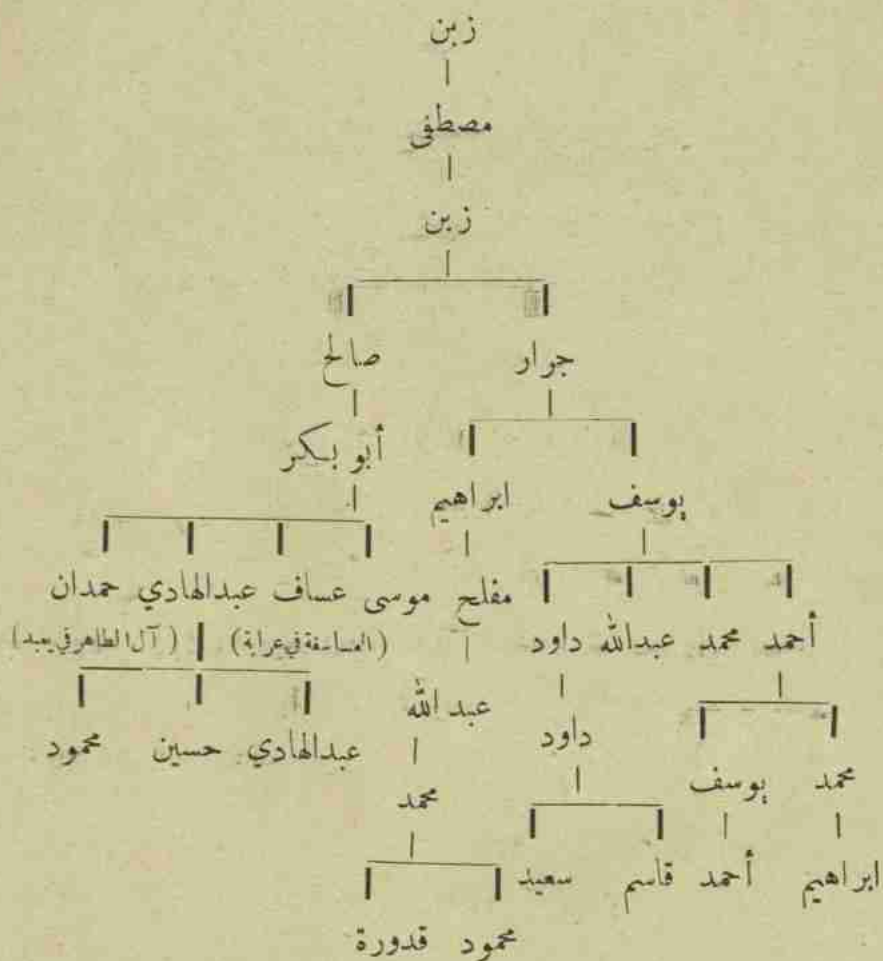
الجبوسي أسد في يوم الطراد حامي الزينات سور المحصنات  
واشتهروا ايضاً بالمحافظة على الصهارة وهم كآل النمر ينمسون بعادة  
عدم تزويج بناتهم من غير اسرتهم .



(١) راجع القصيدة في فصل الشعر من باب اللغة في الجزء الثاني .

« الشقران »

تسلسل الشقران

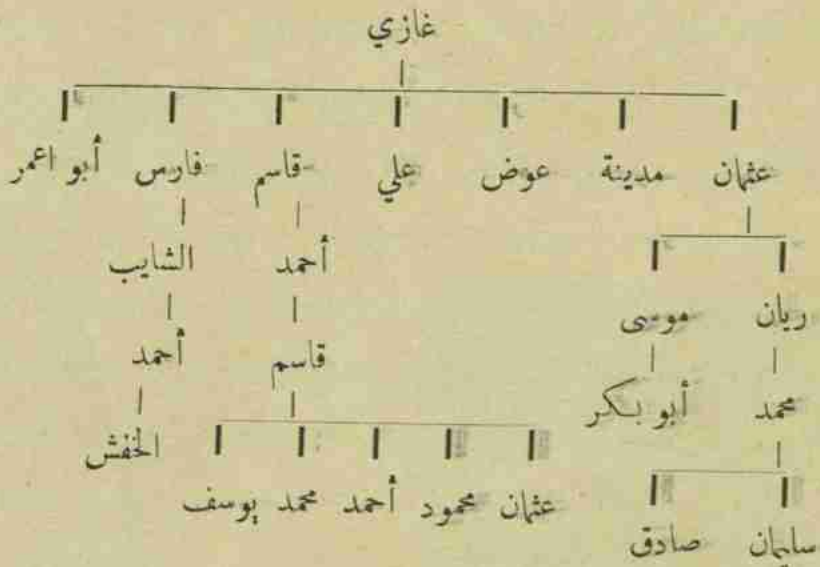


الشقران هم من المعبر الغساني الأزدي كانوا في القسطل من البلقاء ، ولما ثارت الكرك سنة ١٠٨٠ هـ امتدت الثورة اليهم فانتقلوا مع شيخهم الشيخ زين الى مرج ابن عامر وصار شيخهم أميراً على اللجون ، وبعد موته نزل ولده الشيخ مصطفى في عرابية ، وبعد موت هذا ضابط النزالية أولاده فنزلوا في بلاد حارثة واصطدموا هناك بالمشاقبة بعد أن لجأ إليهم

الشاب الرشيدى ، ثم اتفق شيخهم الشيخ جرار مع محمد آغا النمر المار  
الذكر فقصوا على المشاقبة والنزالية وبقي الشيخ جرار في بلاد حارثة ،  
ونزل أبو بكر الصالح في عمارة ، وبعد أبي بكر صار ولده عبد  
الهادي شيخاً وهو جد آل عبد الهادي الآتي ذكرهم .

### بنو غازى وعشائر الجنوب

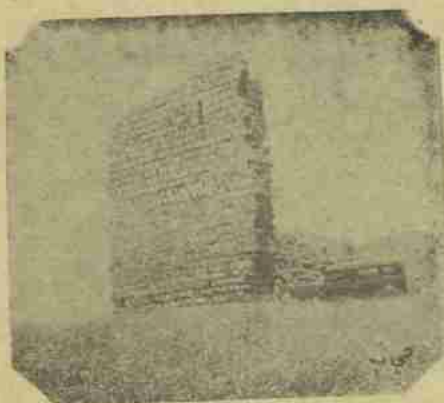
« تامل بني غازي »



الذين نزلوا فيما بعد في نابلس وآل ريان الذين نزلوا في مجدل يابا .  
ومن نزحوا مع بني غازي من البلقاء الحواترة الذين نزلوا في سلفيت  
ونفرع منهم : الدحادلة ، واشتية ، والمناصرة ، وشيوخ الجميع آل عفان  
الذين عرفوا بعقانة ولا يزالون .

ومن نزحوا أيضاً بنو نمرة الذين نزلوا في سلفيت وبنو خلف الذين  
نزلوا في رنتيس وآل قير<sup>(١)</sup> الذين نزلوا في كفر قدوم ، ونفرعوا الى  
عبيد الذين منهم : آل صوفان بيت العلم المشهور<sup>(٢)</sup> والى جمعه الذين  
منهم آل حمدان العودة الشيوخ الآتي ذكرهم .

وقد نزلت في قرية حجة عشيرة جبارة التي دجرت حامولة الصلطة  
الى اجليل وحلت محلها ، وأصل عشيرة جبارة من بلاد المغرب تنسب  
الى الشيخ عبد السلام المشيشي ،  
وقد أصبحت ذات شأن في أواخر  
عهد الاقطاع وعصر موسى بك ،  
وقد نفرع منها : آل بيدس والسعيد  
في يافا .



### عشائر وادي الشعير

القسم الباقي من برج العطاطة في سهل  
قافون الذي راقب منه محمد آغا النمر  
والعطاطة والصلطة حر كات نابليون  
وجيشه وكنوا له في جواره

العطاطة<sup>(١)</sup> - هم أقدم شيوخ  
وادي الشعير ، كان  
مركزهم رامين ثم رحلوا

(١) وقد نزل ناصر أخو قنبر في عثيل ، ونزل نصير الاخ الثاني في دير البلح فمرفت  
ذريته بعرب النصيرات ولا تزال . (٢) راجع تراجم علماء جبل نابلس في الجزء الثاني .  
(٣) وليس بينهم وبين العوطوط بنابلس قرابة لان هذا منفرع من العامول .

الى شويكة وبني صعب للمحافظة على برجمهم ومدخل واديهم  
من هجوم الافرنسيين ؛

الاحفافة - هم من قبيلة عتيبة في الحجاز ، نزلوا في برقة من وادي الشعير  
الشرقي وانتشروا في القرى المجاورة لها وهي : برقة ، ودير  
شرف ، وسبسطية ، والناقورة ، وبيت أمرين ، وسيلة الظهر  
وبزارية ، ونصف اجبيل ، واجنسنية . وقد نفعوا الى :  
صلاح ، وأبي عمر ، ودغلس ، والحاج ؛

آل سيف - هم من آل سيفاً أمراء طرابلس الشام ، نزلوا في برقة  
بعد أن ضايقهم المعنيون في القرن الحادي عشر ، ولما كثروا  
وقعت بينهم وبين الاحفافة دماء فخرجت منهم فروع ثلاثة وهم :  
آل داود ، وموسى ، وعيسى . ونزلوا في وادي الشعير الغربي  
فنزل الأول في ذنابة وعرفت ذريته بآل سيف ولا تزال ،  
ونزل آل موسى وآل عيسى في شوفة وكفر اللبد وعرفت  
ذريتهم بالبرقاوي نسبة الى برقة ، وقد بقي فرع منهم فيها ،  
أصبح لهم شأن كبير في حوادث جبل نابلس من بداية عصر  
موسى بك الى آخر عهد الاقطاع ؛

آل عمر - هم عشيرة في عنتبا ، نزل جد هم الشيخ ابراهيم المحمد في  
نابلس فعرفت ذريته بآل العنتاوي ؛

الجيتاوية - هم عشيرة أخرى في عنتبا ، نفعوا الى الفقهاء ، والحمد  
لله ، ونصار ، والقبيج ، ومزید ، ونور .

## عشائر المشايخ

آل الحاج محمد - الحاج قيل إنه من أعيان المدينة المنورة ، وقيل إنه من شيوخ اقضاة عين جنة في جبل عجلون ، نزل في أواسط القرن الثاني الهجري ضيقاً على آل النمر في نابلس فاختار السكن في قرية <sup>(١)</sup> بيتنا ، فساعدوه على ذلك فظهر أمره في مشارب نابلس كلها ، وبعد حادثة العتوم مشائخ جماعين أصبح الحاج محمد شيخاً على المشارب كلها ، ولما حاول بنو غازي شيوخ جماعين بعد العتوم مدّ نفوذهم إلى المشارب عارضهم ، فصالحهم آل النمر وشيوخ البلاد بحيث تكون طربق القدس فاصلاً فتكون المشيخة على القرى التي تقع شرقها للحاج محمد ، والتي تقع غربها لبني غازي قرية تيمة فإنها اعتبرت تابعة لناحية جماعين . وقد خلف الحاج محمد أربعة أولاد وهم : (١) الشيخ سعادة الذي نزل في قريوت وعرفت ذريته بآل سعادة . (٢) والشيخ أحمد الذي نزل في بيت فوربك وعرفت ذريته بآل أحمد . (٣) وكنعان الذي عرفت ذريته فيما بعد بآل عبد الجليل ، وقد نزلوا في جوريش وقصره وبيت دجن . (٤) ومنصور وقد بقي في بيتنا وعرفت ذريته بآل ناصر . وبعد أن وقعت الفتنة بينهم وبين ابن شمس انتشروا في تلفيت وجالود والمغير وبيت دجن . وقد اشتهر آل الحاج

(١) كانت بيتنا تابعة لزعماء اودله من انطاخ آل النمر كما سيظهر في فصل الانقطاع

محمد عموماً بالكرم والبسالة ، واشتهرت نساؤهم بالحجاب  
الكثيف والحياء والنظافة والإخلاص والتعقل فصاهرتهن  
العشائر الكبيرة في جبل نابلس ؛

بنو شمس - هم عشيرة قديمة استوطنت بيتا واحرصين ونفرت الى العدلي ،  
والحابل ، وبلوط ، والرماتي ، وذياب . ولما وقعت المنافسة  
بين آل النمر وآل طوقان حصل خليل بك للشيخ مصطفى  
العدلي على أمر بمشيخة المشاريق ليقضي على نفوذ الشيخ  
سعادة الحاج محمد فاستألمهم ؛

الدويكات - أصلهم من جبل الخليل نزلوا في بيتا وانتشروا في عسكرة ،  
وبلاطه ، وروجيب ، ورحل منهم فرع الى البلقاء ، ونزلت  
منهم أمر في نابلس وهم : آل بدران ، وأبي شريح ، وأبي  
عودة ، والجردانة . وكان لهم تأثير في مجرى الحوادث ،  
كما سيأتي .

## الفصل الثالث

### (١) عشائر البدو

#### « عباد »

ربما كانت هذه العشيرة من بقايا نصارى الحيرة الذين عرفوا بهذا  
الاسم ؛ أو من بقايا الطائيين الذين نزحوا عن جبل نابلس بعد أن ضيقوا  
في القرن الحادي عشر الهجري . ونقسم عباد الى أربع عشيرة تسمى

(١) اكتفيت بذكر من اشتهر كوا في الحوادث لا سيما الحرب الاهلية .

بهذا الاسم وترجع الى أنساب متعددة ، وقد أصبحت ذات شأن في القرن الثاني عشر ، ثم ظهرت عشيرة العدوان القويصة فكانت عباد حلفاً ضدها من الصقر ، والبشتاتوة ، وفلاحى الغور .

### « الصقر » ✓

ينسبهم بعض المؤرخين الى المقداد بن الأسود الكندي الحضرمي ، وهم يقسمون الى صقر ، وشاهين ، والمقداد ، ثم انضم اليهم السردية والمهاوذة وحالفوا عباد في البلقاء والمهادي في فلسطين ، ومنزلهم في سهول بيسان وغوره .

### « المهيذات »

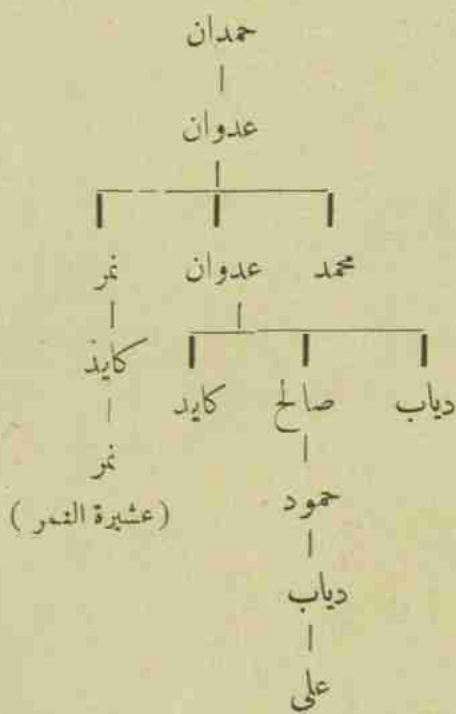
هم من بقايا جذام القحطانية ، عظم أمرهم في البلقاء فصاروا يسخرون البدو والفلاحين هناك في أشغالهم ومصالحهم الخاصة ، ولما نزلت عندهم عشيرة العدوان ثارت واستمالت البدو ، ف وقعت الحرب بينهم وقتل فيها عدد من الفريقين وغلب بنتيجتها الأمير ضمان شيخ المهيذات ، فاجأ الى ابن عسرة شيخ البلاونة<sup>(١)</sup> في غور<sup>(٢)</sup> أبي عبيدة ، ف تبعه العدوان وقتلوا ابن عسرة وابن الأمير ضمان ، فاضطر البلاونة على ترك الغور والرحيل الى عجلون . ورحل الأمير ضمان ومن بقي معه الى غور بيسان عند الصقر . وخشي آل النمر اتساع الفتنة ووقوع حرب بين بدو جبل نابلس وبدو البلقاء ، فاستقدموا الأمير ضمان الى نابلس نجاء ونزل بين نابلس<sup>(٣)</sup> وقرية عسكر . ولما وفد آل النمر للسلام عليه في الصباح وجدوه في

(١) هم من قبيلة بلى الحجازية . (٢) هو القسم الشمالي من الضفة الشرقية لغور الاردن وهو وقف لسيدنا أبي عبيدة الجراح المدفون هناك . (٣) وقد نزل في الارض المعروفة بقلع الرقية .

حالة تجمد من البرد ، فقال لهم العبيد : قرش الأمير من البرد ، فعرف  
بعد ذلك بالأمير قرش ، وعرفت ذريته بعد ذلك بآل قرش ولا تزال .  
وبقي باقي عربانه عند الصقر فعرفوا فيما بعد بالمهادوة ، وقد أصلح آل  
النمر بينهم وبين العدوان ، وبذلك بدأت صلتهم بهم من ذلك الحين . وقد  
أنجدوهم في الحرب الأهلية ، فكان لنجدتهم أثر كبير في مجرى الحوادث .

### « العدوان »

#### تسلسل العدوان في البلقاء



هم من قبيلة عدوان<sup>(١)</sup> القديمة نزلوا على المهادنة في البلقاء وبعد أن تغلبوا  
عليهم كما مر أصبحوا أصحاب السيادة في الغور جميعه . فكانت عباد ضدهم  
الحلف المار الذكر فنجحوا مع بني صخر الذين عادوا الى البلقاء في ذلك الحين .

(١) راجع تسلسل القبائل العدنانية فرع مضر .

وقد عظمت سطوة العدوان في الغور والبلقاء فلقب أميرهم بسلطان  
البلقاء ، وقد اشتهر أمراؤهم بالسطوة والبسالة القائمة فخفضت لهم عشائر  
الغور ودفعت أكثرها لهم الخاوة <sup>(١)</sup> .

« الصقر »

هم من جذام القحطانية كانوا يسكنون جهة العلا في الحجاز فنزحوا  
الى بلاد الكرك ، ولما ضايقتهم عشائرها انتقلوا الى البلقاء فضايقتهم  
العدوان ، فارتحلوا الى جهات غزة واتحدوا هناك مع عشيرة الوحيدات  
ونهبوا وإياهم جردة الركب المصري سنة ١١٩٢ هـ وقتلوا أميرها موسى  
باشا المعراوي ، فخرج إليهم حسين <sup>(٢)</sup> باشا المكي مير لوا غزة فقتل منهم  
عدداً كبيراً ونهب إبلهم وخيولهم فعادوا الى البلقاء فقراء ضعفاء . وكانت  
عشيرة العدوان متضايقة من حلف عباد فرحبت بهم وحالفتهم ، وقد  
انضم لحلفهم الغزاوية في فلسطين والفريجات في جبل عجلون . وفي هذا  
الوقت خرجت قبيلة غزة من نجد فردها بنو صخر الذين عدوا سوراً للبلقاء ،  
وصار شيخهم يلقب بسلطان البرية ، وقد كان لبني صخر صلة قوية  
بنابلس لأنهم كانوا يأتون لمصائبها بمادة القلي <sup>(٣)</sup> من البوادي .

#### « الغزاوية »

يقال إنهم ينسبون لعمر بن الخطاب رضي الله عنه وهم من التياها  
الغزيين ، وقد سموا بالغزاوية نسبة لغزة ، وقد نزلوا حول بيسان <sup>(٤)</sup>  
وحالفوا العدوان ضد الصقر .

(١) الخاوة هي ترضية يدفعها الضيف لرد غارة القوي عنه . (٢) وتعرف ذريته  
بآل مكي في غزة ويلقبون بالبيكات . (٣) هو زبات يحرق ويؤتى به محروقاً فيحل  
ويخلط مع الزبت فيصنع منه الصابون بعد جهد وقد سدت مسده مادة القلي التي تصنع في  
اوريا اليوم . (٤) ومنهم آل فطير بنابلس .

### « الرناري »

كانوا ينزلون في مديرية البحيرة من القطر المصري فتمردوا وتسلط عليهم أحمد بك البشناقي<sup>(١)</sup> وقتل منهم خلقاً كثيراً ، واضطروا على الجلاء الى بلاد الشام فاستقروا في شفا عمر وتحالفوا مع الصقر .

### « المساعير »

هم من وادي الحرير في الحجاز نزلوا في جهات الكرك ثم رحلوا على أثر فئنة وقعت هناك وخذلوا في غور نابلس المعروف بغور الفارعة ولم يظهر لهم شأن الى أن ظهر الأمير بركات أحد أمرائهم فرفض خاوة العدوان ، وانقلب مع عباد وقد كان له أثر في الحرب الأهلية كما سيأتي .

## الفصل الرابع

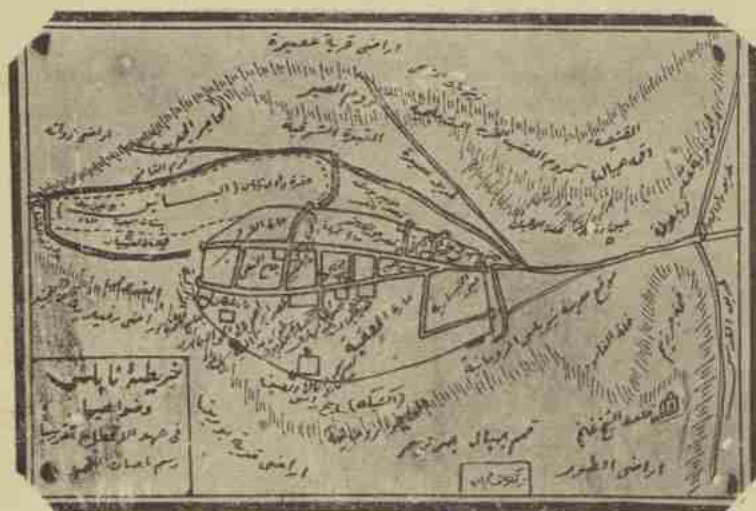
### هجوم ظاهر العمر ونتائجه

#### اصطدام الظاهر بمصطفى بك

بعد أن اتفق ظاهر العمر مع علي بك الكبير أمير ممالك مصر ، استولى على بني صعب والساحل حتى مصر ، فاصطدم بمصطفى بك طوقان شيخ بني صعب الذي أمده والي الشام بالسلاح والعتاد والأموال ، وكلفه بعرقلة مساعي ظاهر العمر ؛ إلا أن ظاهر العمر أصبح قوياً جداً إذ أمده حليفته روسيا بالمدافع والأسلحة الجديدة والأموال والخيول ، فلم يثبت مصطفى بك أمامه بل اضطر على الانسحاب الى نابلس ، فتبعه

(١) هو مملوك صالح بك المملوك أحد رؤساء المالكين ، وسيأتي الكلام عليه في هذا

الظاهر بخيوله ورجاله ومدافعه ساخطاً ناقماً ، وذلك في أواخر سنة ١١٨٥ هـ



« مصور مدينة نابلس »

### استعداد نابلس لرد الظاهر

لما بلغ ابراهيم آغا النمر ما حصل أسرع بالمجيء من القدس واتفق مع البيكات على الدفاع عن نابلس بكل قواهم ، فحشدوا فيها جميع سكان القرى المجاورة وهي : بورين ، وعورتا ، وعسكر ، وبلاطة ، وروجيب ، وأودلة ، وحواره ، وزفديا وغيرها ، وقسموا البلدة الى قسمين جاعلين خان النجار حداً فاصلاً بينهما ، فتولى آل النمر الدفاع والمحافظة على القسم الشرقي وفيه ثلاث حارات <sup>(١)</sup> وهي : الحبلية ، والقيسارية ، والعقبة ، وتولى البيكات الدفاع والمحافظة على القسم الغربي وفيه ثلاث حارات وهي : الغرب ، والقربون ، والياسمينية . وقد بلغ عدد السلاح الناري في نابلس اثني عشر ألف <sup>(٢)</sup> بارودة ، وكانت نابلس في عصرها

(١) الحارة هي الحي ويقال لها الحلة ، وقد صارت هذه القسمة حزبية بين آل النمر وآل طوفان كما سيأتي . (٢) البارودة هي البندقية .

الذهبي تزدحم بالكنوز والسكان فصمموا على الدفاع عنها دفاع المستعيت .

### وصول الظاهر ومفاوضة

لاقى الظاهر مشقةً كبيرة في الوصول الى نابلس لأنه كان يهاجم في الطريق من قرويي جبل نابلس ولم تكن الطرق سهلة فلاقى مشقة كبيرة في نقل المدافع والذخائر ، فكان هذا كافياً لاستعداد نابلس وحشدتها الرجال واصلاح البوابات والأسوار .

ولما وصل الظاهر نزل في كرم القاضي من سفوح عيال تحت المهاجر الشمالية وأرسل يطلب تسليم مصطفى بك ويهدد نابلس ، فخرج اليه احمد بك أخو مصطفى بك بالهدايا ، فاتفقا على ايفاد وفد من قبل الظاهر لمفاوضة نابلس .

استعدت نابلس لاستقبال الوفد استقبالاً حريماً ، فنصب آل النمر سلاحهم من باب خان التجار الشرقي الى البوابة الشرقية ، ونصب آل طوقان سلاحهم من باب خان التجار الغربي الى داخل دارهم ، وكان البارود في كلتا الجهتين على أربعة صفوف ، واحتشد في قصر آل طوقان نحو ألف بواردي .

وفي الوقت المعين جاء أحمد بك وصحبته الوفد المكون من الشيخ كريم بن أيوب والشيخ ناصيف المتوالي ومعهما ستون فارساً . فاستقبلوا بمفاوضة كبيرة ثم اجتمعوا بأمرأ نابلس ووجهائها وعرضوا عليهم شروط الظاهر وهي تسليم جميع السلاح وخروج مصطفى بك وأحمد بك الى الظاهر كي يلبسهما<sup>(١)</sup> الأول متسلماً على نابلس والثاني متسلماً على القدس بدلاً

(١) كانت العادة أن الوالي حينما يعين متسلماً على بلد يلبسه فردة والمتسلم بدوره يقدم له هدية من المال .

من آل النمر متسلمي والي الشام فيها أي أنه يريد ارغامها على عصيان الدولة والالتقياد اليه . فرفضت نابلس هذه الشروط بلا تردد وانفقوا على خروج أحمد بك اليه ليفاضه على شروط جديدة .

### كبرياء الظاهر ودهاء أصمرك بك

خرج أحمد بك براسين من الخيل الجياد للظاهر الذي لما بلغه رفض نابلس للشروط احتد وغضب وألح بتسليم مصطفى بك صاغراً وتسليم جميع السلاح الموجود في نابلس واذعان نابلس إليه وإلا فإنه يهدمها بدافعه . ولما سمع ذلك أحمد بك نطاهر بالقبول لئتمكن من الثقلت وأعلم الظاهر بأنه يود الرجوع الى نابلس ليأثبه بأخيه مصطفى بك فصدق الظاهر كلامه وسمح له بالرجوع إلا أنه لم يكده يبلغ حدود البلد حتى استنجد فأنجده رجال نابلس وأغار من ساعته على رجال الظاهر وقت الغروب وبذلك بلغه الرفض عملياً . قال ابراهيم الدنقي السامري كاتب سراي نابلس عن ذلك في كراسه <sup>(١)</sup> : « أرسلوا أحمد بك وراسين خيل ولما وصلوا لعنده حكى حكى غير ما احكوا مراسلية ضاهر يبين عن باطن أذاه وقد حتم على حضور مصطفى بك لعنده لازم ضروري فعمل أحمد بك رجولة تامة وأخبره بأن نحن يا شيخ مرادنا نكون كعبالك ونتحد في حبالك بل مرادنا ثقة منك ونأخذ الأمن وأنا بدخل احضر معي مصطفى بك لطرفك تخلف له وخال في عقل ضاهر أن الامر صحيح لا خلاف فيه ولبس أحمد بك فروة ومشى من عنده ولما انفصل عن منزله نادى على من معه الشوباش <sup>(٢)</sup> . »

(١) راجع المعادير قسم المخطوطات . (٢) راجع بحث الشوباش في فصل الفتوة من باب الامارة في الجزء الثاني .

### هجوم الظاهر على نابلس

لم يحدث شيء في اليوم الثاني بين الفريقين وفي اليوم الثالث هجم رجال الظاهر على بوابة نابلس الغربية فتلقاهم النابلسيون برباطة جأش وردوهم سبع مرات قتل فيها نحو مائة رجل من رجال الظاهر وعدد كبير من الخيل . ولم يقتل من النابلسيين سوى ثلاثة .

وفي اليوم التالي باغت النابلسيون رجاله على عين دفنة في الجهة الشرقية وقتلوا عدداً منهم ومنعوه السقاية واستاقوا ابلهم .

### تخريب القرى

بعد أن تكبد ظاهر العمر هذه الخسارة ترك نابلس وتحول نحو القرى يهدم بيوتها ويتلف زروعها ليضطر النابلسيين في المدينة ومن معهم من أهل القرى على الخروج اليه لكي يتمكن من مباغته المدينة بعد أن تضعف فيها قوة الدفاع إلا أن النابلسيين فطنوا لمكيدته وآثر القرويون المخلصون الدفاع عن امهم نابلس على الدفاع عن قراهم وزروعهم شأن أبناء جبل نابلس في حبههم وإخلاصهم لأمهم نابلس التي يفدون بها بنفوسهم في كل حين .

### واقعة الزاركة<sup>(١)</sup>

بعد بضعة أيام قضاها الظاهر في بورين وقضاها رجاله في تخريب القرى فاجأ نابلس من الجهة الغربية الجنوبية فحط رحاله في قرية رفيدا ونصب مدافعه فوقها متجهة نحو نابلس ، وسار رجاله تحت حمايتها فهدمت القسم العلوي من مأذنة جامع الخضرة وبعض المباني فتمكن رجاله من الوصول إلى جدران جامع الخضرة والبساتين المحيطة به ولما شعر بهم

(١) هي مقبرة نابلس الغربية .

النابلسيون خرجوا اليهم من جهة رأس العين والجهة الشمالية فقطعوا عليهم  
الخط وضائقهم في الزاركية بين القبور فاستولى عليهم الذعر وفروا  
هاربين بعد أن تركوا في الساحة مئات القتلى والجرحى وعدداً من  
الاعلام والمدافع وكثيراً من العتاد . قال ابراهيم الدنفي كاتب السراي  
في كراسه : « زحفوا على طرف المدينة من جهة <sup>(١)</sup> الغروز والزاركية  
وانصبوا المدافع وكانوا <sup>(٢)</sup> علينا كوت بليغ في المدافع والبارود وأول  
الكون كان الوجه لهم ودخلوا طرف بستان بقيع معجنة وبلغوا حيطان  
الخرصة وكانت ساعتين ثلاثة والعياذ بالله كلها غضب فأعان الله تعالى  
وحملت عليهم الجرود وخرجوا لهم كالقروود ودخلوا عليهم هجم وصار  
برجهم بالبارود رجم وقد كسروهم وأخذوا أيضاً يارقهم ومدافعهم  
والجباخانات وكانت قدرة الله تدافعهم وسقط منهم في اليوم المذكور  
فوق الألف قتيل ومن جمعنا نفرين فقط . وفي ضحوة النهار كوموا  
البارود وانحل الكون ودخلوا جميعاً في فرح وسرور وحظ وجبور » .

### مشاركة الظاهر ورعيه

بعد أن نال الظاهر ما ناله في واقعة الزاركية عاد ونزل في كرم  
القاضي الذي نزل فيه في أول وصوله وقد علم بعد ذلك بأن آل النمر  
هم حكام البلد فأرسل يطلب مفاوضتهم على يد أحد العلماء فأرسلوا  
له الشيخ لطفي من علماء نابلس فعمد معه متاركة بأن لا يتعرض لنابلس  
ولا يتعرض نابلس اليه « اي لا تيجونا ولا نيجيكم » حسب الاصطلاح

(١) هي الأراضي الواقعة غرب المقبرة الغربية ملك آل سويصة ، وهي حي السامرين  
الجديد اليوم . (٢) أي حاربونا حرباً عظيمة - لأن الكون في اصطلاحهم هي الحرب  
الكبيرة - راجع عرف الصفوف في الجزء الثاني .

الدارج في ذلك الوقت وعلى هذا الشرط عاد الظاهر برجاله الى عكا وقد سار الأمر على هذا الى السنة التالية ، وأُوقِدَ نزل ولده ضيقاً على مصطفى بك طوقان مظهراً عدم الرضا من أبيه ، ولم يعد يتعرض لنابلس .

### انحمار يافا ومحاربة اغتيال الظاهر

كان أبو الذهب <sup>(١)</sup> في سنة ١١٨٥ هـ هاجم دمشق الشام وأصبح بإمكانه الاستيلاء عليها وقد ساعده الظاهر بكل قواه إلا أن صديقه اسماعيل بك الذي كان ميالاً للدولة العثمانية حذره من العاقبة ، وأقنعه بوجوب الاتفاق والتفاهم مع الدولة ، فتجنب فتح دمشق ، ولما عاتبه سيده علي بك الكبير اتهم ظاهر العمر وأولاده بالتقصير . فكتب علي بك بذلك لظاهر ، فأرسل هذا ولده إليه يفهمه الواقع ، ف وقعت الحرب بين علي بك وقائده أبي الذهب فغلب علي بك واندحر وهرب من وجه أبي الذهب الى ظاهر العمر ، ولما بلغ الظاهر ذلك خرج ببعض رجاله ليستقبل ضيفه علي بك ، فذعرت يافا واستنجدت بمصطفى بك طوقان فأنجدها بأخييه أحمد بك ومعه جموع كثيرة ، ورابط هو بين الرملة والمجدل لعلي بك والظاهر يريد قتلها والتعرض لها ، ولما بلغها ذلك تجنبوا الاصطدام به وانسلا سراً الى عكا .

### ضرب يافا وحصانها

أحاط ظاهر العمر استنجد يافا بنابلس ، فأرسل (بركنة) أي قطعة من الأسطول الروسي الذي كان يسير بإشارته في البحر الأبيض المتوسط - وسلطت مدافعها على يافا ففزل اليها بجارة يافا البوasl ووصلوها واستولوا

(١) سمي بأبي الذهب لكثرة ما أنفق من الذهب حينما عين أميراً .

عليها بعد أن قتلوا عدداً من رجالها المعروفين (بالجنكشن) وأغرقوا عدداً آخر وأسروا الباقين وأتوا بهم إلى أحمد بك طوقان محافظ بلدتهم إذ ذاك .

### قتل الأسرى وجلب الشر لنابلس

لما بلغ مصطفى بك طوقان الخبر طلب الأسرى وقلمهم في نابلس ليخرج موقف ظاهر العمر مع أحلافه الروس ولكي يرسل رؤوسهم للوالي والسلطان . قال إبراهيم الدنفي : « ضربوا البركندة ومسكوها مسك اليد ، وغرق منها عشرة أنفار وهرب منها والبقية دخلوا بهم لبافا ، وفي الحال أرسلوا وعرضوا ذلك لجناب أفندينا بمكتبة من جناب أخيه حضرة أحمد بك المتسلم فأرسل يطلبهم منه مع التفكجية وحضروهم وساعة حضورهم قطعوا رؤوسهم » . ولما بلغ ظاهر العمر ذلك جن جنونه وعده عدواناً فظيعاً وأقسم أن لا يرجع عن نابلس هذه المرة ما لم يسق حصانه من عين الست<sup>(١)</sup> وصار ينهب قوافل نابلس ويقطع الطرق المؤدية لها .

### الناسر على محمد باشا وآل النمر

كانت الدولة عينت عثمان باشا الكرجي والياً على مصر على أن يخضع ظاهر العمر ومماليك مصر ، وخولته سلطة كافية وأمدته بكل ما يلزم له ، فنزل دمشق وأمد مصطفى بك طوقان كما مر . وكان عثمان باشا يطمع بولاية الشام ، ومصطفى بك يطمع بمتسلمية نابلس ، فتآمرا على محمد باشا العظم والي الشام وعلى آل النمر حكمه في نابلس ونسبا القصور لمحمد باشا العظم الذي كان في الحجاز مع الركب الشامي

(١) هي العين المجاورة للسراية القديمة والكائنة في جدار مقبرة آل فروخ المدفون

فيها صالح باشا جد مصطفى باشا طوقان المذكور .

ونسبا الدفاع المجيد لها وكتبنا بذلك الى السلطان فصدرت الأوامر السلطانية بعزل محمد باشا العظم وتولية عثمان باشا الكرجي مكانه على ولاية الشام وتعيين مصطفى بك طوقان أمير أمراء (ميرميران) بلقب باشا على ألوية يافا وغزة والرملة ونابلس . وترضية لآل النمر حصلا على رتبة أمير الأمراء (ميرميران) ولقب باشا لإبراهيم آغا النمر متسلم القدس .

### الخلاف بين الأغوات والبيكات

ورث قاسم آغا النمر المالككة عن أبيه "إسماعيل آغا" ، فلما صار مصطفى باشا طوقان متسلماً ومير لوانابلس حصل على براءة بالمالككة بحجة أنها من متعلقات المتسلمية ، وكان قاسم آغا المذكور قد مات في هذه البرهة عن ولدين قاصرين ، فتولى الدفاع عنهما إبراهيم آغا النمر حاكم القدس ، وحسن آغا النمر مير ألاي نابلس ، فوقع الخلاف بين البيكات والأغوات وعثمان باشا الكرجي ، فرفض إبراهيم آغا الرتبة واللقب الكبير ، ورفض الاعتراف بعثمان باشا ، وظل على اتصال بمحمد باشا العظم الذي شجعه على الاتفاق مع ظاهر العمر والعمل على مضايقة مصطفى باشا طوقان . فانقلب الأغوات على البيكات ، وفوض إبراهيم آغا الشيخ يوسف الجرار بمخابرة ظاهر العمر والاتفاق معه .

### انقلاب نابلس على مصطفى باشا

لم يرض النابلسيون عن غصب متسلمية نابلس والمالككة من آل النمر ونسبة البيكات الدفاع عن نابلس لانفسهم فقط ولم يرضهم ايضاً التعرض لظاهر العمر ومحاولة الفتك به ، فأخذوا يتفرون من هذه الأعمال ، وزاد الطين بلة قتل الأسرى في مدينة نابلس ، وكان قاضيها إذ ذاك

(١) راجع مبحث إسماعيل آغا النمر في فصل أحفاد الجرجي من الباب السابق .

الشيخ موسى التميمي ببغض البيكات كما مر ، وكان قوياً شديداً فأثار الرأي العام ضدهم ، لأن قتل الأسرى ممنوع شرعاً ، وكان الأغنياء والتجار قد تضايقوا من تكاليف مصطفى باشا التي كبدهم إياها حينما أعطى الرتبة والباشاوية ؛ قال إبراهيم الدنفي عن رسل عثمان باشا : « ومكثوا في طرفه ستين يوماً كل يوم يصرف عليهم مقدار مائتين غرش مأكل وعليق ، وبعد ذلك جمع التجار وألزمهم بفرض دراهم ، وجمع لهم خمسة آلاف <sup>(١)</sup> قرش قدمها لهم ولمن معهم ومشاهم » . وقد نهبت <sup>(٢)</sup> قوافلهم وبضائعهم على غير فائدة تعود لهم ولبلدهم ، وقد ضايق الجميع غضب عثمان باشا الكرجي ولالية الشام من أسباده آل العظم كما صرح بذلك المرادي الذي عده ناكر الجليل . وقد اجتمعت هذه العوامل المثيرة وكلها ضد عرف أهل ذلك العصر الاقطاعي النبيل ، وهي غضب عثمان باشا الولاية من آل العظم ، وغضب مصطفى باشا طوقان المتسلمية والمكانة من آل النمر ، وكبيرهم عمر آغا ساعده للحصول على مشيخة بني صعب ثم قتل الأسرى وإلزام التجار وقطع الطرق عن نابلس ونهب متاجرها بسبب طمع مصطفى باشا طوقان في الحصول على الرتب والألقاب ، هذه العوامل المجتمعة في مدة سنة ، قلبت جبل نابلس كله ضد البيكات ، وألحوا جميعاً بتأييد محمد باشا العظم ومصالحة ظاهر العمر ، وخذلان مصطفى باشا وصديقه عثمان باشا .

\*\*\*

(١) كانت الذبحة في ذلك العهد ثلاثة قروش وثلاثين بارة أي خمس ظلمات - راجع بحث العملة في بابي الميري والتجارة من الجزء الثاني . (٢) راجع فصل المتاجر والثروات في باب التجارة من الجزء الثاني .

## دخول الظاهر العمر لنابلس

لما رابط مصطفى باشا طوقان للظاهر ، لم يرد التعرض لنابلس<sup>(١)</sup> بل اكتفى بالتعرض ليافا التي استنجدت بالبيكات ، ولما طالب مصطفى باشا الأسرى وقتلهم في نابلس ، عد ظاهر العمر هذا العمل موجبا للسخط والنقمة على نابلس فأقسم أن لا بد من دخوله . وفي الوقت الذي بلغ فيه ظاهر العمر هذا الحد كان يجمع جيشا علي بك الكبير ليسترد به مصر خو له لدخول نابلس ، ولكن نابلس في ذلك الوقت اقلبت وقرها ضد مصطفى باشا كما مر ، فلما حط ظاهر العمر بجيشه على اللجون وياقة الغربية ، وصل إليه الشيخ يوسف الجرار رسول جبل نابلس ، يدعو له لضيافة آل النمر والاتفاق معهم .

لا شك أن ظاهر العمر طار قلبه فرحا لهذا الخبر الذي ما لبث بعد أن تأكد صحته أن سار مع الشيخ يوسف الجرار وعدد من فرسانه وتوجه لنابلس فاستقبل بحفاوة ، وبعد أن سقى حصانه من عين الست حل ضيفا في قصر آل النمر واتفق معهم ضد مصطفى باشا وعثمان باشا ثم عاد لجيشه الذي أرسله مع علي بك واحد أولاده لاسترداد مصر من أبي الذهب وذلك سنة ١١٨٦ هـ .

## انساب البيطات

لما بلغ مصطفى باشا طوقان اتفاق آل النمر مع ظاهر العمر وانقلاب الرأي العام ضده ، انسحب هو واخوته وعائلته من نابلس الى يافا ، فانضم اليهم أخوه أحمد بك ونزلوا في البحر الى صيدا ، ومن هناك

(١) يقول ابراهيم السامري الدنقي ان ظاهر العمر صار يتعرض لقوافل نابلس بعد المناركة وهذا من مخاتلات هذا الكاتب الذي انما كتب كراسه حسبا برضي مصطفى باشا .

ساروا ونزلوا على الشهابيين في راشيا ، ثم ذهب مصطفى باشا الى دمشق واجتمع بصديقه عثمان باشا الذي زوده بالشهادات اللازمة التي ذهب بها الى السلطان في العاصمة فعينه والياً على مصر وأعطاه المعدات اللازمة لأبي الذهب كي يهاجم ظاهر العمر الذي عاد فاستولى على الساحل جميعه بما فيه الرملة وغزة ويافا .



منظر قلعة صانور من الداخل<sup>(١)</sup>

### محصن جبل نابلس واستمراره

غلب علي بك الكبير ووقع أسيراً جريحاً بيد قائده أبو الذهب الذي سمه ليتخلص منه ، ثم أخذ يعد العدة للانتقام من ظاهر العمر الذي سبب له هذه المتاعب وساعد خصمه ، وفي نفس الوقت تشجع والي الشام عثمان باشا على الهجوم على ظاهر العمر وجبل نابلس إذ باتفاق آل النمر مع ظاهر العمر أصبحت سوريا الجنوبية كلها خارجة على الدولة ، لأن

(١) لم يبق من سور القلعة القديمة شيء والقسم الباقي هو السور الذي بني بناء عادياً بعد ان هدمه عبد الله باشا الجزائري سنة ١٣٤٦ هـ .

آل النمر بيدهم جبلا القدس و نابلس ، وقد استولى ظاهر العمر على جبل عجلون وساحل فلسطين كله .

وقد بلغ ظاهر العمر وآل النمر استعداد والي الشام وأمير لبنان للهجوم من الشمال ، واستعداد أبو الذهب للهجوم من الجنوب وقد بلغهم تعيين مصطفى باشا والياً على مصر فأخذوا يستعدون للمقاومة النهائية .

نادى ابراهيم آغا النمر في جبل نابلس وجبل القدس حاضاً على الاستعداد وبناء الحصون بأسرع ما يمكن بالشيد والزيت<sup>(١)</sup> ، فتوالت الامدادات وثارَت النخوة من جبل الخليل الى صفد ، فبني السور والقلعة حول صانور ، وبنى العطاعطة برجهم في السهل أمام مدخل وادي الشعير وبنوا<sup>(٢)</sup> شونة في كفر اللبد . وبنى الجيايسة برج قلعة في كور وأخرى في صوفين وبنيت عشيرة شبيطة شونة في عزون ، وأصلحت قلعة رأس العين وبنيت قلعة جينين ، وبنيت حصون أخرى حول عرابة وأم الفحم وبقا ، وتبارت عشائر جبل نابلس في بناء الحصون في الشمال والغرب وكذلك في جبل القدس ، وكلها على المرتفعات المطلة على السهول ومدخل الأودية فانقضت سنة ١١٨٧ هـ كلها باستعداد في مصر والشام وجبل نابلس .

ولما بلغ جبل نابلس زحف الجيوش تسابق رجاله الى الحصون ومدخل الأودية للدفاع الجيد ضد جيوش الشام ومصر ولبنان ، وإذا كان الخطر أعظمه من الشمال رابط ابراهيم آغا النمر والشيخ يوسف الجرار في الشمال لصد جيشي الشام ولبنان .

\*\*\*

(١) راجع فن البناء في الجزء الثاني (٢) الشونة هي الحصن الصغير .

### مُزَلُّونَ جَيْشِ مِصْرَ

في سنة ١١٨٨ هـ زحف أبو الذهب بجيش مصر<sup>(١)</sup> على فلسطين ، فاستولى على غزة سلماً وقاومته يافا ، فقتل من أهلها خلقاً كثيراً بالغ المؤرخون فيه وقالوا إنه أقام من جاجهم تلالاً ، وكان ظاهر العمر مصمماً على الخديمة فأخلى عكا وصفد وانسحب الى جبل عامل ، فدخل أبو الذهب عكا دون مقاومة ، وقد ظل رجال جبل نابلس مرابطين في الحصون والأبراج ومداخل الأودية يضايقون جيش مصر ويهاجمونه أثناء مروره ، وقد مكث أبو الذهب في عكا ينتظر أخبار والي الشام . وفي تلك الأثناء وفق ظاهر العمر بواسطة جواسيسه الى إغراء أحد رجال أبي الذهب لقاء أربعة آلاف ذهبة ففسد عليه السم فقتله به بعد ثلاثة أيام من استيلائه على عكا . فقتل كما قتل سيده علي بك . أما جيشه فقد فرغ وادعى رجاله أنه مات من شدة الفرح ، وبذلك أمنوا الفتنة ، وصمم الجيش على أخذ الجثة الى مصر لئلا تحرق اذا دفنت في عكا ، ففسلوها بالعطور وحملوها الى مصر وعادوا عن ساحل جبل نابلس يحرون اذيال الخيبة وقد استولى عليهم الذعر من رجال جبل نابلس الذين كانوا يباغتونهم أثناء انسحابهم .

### مُزَلُّونَ جَيْشِ الشَّامِ وَلِبْنَانِ

صادف أنبازل الأمير منصور الشهابي عن إمارة لبنان لابن أخيه الأمير يوسف تولية عثمان باشا الكرجي على ولاية الشام ، فتقدم اليه الأمير يوسف طالباً تأييده فأيده ، ولما صمم عثمان باشا الكرجي المذكور على مهاجمة جبل نابلس طلب مساعدة الأمير يوسف . ولما زحف جيش

(١) وقد بقي مصطفى باشا طوقان في مصر ولم يأت مع أبي الذهب .

الشام وجيش لبنان الى الجنوب وجدا صفد قد أخلاها الظاهر فتوجها جنوباً حيث اصطدما بمجموع جبل نابلس في المرج بقيادة ابراهيم آغا النمر والشيخ يوسف الجرار اللذين انسحبا أمامهما الى الداخل وحاصرا في صانور الى أن قضى على ابي الذهب . وفي تلك الاثناء جفت آبار صانور فاستغاث ابراهيم آغا النمر الامير الصوفي<sup>(١)</sup> فأتت غيمة وقفت على صانور فأمطرتها وملأت آبارها فتشجع المحصورون على المقاومة وفي تلك الاثناء وصلت نجدات الحصون الغربية بعد انسحاب جيش مصر وباغتت جيش الشام ولبنان فأصبحا محصورين بعد أن كانا محاصرين وأصبحا بين هجوم النجدات من الخارج وهجوم الجموع التي في القلعة فاضطرا على الانسحاب بعد أن تكبدا خسارة عظيمة ولاقيا الالهوال في الأودية والسهول فقال شاعر لبنان يصف الصعوبة والهول :

جينا ابلاد جدعا ما وصلها      عرب وادروز والدولة تصلها  
عربستان يارب نصلها      بحق البيت والعشرة الصحابة  
وقال شاعر جبل نابلس :

صانور يا قفة النور      ياست كل القرايا  
مكتوب في عالم الغيب      يارب تحمي الولايا<sup>(٢)</sup>

وقد كان لهذا الفوز الذي أحرزه جبل نابلس دوي عظيم فاف  
فوزه على ظاهر العمر قبل ذلك بسنتين وقد أعجب النابلسيون ببسالة

(١) راجع مبحث التصوف في باب العلم من الجزء الثاني .

(٢) الولايا جمع ولية وهي المرأة — راجع الرقي اللغوي في الباب السابع من الجزء الثاني

أميرهم فلقبوا إبراهيم آغا النمر بسلطان جبل نابلس ولقبوا الشيخ يوسف  
الجرار بسلطان البر .

### نجاة جبل نابلس والقضاء على الظاهر

عاد ظاهر العمر إلى عكا وصفد واسترد الساحل كله وقد كان  
لفشل الأمير يوسف الشهابي تحت أسوار صانور تأثير كبير على نفسه ،  
وبدسأس محمد باشا العظم وظاهر العمر اتفق مع الشيخ ناصيف المتوالي  
شيخ جبل عامل واقلبا على والي الشام عثمان باشا الكرجي فالتقى جيش  
الشام بجيش لبنان وجبل عامل في سهل البقاع فغلب عثمان باشا وكان  
محمد باشا العظم قد حرك دمشق ضده فهرب ملتجئاً إلى حماه ونهب  
الدروز والمتاولة جيشه ففضح فضيحة شائنة .

وبعد سقوط عثمان باشا الكرجي وفضيحة أعيد محمد باشا العظم  
لولاية الشام فعاد بعودته جبل نابلس وجبل القدس الى حظيرة الدولة  
ونجا آل النمر من نقمة الدولة لأنهم كانوا متفقين مع محمد باشا سرّاً  
كما مرّ وكان ذلك سنة ١١٨٩ هـ .

وفي السنة التالية جاء الاسطول العثماني إلى مياه عكا بقيادة  
القبودان حسن باشا فحاصر ظاهر العمر فيها إلى أن قُتل هو وأولاده  
وانتهى العصيان وعادت البلاد الى الدولة وعين على إيالة الساحل أحمد  
باشا الجزائر الآتي ذكره .

وقد عين خليل باشا والي حلب والياً على مصر وعين مصطفى باشا  
طوقان والياً على إيالة جدة (أي الحجاز) وظل فيها إلى أن مات حوالي  
سنة ١١٩٧ هـ .

## الفصل الخامس

### عصر السلطانين

#### اتفاق آل النمر وآل جرار

بعد انسحاب مصطفى باشا طوقان من نابلس انفق آل النمر وآل جرار على أن يكون الشيخ يوسف الجرار متسلماً لنابلس وأن تدار بواسطة وكيله صالح<sup>(١)</sup> آغا ابن أحمد آغا النمر وبمساعدة المير آلاي حسن آغا النمر وبذلك بدأ حكم آل جرار في نابلس . وقد لقبوا بعد ذلك بالأغوات . وظل ابراهيم آغا النمر متسلماً على القدس وبهذه الوساطة احتفظ آل النمر بحكم القدس ونابلس ووجدوا شمال جبل نابلس وجنوبه وأوجدوا أمام البيكات خصماً قوياً عنيداً .

#### تفاهم البيكات والأغوات

في سنة ١١٩٨ هـ رجع اخوة مصطفى باشا طوقان وولده وتفاهموا مع آل النمر بواسطة سائر فروع آل طوقان فخرج البيكات عن براءتهم بالمالكانه لأسعد آغا النمر<sup>(٢)</sup> حفيد اسماعيل آغا النمر صاحبها الأول ولقاء هذا أعطى حسن آغا النمر<sup>(٣)</sup> زعامة اودلة لأحمد بك طوقان وبذلك تفاهم الفريقان فدام الوثام بضع سنين .



(١) هو صالح آغا بن أحمد آغا بن الشيخ صالح الاغا ابن الامير يوسف النمر - كما يظهر

من آل النمر اليوسفيين في نابلس - راجع عصر بني النمر .

(٢) و(٣) راجع الوثائق في فصل الاقطاع من باب الحكومة في الجزء الثاني .

## المجرب والمجاعة

بختام القرن الثاني عشر انتهى عصر نابلس الذهبي فانبثق القرن الثالث عشر عن مصائب متوالية فقد قلّ المطر سنة ١٢٠١ فارتفعت الأسعار ونقاطر الناس على نابلس من البلقاء وجبلي القدس والخليل فحصلت مجاعة باع الناس فيها أثاث بيوتهم وأملاكهم وقد فقدت الغلال والماعز والضأن فأكلوا البقول والخضار ثم أكلوا لحوم البهائم وطحنوا المعظم . وسادت الفوضى وانقطعت الأسباب ودخل فصل الشتاء سنة ١٢٠٢ بلا مطر وجفت بعض الينابيع وغاضت مياه الآبار وبلغت قلة<sup>(١)</sup> الماء مصرية ونصف وارتفعت الأسعار ارتفاعاً فاحشاً فبلغت جرة الزيت عشرين زلطة<sup>(٢)</sup> وزادت أسعار سائر الحاجيات إلى عشرين مثلاً وبلغ رطل القمح زلطة . واشتد الضيق وتعطلت الأعمال وكثر النهب والسلب ومات الناس في الشوارع وما زالت الحال تشتد إلى أن وصلت الغلال التي استوردها التجار من جزيرة مالطة ولولا وصولها لهلك الناس .

### «الوباء»

بعد المجاعة تفشى وباء جارف أهلك الناس بالآلاف مات فيه من أهالي مدينة نابلس وحدها أربعة آلاف نفس فضعفت البلاد واضمحلت أحوال العباد وتناقصت الأيدي العاملة فتعطلت المصانع ونخرت الأراضي فكان ذلك أول شرور القرن الثالث عشر التي توالى حتى نهايته .



(١) القلة هي الجرة والمصرية هي البارة وهي واحد من أربعين من القرش وقد كانت الذهبية ثلاثة قروش وثلاثة أرباع قرش كما سيبين في بحث العملة في فصل الميري في الجزء الثاني .  
(٢) كانت الزلطة في ذلك الوقت تساوي ربع ذهبة .

### فصل جزار عن نابلس

بذل يوسف آغا الجزار سلطان البر كل ما استطاع في المجاعة فسارت بكرمه الركبان حتى شهد له بذلك <sup>(١)</sup> أحمد باشا الجزار بعد عشر سنين إلا أن التابلسيين نشاءوا من إمارته التي باشرها بنفسه بعد موت المتسلم الحقيقي صالح آغا النمر . وكان البيكات بالمرصاد فتروك <sup>(٢)</sup> أحمد بك زعامة اودلة وصار هو وسائر البيكات ينفرون نابلس من حكم جزار الذي حلت في عهده الويلات والمصائب فطلبوا من والي الشام فصله فإبى طلبهم وعين أسعد بك ابن مصطفى باشا طوقان مكانه وذلك <sup>(٣)</sup> سنة ١٢٠٤ هـ . فوقع العداء بين آل جزار والبيكات .

### تعيين سلطان جبل نابلس

خشي ابراهيم آغا النمر من أن يحصل من البيكات ما حصل في السابق وحسب عاقبة عدائهم لجزار فتروك القدس لولده محمد آغا وتولى متسلمية نابلس بنفسه فبدأ القسم الثاني من عصر السلطانين الذي اقضى بهدوء وبقي يوسف آغا الجزار متسلماً على جينين فبقيت الأحوال سائرة بهدوء الى أن ضمت ولاية الشام لأحمد باشا الجزار فبدأ دور الدسائس .

### أحمد باشا الجزار

هو بشناق الأصل علمه أخوه الخلافة ثم طرده لسوء خلقه فجاء إلى الاستانة واشتغل عند حلاق علي باشا الحكيم فأنصل بعلي باشا المذكور الذي عين والياً على مصر سنة ١١٦٩ هـ وأخذ معه فباع نفسه

(١) راجع قصيدة الجزار لجزار في فصل الشعر من باب اللغة في الجزء الثاني اذ يقول له « يوم الغلا صيتك علينا فات » . (٢) راجع وثيقة زعامة اودلة في وثائق الاقطاع في باب الحكومة من الجزء الثاني . (٣) راجع مرسوم التعمين غير المحدود في باب الحكومة فصل المتسلمية من الجزء الثاني .

هناك لصالح بك أحد رؤساء المماليك وأظهر من الحذق والشجاعة ما جعله يتفوق على جميع ممالك صالح بك . ولما عصي عرب الهنادي النازلون في مقاطعة البحيرة سلطه صالح بك عليهم ولكثرة من قتل منهم لقب بالجزار وظهر أمره فحسده ممالك صالح بك وتآمروا على قتله فشرع بذلك وهرب إلى استانبول سنة ١١٨٣ هـ ثم خرج إلى الأناضول يعيش فيها فساداً فحصل على ثروة طائلة بالنهب والسلب ولف حوله عدداً من الأشقياء الذين جاء بهم إلى بلاد الشام واتصل بوالياها وكان الشهابيون قد أخذوا قلعة بيروت بعد أن ضربها الاسطول الروسي ورابط في الميناء فتعهد بإرجاع الاسطول بواسطة صاحبه ظاهر العمر على شرط أن يقدم له الشهابيون مبلغ عشرين ألف ذهبة فأجيب إلى طلبه وأشار ظاهر العمر على الاسطول الروسي بالانسحاب فنزل الجزار في قلعة بيروت ورممها ثم امتنع عن تسليمها للشهابيين وحصل على أمر بولاية الساحل وجمع خلقاً كثيراً من المغاربة والارناؤوط والشر كس ؛ وبعد قتل ظاهر العمر نقل مركزه إلى عكا<sup>(١)</sup> وضم إليه ساحل سوريا الجنوبي . وفي سنة ١٢٠٨ هـ ضمت إليه إيالة الشام وإمارة الحج وبذلك أصبح جبل نابلس داخلاً في حكمه فبدأت الدسائس والمفاسد .

### بين آل النمر والجزار

كان أول ما عمله الجزار أن ولي مملوكه قاسم بك على القدس ولم يجدد لمحمد آغا النمر المتسلمية ولما شعر بذلك ابراهيم آغا النمر متسلم نابلس وحسن آل النمر مير أليها أرسله كتاباً يظهران به الاخلاص

(١) فبني حولها السور وفيها الجامع واستردت مكانتها التي كانت لها في الحروب الصليبية .

والولاء وكان يستعد للذهاب إلى الحجاز مع الركب الشامي فكتب  
لها الكتاب الآتي :

قدوة الأمان والاقران حسن آفا و ابراهيم آفا أولاد النمر زيد قدرهم !  
بعد السلام التام بمزيد الإكرام نعرفكم أنه قد انعرض لدينا  
صدق خدامتكم إلى طلب رضانا بارك الله فيكم فالمراد منكم تكونوا  
مطيين البال مسرورين بالأحوال من جميع وإنشاء الله تعالى متى تبسر  
رجوعنا من طريق الحج الشريف بالسلامة بحق تلاقونا إلى الزرقا<sup>(١)</sup>  
وتواجهونا وإن شاء الله الرحمن تشاهدون من لدنا كل الإنعام والإكرام  
وما يسر خاطركم ويقر ناظركم من الخير الوافر عرفناكم والسلام .

الحاج أحمد الجزار

في ٢٤ ل<sup>(٢)</sup> سنة ١٢٠٨

والي شام وصيدا

### رسائل الجزار

شغل الجزار بعد رجوعه من الحجاز بتنظيم ولاية الشام فاحتكر  
الحبوب والأقطان وقتل عدداً كبيراً من أرباب الحرف ثم التفت بعد  
ذلك إلى جبل نابلس يوقد فيه الفتن وإذا كانت حكمته من أهله فقد  
رأى تبديلهم تمهيداً لحكمه بما يليه كما فعل بسائر الألوية . كانت  
البيكات بالمرصاد فعين أحمد بك طوقان متسلماً على نابلس وعين الحاج  
محمد بك طوقان شيخاً على بني صعب وحول إغراء الشيخ صالح السليمان  
شيخ الجرادات بمسلمية جينين ولما رفض سمه وحينما تحقق آل النمر وآل  
جرار والجيالسة نوايا الجزار اتفقوا على العصيان فشلوا حركة أحمد بك

(١) هي قلعة في البلقاء كانت تعتبر من منازل أمير الحج . (٢) ل = شوال

طوفان ولم يمكنوه من عمل شيء فتوعدهم الجزار بالخراب والدمار وفي تلك الأثناء زحف نابليون<sup>(١)</sup> الافرنسي بجيشه من مصر على سوريا فانقلب الجزار يستنجد<sup>(٢)</sup> بعد أن كان يهدد . وقد اعتذر ليوسف آغا الجرار وانقلب على البيكات إلا أنه حوصر وأعطيت ولاية الشام لعبد الله باشا العظيم وجاء الصدر الاعظم بالذات الى دمشق فدخلت المسألة في دور خطير .

## الفصل السادس

### حرق الافرنسيين ومضايقتهم

#### زحف نابليون على فلسطين

بعد استيلاء نابليون على مصر ولي الجزار قيادة الجيش وأمر بمهاجمة نابليون في مصر فأرسل أحد مماليكه قاسم بك الى العريش ورابط فيها وفي شوال سنة ١٢١٣ هـ زحف نابليون بجيشه البالغ عدده خمسة عشر ألفاً الى فلسطين فدحر قاسم بك من العريش وتقدم نحو غزّه فسلم اليه محافظوها فأطلقهم على تعهد منهم بعدم الاشتراك ضده في الحرب ولما تقدم نحو يافا ذبح حاميتها بحجة أنهم عاهدوه في غزّة وحيث أن اليافيين ذبح عدد من ساداتهم فقد ذعرت البلاد وهاجمته .



(١) هو كورسيكي ابتالي نشأ في فرنسا وصار احد قواد الجمهورية الأولى فجاء بمهمة الى مصر ليعرقل مساعي الانكليز في الشرق فاستولى على الاسكندرية آخر سنة ١٢١٢ هـ واستولى على باقي القطر المصري في اوائل سنة ١٢١٣ هـ وفي منتصف سنة ١٢١٤ هـ زحف على سوريا . (٢) راجع قصيدة الجزار في باب اللغة من الجزء الثاني . (٣) المصادف لا آذار سنة ١٢٩٩ م .

### استعداد جبل نابلس

جمع ابراهيم آغا النمر شيوخ البلاد عند العطاظة في رامين ، وحضر الاجتماع صديقه يوسف آغا الجرار ، ومتسلم نابلس أحمد بك طوقان ، فقسموا الجموع كما فعلوا يوم هاجم جبل نابلس عثمان باشا الكرجي ، فأرسلوا أباي السباهية وجوع المشاريق مع حسن آغا النمر لايجاد الشيخ يوسف الواكد الجيوسي الذي هاجم الافرنسيين في يافا . وخرج محمد آغا ابن ابراهيم آغا النمر بجموع أخرى ومعه العطاظة ، وانضم الى عساكر الجزار في وادي قاقون . ورابطت جموع الشمال بقيادة آل جرار في مرج ابن عامر ، وانضم اليهم أحمد بك طوقان وعلي عمر آغا النمر .

### الهجوم على الافرنسيين وصرهم

استنجدت يافا بجبل نابلس ، فخرج الشيخ يوسف الواكد والشيخ محمود أبو عوده الجيوسي بجموع بني صعب وهاجوا الافرنسيين في يافا فردتهم ميمنة الجيش الافرنسي ، فانسحبوا الى وادي عزون ، وحاصرتهم هناك خمسة أيام ، ولما أوشكت ذخائرهم أن تنفذ ، وصلهم حسن آغا النمر بجموعه ، فانقسم الافرنسيون الى قسمين : قسم انسحب الى السهل وقسم توارى في أحراش وادي الرشا أول وادي عزون تاركين ذخائرهم ليطعموا بها العرب فيشغلون بها ويختصمون ويتحاربون كما كان يفعل عرب مصر . إلا أن حسن آغا النمر فطن للمكيدة فأطلق ورجاله النار في العناد ، فالتهب واحترقت الذخائر فاحترقت معها الأحراش وأحرق من فيها من الافرنسيين ، وقد أحيط بهم ، فقتل النابلسيون من خرج منهم

وسمي جبل نابلس بعد ذلك بجبل النار ولقب ابراهيم آغا النمر بسلطان  
جبل النار .

### قتل البطل والفائز

هجم الافرنسيون بعد ذلك لمساعدة اخوانهم فاشتبكوا بالعرب وقد  
تضابق العرب من فارس افرنسي أظهر بطولة فائقة ، فلجأ فرسانهم الى  
مكبدة ، فأركب اثنان منهم رديفاً ، ولما تبعهم البطل الافرنسي رمى  
الرديفين بأنفسهما الى الأرض ، فصار الافرنسي بينهما وبين الفارسين ،  
فأطلقوا عليه النار من الأمام والخلف وقتلوه ، وبعد قتله ارتبك الافرنسيون  
وبعد الغروب وقف القتال .

وشاهد العرب في الليل حركة القائد دوماس أمام النار من ناحية<sup>(١)</sup>  
الخوذة التي على رأسه ، وكان بينهم رجل مدرب على الرماية ، وهو  
عابد المريجة الشبيطي<sup>(٢)</sup> فصوب بندقيته على رأس القائد وقتله ، فانسحب  
الافرنسيون مخذولين بعد أن أحرق بعضهم وقتل بطلهم وقائدهم ، وكان  
قائدهم الجنرال نابليون باننظارهم ، فراحه ما أصابهم . وقد أجاد شاعرنا  
العقري المعاصر الأستاذ ابراهيم<sup>(٣)</sup> عبد الفتاح آغا طوقان وصف هذا  
الموقف بقوله :

سائل بها عزرون كيف تخضبت بدم الفرنجة قرب بطن الوادي  
دعت الرجال فلم تنكد حتى مشى همم الى الهيجا كالأنطواد  
ثم التقوا تحت السيوف وبينهم كأس الختوف تقول هل من صادي

(١) كان في أعلى الخوذة الافرنسية أنبوبة كالأصبع تلحم أمام النار . (٢) انقسمت  
عشيرة شبيطة الى معدى ومريجة . (٣) هو من ذرية أحمد آغا طوقان المار الذكر وأحد  
الأدباء المعروفين في عصرنا ، وهذه الأبيات من قصيدة قالها في نادي آل عبد الهادي .

كسروا من النسر الكبير جناحه      ذي التاج والأعلام والأجناد  
تركوه يجمع في الشباب فلوله      ويصب لعنته على القواد

### كبن قاقون

سار حسن آغا النمر بن معه ورابط في وادي الشعير ينظر استدراج  
الفرنسيين إليه ، وكانت فصيلة من عساكر الجزار ترابط في وادي  
قاقون ، ولما وصل الجيش الافرنسي انسحبوا وبقي النابلسيون بقيادة محمد  
آغا النمر ومعه الصملة والعطاءطة ، ولما دخل الافرنسيون الوادي بقيادة  
نابليون فاجأهم الكمين النابلسي واضطروهم على التقهر الى خارج الوادي  
لانظار الميمنة والسير بكامل الجيش ، فانسحب الكمين الى وادي  
الشعير مستدرجاً الافرنسيين الى الوادي ليخلص من المدافع ؛ إلا أن  
نابليون فطن للأمر وأمر فصيلة من جيشه بالصعود على التلال للمحافظة  
على ساقة الجيش ومؤخرته ، وبذلك تمكن هو وجيشه من السير الى  
الشمال . ويقول نابليون إنه كسر عساكر الجزار في وادي قاقون ،  
ولكنه لا ينكر أن الكمين اضطره الى الانسحاب وانظار ميمنة جيشه ،  
وأن الكمين حاول استدراجه الى الوادي الشرقي ، فتجنب للحاق بهم  
واكتفى بمناوشتهم عن التلال . ومثل هذا الاعتراف كافٍ من قائد  
كبير متعجرف ك نابليون .

### واقعة المرج

قسم نابليون جيشه الى ثلاث فرق : فقاد الأولى بنفسه نحو الشمال  
واستولى على حيفا سلباً ورابط فيها ؛ وسار القائد كبير بالفرقة الثانية  
ورابط في مرج ابن عامر ليحول دون اتصال نابلس بعكا ؛ وسار  
القائد منو بالفرقة الثالثة فاستلم صفد والناصرية بمساعدة شيوخها الزبادة

الحاقدين على الدولة العثمانية<sup>(١)</sup> لقتلها كبيرهم ظاهر العمر وأولاده المار ذكرهم .  
 أما عساكر الجزار الذين كانوا مرابطين في وادي قانون ، فقد  
 دخلوا جبل نابلس وانضموا لجموعه وجموع جبل عجلون والبقاء وخرجوا  
 جميعاً عن طريق جينين الى مرج ابن عامر لسياغتهم الجيش الافرنسي من  
 الخلف فوجدوا القائد كبير مرابطاً في المرج ، فأحاطوا به من جميع  
 الجهات ، فقسم فرقته الى أربعة أقسام كل قسم اتجه نحو جهة ووقف  
 هو في الوسط ، وكان من أبسل القواد ، وعساكره مدربون أحسن  
 تدريب ، فظلوا مرابطين في أماكنهم والعرب تهاجمهم من كل صوب  
 ولما شاهدتهم العساكر الموجودون في الناصرة أرسلوا خبراً لقائدهم الكبير  
 في حيفا وأكدوا له حرجة موقف كبير في المرج وحوله جموع من  
 العرب والمماليك<sup>(٢)</sup> وعساكر الجزار الذين بلغ عددهم نحو ثلاثين ألفاً .  
 فأسرع نابليون بالهجي ونصب مدافعه فوق المرج ، وأخذ يطلقها على  
 الجموع المحيطة بفرقة كبير ، فتشردت الى جينين ، ثم نزل الى المرج  
 وتبع اثرهم وأحرق جينين والقرى المجاورة لها أملاً بـرجوع العرب  
 وعساكر الجزار لمقاومته أو إعلانهم التسليم ، فلم يفز بهذا ولا ذاك ،  
 فعاد الى الناصرة ثم حيفا محطماً الآمال ، ثم تقدم نحو عكا . وكان  
 قواد العرب : يوسف آغا الجرار ، وابراهيم آغا النمر ، وولده محمد آغا  
 وابنا عمه حسن آغا ، وعلي آغا ، وأحمد بك طوقان ، والشيخ رياح  
 الشريدة شيخ جبل عجلون .

(١) وقد أخطئوا بذلك لأن جدم قتل بتجديده بالعصيان والتعرد ، وقد تسرعوا  
 وخسروا ، لأن الجزار انتقم منهم بعد ذلك وجردهم من أقطاعهم فضعفوا . (٢) كان  
 ابراهيم بك الكبير قد هرب بمالكة الى بلاد الشام بعد أن غلب واندر أمام عساكر  
 نابليون ، وقد انسحب مراد بك الكبير الأمير الثاني الى بلاد الصعيد .

## أنجاد الجزائر

بعد واقعة المرج ذهب فصيحة من أبطال جبل نابلس من العطاعة والصملة وفداية آل النمر بقيادة محمد آغا النمر وابن عمه علي عمر آغا النمر ليلاً لاينجاد الجزائر ، ولما وصلوا جهة عكا لبداوا<sup>(١)</sup> حوافر الخيل ، واجتازوا نطاق الإفرنسيين ووصلوا القلعة ، ففتح لهم الحراس ودخلوها جميعاً إلا محمد آغا الذي آلى أن لا يدخلها إلا بعد أن يدور حول السور الخارجي ليرى ما أصابه من مدافع الإفرنسيين ، وكان الفجر قد انبثق فشعر به الإفرنسيون ، فأصلوه وإبلاً من نيران مدافعهم وبنادقهم ، فقتل عباده وحصانه ونجا بنفسه متسلقاً السور على الجبال التي أنجده بها الحراس ، فصعد تحت نيران مدافع وبنادق الجيش الإفرنسي ، واستقبل بالتهليل والتكبير ، فكانت هذه المجازفة مما أدهش الإفرنسيين وأثار إعجاب الجزائر الذي ولاه امارة سلاح الولاية بعد انسحاب الإفرنسيين واندحارهم الى مصر<sup>(٢)</sup> ، وولى ابن عمه علي آغا متسلماً على القدس ، ولم يعد يفكر بمقاومة جبل نابلس .

## أول انكسارات الفائر العظيم

إن كبرياء نابليون وعدم كتابته عما أصاب ميمنة جيشه في وادي عزرون ، وعدم كتابة تاريخ جبل نابلس ، طمس الحقيقة وأضاع جهود النابلسيين ، فقد فشل باقتحام قلعة عكا أول مغلوبياته . والحقيقة ان

(١) لبداوا الخيل أي ألبسوا حوافرها لباداً لئلا يسمع وقعها على الأرض . (٢) لم يطل نابليون حصار عكا حيث فقد المؤن ونفشي في جيشه الطاعون ، ووصلته عن فرنسا أخبار مرعبة ، فعاد الى مصر وخرج منها مرآ الى فرنسا نار كآ جيشه لقواده ، وفي آخر سنة ١٢١٥ خرج جيشه من مصر بشروط مشرفة .

معنوياته كسرت حول جبل نابلس في وادي عزرون ( الرشا ) وفي وادي قاقون والمرج ، فقد أحرقت فصيلة من ميمنة جيشه في وادي عزرون ، وقتل قائدها وبطلها واضطر نابليون نفسه على التقهقر بعد سيره في وادي قاقون واضطر على المجيء من حينها لانجاء فرقة كليبر في المرج ولم ير من النابلسيين اقل خضوع ولولا حنقهم على الجزار لما مكنوه من الاستقرار وقد اتجه نحو عكا خائر العزيمة فاقد الأمل ، لانه كان يأمل ان يستسلم جبل القدس وجبل نابلس اليه كما استلمت الناصرة وصفد فلما خابر القدس رفضت الإذعان ، ولأق من النابلسيين كل ما يغيظه ، ولو اقتحم عكا للاقى في كل وادٍ من أودية جبل نابلس أضعاف ما لاقى في فتح عكا ولما تمكن من الوصول الى نابلس ، ولقد كان الفشل الذي مني به حول جبل نابلس دليلاً كبيراً على استعداد البلاد للمقاومة بدلاً من التسليم ، وأنه لا محالة سيفقد بين جبالها أضعاف ما فقد في سهول مصر وساحل فلسطين ، ولا شك أن هذه الحقيقة تجلت أمام نابغة الافرنسيين فصدمت آماله وأضعفت هوسه فوقف تحت أسوار عكا وقلبه يخبره أن القلعة الحقيقية هي جبل نابلس الذي إن أمدته الدولة بالعتاد والمدافع وداهمه خسرته كل شيء .

وهناك نقطة أخرى تسجل الظفر لنابلس والمغلوبة على نابليون حولها وهو أن جبل نابلس دافع وقاوم دون مساعدة حقيقية من الخارج أما عكا فقد ساعدها الأسطول الانكليزي من البحر مساعدة فعلية ، وكان الافرنسيون مدربين على أحدث الأصول الحربية وسلاحهم أحدث سلاح ، ومعهم المدافع التي لا يعرف العرب حربها ، فقد قال الشيخ رباح الشريدة أحد شيوخ جبل عجلون عن حربها « أنا ما أخوض

جهنم بعضاً « أما النابلسيون فقد كان سلاحهم قديماً ، وكان الواحد منهم يحمل قرعة فيها البارود ، ويلف على وسطه حبلين من الرصاص ويحمل كيساً من الخرق البالية ، فيعبي البندقية بالبارود والرصاص والحرق ، ويقده الزناد لتشتعل ويطلقها بعد كل هذه الصعوبة ثم يهجمون بالسلاح الأبيض فيصابون بخسارة كبيرة لا سيما اذا كان العدو مستحكماً ولديه مدافع وأسلحة حديثة . وكان النابلسيون يسرون بلا نظام ، ومع ذلك فلو أنهم كانوا راضين على الجزار والدولة وقبلوا إمدادها وخرجوا ، لاستردوا الناصرة وصفد ، وضايقوا الجيش الافرنسي ؛ إلا أنهم كانوا حاقدين على الدولة لتمسكها بالبيكات الذين عينوا بدون رضى جبل نابلس ، فاكثفوا بالدفاع عن جبلهم ولم يهاجموا ، ثم دخلوا في دور تمرد خطير هو أقصى ما بلغه جبل نابلس من الإيذاء والشتم مع التعقل والدهاء كما سيظهر من الفصل الآتي ، وهو أهم فصول هذا الكتاب .

## الفصل السابع

### تمرد جبل النار

#### نصميم جبل نابلس على مقاومة البيكات

اتصل البيكات بأحمد باشا الجزار ، فولي أحمد بك طوقان متسلماً على نابلس ، وأسعد بك بن مصطفى باشا طوقان شيخاً على بني صعب ، وقد سم الشيخ صالح السليمان ، فاجتمع ابراهيم آغا النمر وهوسف آغا الجرار والشيخ محمود أبو عودة الجيوسي ، وانفقوا على مقاومة البيكات مهما كلفهم الأمر ، وأخذوا عهداً على جميع شيوخ نابلس بالثبات على

المقاومة حتى النهاية ، فبدأت المقاومة حوالي سنة ١٢١١ هـ واشتدت سنة ١٢١٣ هـ ، فزجر الجزائر وأرعد ، ثم جاء الافرنسيون ودحروا قاسم بك في العريش ، فانقلب الجزائر يستنجد ويعتذر بقصيدة<sup>(١)</sup> نثير الجبان ، أرسلها للشيخ يوسف الجرار ، ثم عزل أحمد بك وأسعد بك من قبل الصدر أعظم الذي نزل دمشق ، ثم فصلت عن الجزائر ولاية الشام ، وتولاها عبد الله باشا العظم المرتشي .

### تعيين خليل بك وبمضى الشيوخ

لما بلغ أحمد بك العزل وعلم بفصل ولاية الشام عن الجزائر ومجيء الصدر أعظم أخفى خبر العزل ، وأرسل ابن أخيه خليل بك ابن علي بك طوقان بالهدايا والرشوة لعبد الله باشا العظم ، وطلب تعيينه مكان عمه ، وأقبحه ضرورة تأييده بالتعيين من طرف السلطان والصدر أعظم ليقضي على محاولات أمراء وشيوخ جبل نابلس الذين أكثرهم أقاربه<sup>(٢)</sup> فحصل على ذلك كما سيظهر من المرسومات الآتية . ثم حصل على أمر آخر بتعيين الحاج محمد بك ابن مصطفى باشا طوقان شيخاً على بني صعب ، ونظراً لتصميم شيوخ البلاد على المقاومة فقد سعى البيكات للحصول على أوامر بتعيين شيوخ جديدين ، فعين الشيخ عيسى البرقاوي شيخاً على وادي الشعير بدلاً من شيوخه العطاعة وعين الشيخ مصطفى العديلي شيخاً على المشاريق بدلاً من آل الحاج محمد أصهار<sup>(٣)</sup> آل النمر ، فاشتد النزاع والتمرد أضعاف ما كان ، فصارت

(١) راجع قصيدة الجزائر في الجزء الثاني . (٢) يقول السلطان في مرسوم لخليل بك «ومعاذ الله ان صدر منكم ادنى درجة نهاون واغماض وتكاسل او مراعاة خاطر لقرايب منكم او متعاقبكم» والمقصود بهذا ال النمر اصهار ال طوقان الذي احنح خليل بك بهم عن عجز عمه عن تنفيذ الاوامر بالقوة معهم . (٣) تزوج حسن آغا النمر بنت الشيخ سمادة الحاج محمد وبعد موت هذا نقلت المشيخة لآل أحمد في بيت فوربك .

المرسومات تصدر وملؤها التهديد والوعيد ، كما يظهر من المرسوم الآتي :

**مرسوم<sup>(١)</sup> تعيين خليل بك طوقان**

افتخار الأماجد والأكارم خليل بك طوقان زاده<sup>(٢)</sup> متسلم سنجاق<sup>(٣)</sup>  
نابلوس<sup>(٤)</sup> زيد مجده .

بعد التحية والتسليم المنهي إليكم ان الدولة العلية صانها رب البرية  
لم تزل دائماً تحسن لمن يكون صادق بخدمة الدين والدولة وسالك سنن  
الطاعة ومتقاد في ربة الطاعة فيستحق الإحسان والطف والامتنان وان  
عمك أحمد بك المتسلم السابق تهاون وتكاسل وما رعى حق نعمة الدولة  
العلية فعزل عن المتسلمية وقد نصبتك الدولة بموجب فرمان سلطاني شريف  
وحكم خاقاني منيف بأنك تكون متسلم على سنجاق نابلوس فبناءً على  
الأمر السلطاني أصدرنا لك مرسومنا هذا فحال وصول الأمر السلطاني  
إليك ثلقاه بالقبول والتعظيم وحسن الأدب والتجليل وتباشير متسلمية  
نابلوس وتؤدي خدمة الدولة العلية الذي مطلوبة كما ينبغي والذي يخالفك  
ان كان من نفس المدينة تطلع من حقه وتجاوز به بالجزا الشديد وان كان  
من النواحي والمقاطعات كذلك تعاقبه بأشد العقوبات والذي يلزم ترتيب  
جزاه ترتبه . والذي يطيع الله ورسوله وأولي الأمر تحسن اليه وتكرمه  
وتعرفنا عن الذي خارج عن ربة الطاعة باسمه ورسمه وتمنعه من الدخول  
الى مدينة نابلوس عموماً وتعرف أهالي نابلوس عموماً أن كل من اشترى  
منهم وباع عليهم وأنزلهم عنده ترمم عليه وتضبط الذي معه وتعرفنا عنه

(١) المرسومات المذكورة في هذا الفصل مسجلة في سجلات مجلس الشرع الشريف  
بنابلوس . (٢) زاده اي ابن . (٣) السنجاق أي اللواء . (٤) نابلوس كانت تكتب  
نابلوس في المكاتبات التركية . (٢٢٢ - ج ١ - تاريخ جبل نابلوس والبقاع)

وُحصل رضا الدولة العلية فيما يقتضي ويلزم وإن بدى منك أدنى تهاون  
أو تكاسل فيما يقتضي ويلزم من الخدمة الدولة العلية يصير ويجري عليك  
كما هو على سلفك علمه واعتمده غاية الاعتماد في العشر من رجب الفرد  
سنة ١٢١٤ هـ .  
الحاج يوسف

الوزير الأعظم

### استمرار العصيان والتمرد

حينما بلغ امراء وشيوخ جبل نابلس هذا الأسلوب الذي لجأ  
إليه البيكات من إيصال المسألة إلى السلطان والصدر الأعظم ثم تبديل  
الشيوخ والحصول على الأوامر الشديدة اعتلاوا غيظاً وازدادوا عصياناً  
وتمرداً فأرسل الصدر الأعظم فرقة من جيشه لإخضاع نابلس فأنفق  
عليها المسلم خليل بك خمسة وعشرين<sup>(١)</sup> ألف ومائتا قرش دون أن  
يخضع له أحد ثم خشي الثورة فطلب من الصدر الأعظم سحب  
العساكر آملاً النقام بعد ذلك مع امراء وشيوخ البلاد فسحبهم على  
شرط دفع ما أنفق عليهم كما يظهر من المرسوم الآتي :

### مرسوم نهدير ووجهر جريد من الصدر الأعظم

قدوة النواب المشرعين<sup>(٢)</sup> نايب أفندي بمدينة نابلس زيد فضله  
وعمدة الفقهاء مأذون بالافتاء أفندي زيد علمه ونخرا الأشراف قيب أفندي  
زيد سيادته ومفاخر الأماثل ألي بيك وسائر الأعيان والتجار ووجوه  
البلدة زيد قدرهم .

(١) صارت الذهبية في ذلك الوقت خمسة قروش فيكون هذا المبلغ خمسة آلاف  
ومائة وستين ذهبية - راجع بحث العملة في الجزء الثاني . (٢) كانت العادة ذكر الرتبة  
واحمال الاسم لهؤلاء سوى المسلم لانه هو الذي يعرف اسمه أما باقي رؤساء الحكومة  
فراجعهم مختلفة كما يظهر في باب الحكومة من الجزء الثاني .

بعد السلام الثام المنهى إليكم انه غير خافكم أن الأوردي الهاموني  
 المبارك جا إلى هذه البلاد لأجل الغزاة والجهاد في سبيل رب العباد  
 وتطهيرها من لوث أهل الشرك والعناد والأوردي قد صار له في هذه  
 الأطراف والنواحي مقدار سنة وأكثر وأنتم واجب على ذمتكم وعلى  
 كل مؤمن بالله تعالى الإيعة إلى المجاهدين لا سيما بلادكم قريبة من  
 أعدا الدين وفي السابق<sup>(١)</sup> رأيتم كيف فعلوا أهل الشرك في هذه البلاد  
 من الفضيحة والفساد فالواجب عليكم أنكم لما شاهدتم حلول الأوردي<sup>(٢)</sup>  
 في هذه البوادي المارعة والاعانة لأجل الجهاد وقمع أهل الكفر والعناد  
 كما هو فرض عليكم بحسب قربكم لأن العساكر الذي عمال يأتي إلى  
 الأوردي من مسافة أربعة أشهر وأكثر برآ وبحراً وكل هذا غير  
 خافكم وما ظهر منكم غير اسلامية ولا حمية دينية فمن عدم غيرتكم  
 اقتضى طلب عسكر بواردية بالعطية ومبايعة بالدرهم وجمال بالاجرة  
 فما اديتم من المطلوب جزءاً واحداً ولا صفت عقولكم ولا سمعت آذانكم  
 إلى الأوامر السلطانية فيحسب إغماضكم ومخالفتكم الى أمر أولي الامر  
 عينا عليكم جانب من العساكر والمجاهدين لأجل نظام أحوالكم  
 الفاسدة وتصفية أفهامكم الجامدة والطلوع من حقكم بما سلف من  
 حقمكم ولكن قد ترامى على أعتاب الدولة محسوبنا وجبر اغنا قدوة الأمجد  
 والأعيان طوقان زاده خليل بك المتسلم فيحسب المومى اليه أنه جراغنا  
 وخادمنا قبلنا رجاء ولكن المومى إليه صرف على العساكر وهي عندكم

(١) يشير إلى الحروب الصليبية (٢) الأوردي باللغة التركية معناه الجيش.

في مدينة نابلس خمسة وعشرين ألف وثمانماية قرش عن ذخيرة وشعير  
فبناء على ذلك أصدرنا لكم مرسومنا هذا المطاع الواجب الامتثال  
والاتباع عموماً تحيطون علماً أنه حال وصول المرسوم اليكم تقرر  
المبلغ المرقوم على أهل المدينة من غير نقصان ولا تحملوا أحد غير طاقته  
وتجمعوا المبلغ المرقوم خلال ثلاثة أيام وكل من خالفه أو تعذر  
نهى لطرفنا عنه نايب<sup>(١)</sup> الشرع بإعلام<sup>(٢)</sup> وإن صدر منكم أدنى تهاون  
أو تردد في دفع المبلغ إلى المتسلم المسمى إليه يقتضي رجوع العساكر  
الوافر عليكم وتندموا غاية الندم والحذر من الخلاف تحريراً في الحادي  
عشر من ربيع الأول سنة خمس عشر ومائتين والف .

الحاج يوسف  
الوزير الأعظم

### رد الأمر للسلطان والملص من التظايف

كان الحاكم الشرعي إذ ذاك الشيخ موسى ابن الشيخ محمد التميمي  
خصماً لدوداً<sup>(٣)</sup> للبيكات كآبيه وكان يسند أمراء وشيوخ جبل نابلس  
عن مقاومة البيكات ولما مضت الأيام الثلاثة التي ضربها الوزير الأعظم  
لنابلس دون دفع شيء من المال فرض على جبل نابلس ثلاثة آلاف  
جندي نصفها من المدينة ونصفها من القرى فتوسط خليل بك المتسلم  
لإيصالها إلى ألفين فقبل الصدر<sup>(٤)</sup> الأعظم ولكن القاضي الشيخ موسى  
التميمي وابراهيم آغا النمر ويوسف آغا الجرار والشيخ محمود العوده

(١) أي القاضي وكان يعرف بالحاكم الشرعي ايضاً ويسمى نائب الخليفة أو المولى خلافة  
راجع فصل مجلس الشرع الشريف في باب الحكومة . (٢) راجع البحث اجلاء آل  
سلطان في الباب السابق . (٣) هو رئيس الوزارة كان بلقب بالوزير الأعظم وبالصدر  
الأعظم .

رأوا ضرورة إضاعة الوقت حتى يذهب الجيش فاتفقوا على طلب التخفيف من السلطان فأخرجوا الوزير الاعظم وبعد مضي وقت كبير ورد الامر السلطاني بقبول الف جندي بدلاً من الفين ولما طلب الوزير الاعظم انضمام الالف جندي للجيش اعتذروا بعدم إمكان تقديم رجال وأظهروا استعدادهم لتقديم أموال بدلاً من الرجال وطلبوا ذلك من السلطان فأخرجوا موقف الوزير الاعظم مرة أخرى ولما كان الجيش على وشك الزحف الى مصر وصل أمر السلطان بقبول مائة وعشرة آلاف قرشاً عوضاً عن الالف جندي والمرسوم مملوء بالشكوى والتهديد وهو الآتي :

### شكوى السلطان<sup>(١)</sup> وتهديده

صدر الفرمان العالي السلطاني وأمرنا الجليل الخاقاني الى افتخار الأماجد والأكارم حاوي المحامد والمكارم قبوجي باشي<sup>(٢)</sup> باب المعلام متسلم سنجق نابلس طوقان زاده خليل بك زيد قدره وقدوة النواب المتشرعين نايب مدينة نابلس وجيئين زيد علمها ومفاخر المشايخ متسلم جينين يوسف ابن جرار ومشايخ نواحي نابلس وجينين عموماً زيد مجدهم وقدوة الأمائل والأقران المباشر المعين بهذا الخصوص زيد قدره بعد وصول توقيعي الرفيع الهاديوني الحكمي تحيطون علماً أنه لا يخفى أحد من أهل بلاد الإسلام عداوة أهل الكفر الفجار الطفاسة الليام طائفة الفرنسيين المشركين أعداء الدين وما فعلوا من الافعال القبيحة في حق أهل الكنانة من الذل والفضيحة . والآن قد بلغ مسامع سلطتنا العلية انه في هذه الايام قد اشتدت اذيتهم لأهل الاسلام وعداوتهم الكامنة

(١) هو السلطان سليم الثالث العثماني كان شديد العزة ويقال انه جاء الى سوريا في ذلك العهد لان تاريخ المرسومين غير بعيد . والراجع انه نزل في دمشق وحلب ليكون قريباً  
(٢) هو من الرتب القشرية .

في قلوبهم الحبشة لأهل الايمان فلم قيام وزيرنا الاعظم وسر دارنا  
 الافخم الحاج يوسف ضيا باشا يسر الله له من الفتوحات ما يروم ويشا  
 بالأوردي وسائر عساكرنا المنصورة إلى تخلص أهل الاسلام وأخذ  
 الثار والانتقام من أعدا الدين اللثام وتطهير البلاد وتأمين العباد وقد  
 تقدم إصدار فرمان جليل الشأن من دولتنا العلية بطلب الفين نفر من  
 سنجاق نابلس وجنين ينضم إلى عساكرنا المنصورة وتذهب بمعية  
 الأوردي الهايوني إلى الغزا والجهاد في سبيل رب العباد ثم وقعت عرض  
 واعتذرت أن الفين نفر أخرجها متعسر بسبب الزراعة والحراثة وسالتوا  
 العفو عن الف نفر وانكم تخرجوا الف نفر فرحة لسوكم عفونا عن  
 الف نفر وإلى الآن ما حضر من الالف نفر واحد والحالة هذه من  
 مدة كم يوم قيام الأوردي الهايوني كما هو مشروح بيانه فبسبب قيام  
 الأوردي سرباً وبدلاً عن الالف المطلوبة للسفر تدفعوا مائة الف قرش  
 وعشرة آلاف إلى خزانة الاوردي الهايوني لأجل تدارك الف عسكري  
 غيرهم فالمطلوب من بعد وصول أمرنا العالي إلى الثامن الشهر المبارك  
 شهر شوال توردوا مقدار أربعين الف من المبلغ سالف الذكر وتكمل  
 المبلغ إلى نصف شوال يكونوا أكملت المائة الف والعشرة آلاف وقد  
 تعلقت ارادتنا العلية السلطانية بإتمام المبلغ المطلوب تماماً وكلاً إلى نصف  
 شوال وقد تقدم إصدار فرمان العالي من دولتنا العلية فبناءً على ذلك  
 أصدرنا لكم مرسومنا الجليل السلطاني وأمرنا المنيف الخافاني حاوي  
 الاستعجال والتأكيد فحال وصوله ووقوفكم على منطوقه ومفهومه تبادروا  
 بإرسال أربعين الف قرش يوم الثامن من هذا الشهر وبقيّة المبلغ تكميله  
 إلى النصف الشهر المزبور وتشمروا السواعد والاقدام مع غاية الذمة

والاهتمام والسعي والجهد التام بتحصيل المبلغ وإيصاله وتوريده كما هو مشروح ومفصل ومعاذ الله إن صدر منكم أدنى تهاون وإغماض وتكاسل أو مراعاة خاطر لقرايب منكم أو متعلق بكم تحقوا العاقبة الوخيمة في حقكم والجزا المهول وخدمتكم وصدافتكم تذهب هباءً منثوراً فالمطلوب منكم إبراز القيرة والحمية والصدقة الملحوظة بكم وإرسال المبلغ سريعاً كما هو مشروح مفصل بيانه اعلموا واعتمدوا غاية الاعتماد والحذر من الخلاف تحريراً في غرة<sup>(١)</sup> سنة خمس عشر ومايتين والف .

### مرو ونهب الذخائر وسفر خليل بك



سجن الجيايسة في كور

قدّم خليل بك طوقان للجيش دقيقاً وتبنياً وحطاً بالمبلغ المطلوب أو بعضه استقرضها من شيوخ النواحي والأغنياء الموالين إليه أملاً بتحصيل المبلغ من أهالي البلاد الذين أظهروا الاستعداد لتقديمه ولكنهم ما لبثوا أن أنكروا ذلك ورفضوا دفع شيء من المال وأتهموا خليل بك المذكور بقبض أثمان الذخائر والأرزاق من الوزير

الأعظم قبل زحفه إلى مصر . ولم يقفوا عند هذا الحد بل أحرقوا ونهبوا الذخائر التي وضعها الصدر الأعظم لأمداد الجيش في خات جلجولية وقلنسوة وعين الاساور وعهد للحاج محمد بك طوقان والشيخ عيسى البرقاوي بالمحافظة عليها وزادوا على ذلك أن أتهموا المحافظين عليها ببيعها وتبديدها فتخرج موقف البيكات إلى حد عظيم . وكان الصدر الأعظم

(١) أي في أول رجب .

قد دخل مصر واستقر فيها ينظم أحوالها في سنة ١٢١٦ هـ فسافر خليل بك الى مصر يخبر الوزير الاعظم المذكور بذلك تاركاً متسلمية نابلس لأخيه موسى بك طوقان الشاب الجسور الذي مثل دور الانتقام الفظيع وأشعل في نابلس حروباً وثورات دامت عشرين سنة .

### موت سلطان جبل النار

في هذه الأثناء وحوالي سنة ١٢١٧ مات ابراهيم آغا النمر الملقب بسلطان جبل النار وقطب رحي التمرد والعصيان بعد أن قضى ثلاثين سنة بالتمرد والعصيان فبدأ أمارته في مقاومة ظاهر العمر ثم اقلب على مصطفى باشا طوقان وأخرجه بائفاقه مع ظاهر العمر ثم رد عثمان باشا الكرجي والأمير يوسف الشهابي بعد أن ضاقت جروده الجيش المصري . ونجا بجوع صديقه محمد باشا العظم . وقد تولى حكم نابلس بعد فصل صديقه سلطان البر يوسف آغا الجرار وأضاع مساعي البيكات مدى ٤ ثم اصطدم بالجزار وجر جبل نابلس جميعه الى العصيان وكان شيخا حينما جمع شيوخ جبل نابلس في راسين وأرسلها تحرق مينة الجيش الافرنسي في عزرون وتشتك في كمين قاقون وترباط في المرج وقد انجد خصمه الجزار بولده محمد آغا ثم عاد لنابلس يدير حركة التمرد والعصيان ضد البيكات والدولة فنجح نجاحاً كبيراً ورغم ما صدر من الاوامر وما أظهر الوزير الاعظم من الشدة فانه لم يكثر بل ظل رابضاً غير هباب فعطل ارادة السلطان بالذات وبرهن على أن ارادته هي النافذة وانه سلطان جبل نابلس الحقيقي وقد كان ابراهيم آغا أميراً صوفياً للشعب فيه عقيدة راسخة لا سيما بعد أن أغاثه الله في صانور . فكلمة منه جمعت الجرود وهاجمت جيش الفرنسيين واخرى جرت جبل نابلس جميعه للعصيان على السلطان العثماني رغم وجود جيشه في البلاد

وقد أخرج كل من قاومه فأخرج مصطفى باشا طوقان وولديه أسعد بك  
والخاج محمد بك وأخيه أحمد بك وابن أخيها خليل<sup>(١)</sup> بك الذي ذهب  
إلى مصر يشكو الأمر للوزير الأعظم بعد أن ترك المتسلمية وسُم  
منها فأمد الوزير الأعظم أخاه موسى بك بثلاث فرق ضم إليها البيكات  
فرقة من المماليك فبلغ جند الدولة المكلف بتنفيذ أوامرهم خمسة آلاف  
جندي من أبسل جنود العالم في ذلك العهد . إلا أنهم قبل أن يصلوا  
البلاد مات سلطانها الكبير إبراهيم آغا النمر بعد أن كتب لنفسه واسرته  
وجبل نابلس صحفاً بمداد المجد والفخار .



(١) لم أعلم عن مصير خليل بك شيئاً وهل عاد من مصر أم بقي فيها .

(م ٢٣ - ج ١ - تاريخ جبل نابلس والبقاع)

# الباب الخامس

عصر موسى بك

## الفصل الأول

البيكات بين النعمة والانتقام

مخرج موقف البيكات

نهبت الذخائر وأحرقت فأصبح البيكات بحاجة إلى إقناع الدولة بأن هذا كان مكيدة وبأنهم لم يقصروا . وأصبح أصحابها يطالبونهم بأثمانها وهم بحاجة إلى إقناعهم بعدم استيفاء أثمانها فاقضت سنتا ست عشرة وسبع عشرة بين رد نعمة الدولة وأصحاب الذخائر والتبرؤ من تهمة العجز والخيانة وبين ثورة الانتقام من الذين أخرجوا موقفهم إلى هذا الحد .

وكان الواجب على البيكات التفاهم مع أصهارهم<sup>(١)</sup> آل النمر رأس المؤامرة وترك متسلحة نابلس لهم والإكفاء بمشيخة بني صعب والاكتفاء بالانتقام من الجيايسة لحرق الذخائر وأن يعملوا جهدهم لايجاد أنصار لهم في البلاد فإن تعاونهم مع البرقاوي الجالي عن بلده ومع العديلي الذي أنقذه آل الحاج محمد والمشاربى كلها من سلطة شيوخ جماعين قد زاد البلاد غيظاً على غيظ . وبالرغم عن حراجة الموقف فانهم لم يفكروا بشيء سياسي بل صمموا على سياسة القمع الكلي والانتقام العام معتمدين على قوى حكومية محضة .

(١) كان حسن آغا النمر متزوجاً بنت خضر طوقان وأخوه علي آغا متزوجاً من آل رجال طوقان وأخوه عبد اللطيف آغا متزوجاً بنت الخواجه عثمان عبد الرزاق طوقان .

### امداد الدولة البيكات

أمدت الدولة البيكات بثلاث فرق عسكرية كل واحدة منها ألف وخمسمائة جندي . واحدة منها كردية بقيادة شمدین آغا وأخرى من المغاربة والثالثة من الآرناؤوط . وقد جمع البيكات نحو خمسمائة من المماليك اللاجئين لجبل نابلس بعد واقعة المرج فبلغ عدد عساكرهم خمسة آلاف جندي تولى قيادتها موسى بك وابن عمه الحاج محمد بك وابنه أسعد بك وأخوه رضوان بك وأبناء محمد<sup>(١)</sup> السعيد طوقان . وهولاء العساكر هم من أبسل عساكر الدنيا . وقد أمدت الدولة البيكات أيضاً بالأموال والأوامر السديدة لقمع العصيان والقضاء على التآمر ووعدتهم بالامداد المستمر إلا أن أحوال الدولة<sup>(٢)</sup> المضطربة شغلتها فطال الأمر على البيكات وأبادت البلاد جميع العساكر وقد أتى أميرهم موسى بك طوقان من الشذوذ ما قلب السلطان ووزراءه وولاته جميعاً على البيكات وقد تركتهم سائر فروع آل طوقان في أخرج المواقف كما سيأتي . وقد قضى موسى بك كل عمره القصير في أنكد وأشق حال يحاول إخضاع جبل نابلس الجبار :

كناطح صخرة يوماً لبوھنها ولم يضرها وأوهى قرنه الوعل

\*\*\*

(١) وم عبدالله واسعد وفرهود (٢) شغلت الدولة باصلاح الجيش وإخماد ثورة البلقان ورد غارة النجديين (الوهابيين) عن سوريا واسترجاع الحجاز وقدمات الجزار وعادت سوريا الى الاضطراب والتقلقل .

## الفصل الثاني

### البيكات والجيايسة

#### النزاع على شجرة بني صعب

على أثر الفتنة التي وقعت بين الجيايسة في أواسط القرن الثاني عشر عين مصطفى بك طوقان شيخاً على بني صعب وبذلك أصبح للبيكات حق بمشيخة بني صعب فكان هذا الحق سبباً في نزاع طويل دام باقي عهد الاقطاع بين البيكات والجيايسة وبعد رجوع البيكات بوضع سنين حصلوا عليها ثم نزع منهم واستردها الجيايسة ولما ضم جبل نابلس للجزار عين أسعد بك شيخاً على بني صعب ثم عين الحاج محمد بك فاشتراك الجيايسة بالتآمر ضدهم وأحرقوا الذخائر ودخل الامر بينهم في دور خطير .

#### اضطراب الجيايسة

أقنع البيكات الدولة بأن الجيايسة هم الذين أحرقوا ذخائر الجيش ونهبوها فسخطت عليهم وجردتهم من اقطاعهم وحرمتهم سكن جميع قرى بني صعب إلا ثلاث قرى وهي كور وارتاح وقلنسوة . وأمدت البيكات بالعساكر وفوضتهم تجريد الجيايسة من اقطاعهم وتغريمهم أثمان الذخائر فعند البيكات هذه الفرصة كافية للقضاء على الجيايسة فتوجهوا بعساكرهم يعاملونهم بمنتهى القسوة .

### (١) الثورة في المغارِب

لم تصبر عشائر بني صعب على اضطهاد شيوخهم الجبابسة فنثارت من أجلهم وأنجذتها عشائر الشعراوية<sup>(٢)</sup> وجماعين الغربية وجورة عمرة وطاردوا العساكر في كل مكان فخرج موسى بك بعساكر نابلس يخمد الثورة بمنتهى القسوة فشاع أنه وجد بضعة عشر نائراً في بئر في قاقون فرمى عليهم قش السمسم وأحرقهم فاشتدت الثورة واستنجدت المغارِب بعشائر جبل نابلس فأنجذتها من كل صوب فطردت العساكر واضطر البيكات على الانسحاب إلى نابلس ووادي الشعير .

### عزل البيكات وخسارة نهرهم

في سنة ١٢١٨ هـ مات أحمد باشا الجزائر والي إباتي الشام وصيدا وعين مكانه محمد باشا أبو المرق ابن والي حلب ولأن الجزائر مات بلا عقب فقد أمر محمد باشا بضبط تركة الجزائر لإدخالها في خزانة الدولة . وكان موسى بك قد حول بأثمان الذخائر على الجزائر فلما مات صدرت الأوامر بتحويله على التركة ليأخذ منها وكان أبو المرق يطمح بتركة الجزائر فأحب أن يتخلص من حوالة موسى بك فإطاله وسوفه إلى أن أتم ضبط التركة .

وفي هذه الأثناء وصل الميرالاي حسن آغا النمر والحاج أحمد آغا الجرار يحملان عمرائض جبل نابلس ضد البيكات فاغتنم محمد باشا هذه

(١) القسم الغربي من جبل نابلس يسمى بالمغارِب وهو يشمل الشعراوية الغربية وبني صعب ونفسهم من جماعين الغربية والسهول الرملية الساحلية المعروفة بسهل شارووين  
(٢) الشعراوية الغربية هي الجزء الشمالي الغربي من جبل نابلس وشيوخها المتناشئة ثم نافسهم الصورة في دير الغضون - راجع نواحي جبل نابلس في الجزء الثاني في باب الحكومة .

الفرصة وعزل موسى بك مجرداً من كل حق وطلب ، وبذلك حرم موسى بك من المطالبة بأثمان الذخائر وفقد متسلمية نابلس وفقد ابن عمه الحاج محمد بك مشيخة بني صعب و كسب البيكات عداوة جبل نابلس جميعه وقد أضعفوا أنصارهم الذين قدموا لهم الذخائر ورزحوا تحت أثقال الديون وقد فقدوا أيضاً نصف العساكر إذ قتل بعضهم وبعضهم هرب خصوصاً الأكراد الذين عادوا الى دمشق . وقد كان مرسوم محمد باشا شديد اللهجة والنجاهل على موسى بك وهو أول خطوة في الخسارة الحكومية وقد عين بموجبه الحاج أحمد آغا الجرار وكيلاً في متسلمية نابلس وهو الآتي .

### مرسوم محمد باشا أتابكر المرق

قدوة النواب والمشرعين نايب أفندي محروسة نابلس زيد فضله وعمدة العلماء المدققين المأذون بالافتاء أفندي زيد علمه ونخبة السادات الكرام قائمقام ققيب الاشراف أفندي زيد شرفه ومفخري الأماجد والاعيان المتوكل الآن من طرفنا بمتسلمية نابلس الحاج أحمد آغا الجرار وميرألاي حالاً حسن آغا النمر زيد مجدهم وسائر الوجوه والتجار والأهالي على وجه العموم تحيطون علماً أنه بهذا الاثني بحسب ما صدر من موسى بك طوقان من الامور المنافية لرضى الله تعالى ورضانا وعدم استقامته على نهج الاستقامة بروية سائر الخدمات المبرورة العائدة بطريق الحاج الشريف وخاصة اضمحلال أحوال الرعية بمدة متسلميته من أوجه شتى لزم عزلناه من متسلمية نابلس مجرداً صوناً للرعايا وراحة الفقرا والمساكين ووكنا بالمتسلمية المرقومة من طرفنا قدوة الأماجد المكرمين الحاج أحمد آغا الجرار فتكونوا معه يداً واحدة ورأياً واحداً في صيانة الفقرا

والرعية ودفع أسباب المعدي من كل وجه وتبادروا بروية سائر الخدمات  
المبرورة العائدة للطايف الحجازية المبارك وتحصيل الاموال المرتبة  
واستيرادها حسب العادة والدأب القديم ونعرف وكيل المتسلمية المذكورة  
انه لعلنا يرشدك وسدادك وحسن امتزاجك وكنالك بالمتسلمية المذكورة  
وكافة امور البلد لحين حلول ركابنا بمحروسة نابلس وننصب متسلماً  
مستقلاً من طرفنا فالمراد تحسن سلوكك وامتزاجك مع الجميع وتصرف  
مزريد سعيك واهتمامك بما فيه رضى الله تعالى ورضانا بحفظ وصيانة  
الرعايا وديعة الله تعالى باري البرايا وإن شاء الله تعالى جميعكم تشاهدوا من لدنا  
مزريد الالتفات التام بكافة ما فيه رفاه حالكم فبناء على ذلك أصدرنا  
لكم بيور لدينا هذا من ديوان الشام وصيدا وطرابلس وسرعسكر  
الحجاز عن يد رافعه ان شاء الله تعالى بوصول ووقوفكم على خواه تعملوا  
بوجهه وتناشوا مخالفته وتعتمدوه غاية الاعتماد والسلام في ٥ ش ١٢١٩  
(وعليه ختم الولاية المعتاد)

## الفصل الثالث

### آل جرار والبيكات

#### البيطات والعساكر

لم يكن عزل البيكات هذه المرة كغيرها فقد بقي عندهم نصف  
العساكر الذين يحتاجون إلى إسكانهم وإطعامهم . وكان موسى بك طلب  
قصر الشيخ حامد القدومي شيخ الشتيوات في الجند ليضي فيه مدة  
الصيف فوضع يده عليه ووسعه وجعله قاعة أنزل فيها العساكر . وكان

الحاج محمد بك دفع ميري بلاطه وأودله واقتطعها مع ملحقاتها فأنزل  
فيها بعض عساكره الذين كانوا في بني صعب وأنزل القسم الباقي في  
وادي الشعير وقد ظل تحت أيدي البيكات بعض الاقطاع فأخذوا  
للسكينة يتربون الفرص .

### حكم سلطان البر الوضير ووفاته

بعد رجوع أبي المرق من الحجاز في أول سنة ١٢٢٠ سافر يوسف  
آغا الجرار سلطان البر وحسن آغا النمر الى دمشق فولى أبو المرق متسلمية  
نابلس ليوسف آغا الجرار على شرط أن يدفع عشرين ألف قرشاً من  
فردة<sup>(١)</sup> نابلس لحزينة والي الشام فقبل ولما رجع لنابلس امتنع عن دفع  
المبلغ فأنزله الوالي الى النصف أي عشرة آلاف قرشاً فلم يلتفت سلطان  
البر لذلك وبقي في المتسلمية إلى أن مات سنة ١٢٢٢ هـ عن أشبال ثلاثة  
وهم داود آغا والحاج أحمد آغا والشيخ عبدالله بعد أن سجل لهم مجداً تالداً  
ومكانة عالية وأظهر عزة جبل نابلس ومكانته بأسمى مظاهرها وقد مثل  
دور آل طرباي وزاد عليهم عمله المتواصل مع آل النمر والجيالسة وسائر  
الشيوخ فدام جبل نابلس في عهده متحداً فوفق الى الصالح بين نابلس  
وظاهر العمر ثم رد الشهابي والكرجي وبذل كل ما بوسعه لمساعدة  
الفقراء والمحتاجين في المجاعة فسارت بكرمه الركبان . وقد خاصم الجزار  
الذي عاد يستنجد به بقصيدة هي مفخرة من مفاخر جبل النار . ثم ضايق  
كليب في المرج وتمرد على الدولة وأخرج البيكات وأنجد الجيالسة ثم  
فاز بمتسلمية نابلس ولم يكثر بتكاليف والي الشام فعاش ومات أيضاً  
وقوراً .

(١) راجع فصل المهدي في باب الحكومة من الجزء الثاني .

## رجوع البيطات للحكم

بعد انتهاء حكم محمد<sup>(١)</sup> باشا أبو المرقى فصلت الايالاتان عن بعضهما فعين على ايلة صيدا سليمان باشا الجزائري المعروف بالعدل وعين على ايلة الشام عبدالله باشا العظم المرتشي فأمرع البيكات بالذهاب الى دمشق بعد موت يوسف آغا الجرار ومعهم الهدايا الثمينة والمرسومات السابقة لوالي الشام فأعاد موسى بك لتسلمية نابلس والحاج محمد بك لمشيخة بني صعب وعاد العداء إلى ما كان عليه بينهم وبين امراء وشيوخ البلاد .

## الحرب بين داود آغا وموسى بك

وقس نفور بين داود آغا اليوسف الجرار وبين موسى بك فمس الأخير كرامة الأول وحاول اغتياله فأمرع بالعودة الى الشمال وجمع جموعه وهجم على نابلس فلقية موسى بك بعساكره على عين الصبيان فقلب وتبعه داود آغا بجموعه ودخل بوابة نابلس الغربية بعد أن قتل خمسون جندياً من عساكر موسى بك . وأسوأ من هذا كله أن مصطفى بك ابن موسى بك الذي كان عمره في العاشرة خرج وراء العساكر منحمساً ويده سيفه ومعه بعض الصبيان ولما غلب أبوه داسه الفرسان الهاربون وقتلوه فكانت هذه الصدمة أول سقوط دماء الامراء بين الفريقين وسبب خروج موسى بك عن المألوف وشذوذه على العرف لأن مصطفى بك كان ولده الوحيد وكان ذلك في ١٠ من ذي الحجة سنة ١٢٢٣ هـ .

(١) كان الوالي بعين لمدة سنتين مالم ينل ثقة كبيرى ولا يوجد له منافس فيرلي الحكم دائماً كما كان احمد باشا الجزائر .

### آل النمر يردون جرار

لما دخلت جموع جرار البوابة الغربية ثارت نابلس وهرعت إلى قصر النمر الذين لم يروا مناصاً من الاشتراك برد جرار فخرجت جموعهم الخاصة وطلبوا جرود القرى المجاورة فأخرجوا جموع جرار من البوابة وطلبوا من داود آغا الرجوع بجموعه إلى صانور لئلا تنقلب العداوة بينهم وبينه وكانت جرود قرى نابلس قد وصلت المدينة . وقد وصل ابن ادهيس شيخ جبارة بجموع جورى عمرة وبني صعب فرأى داود آغا أن الموقف قد تطور فعاد يجروده إلى الشمال .

### تفاهم آل النمر وآل جرار وصحافة موسى بك

عد آل جرار ما فعله آل النمر حفاظاً منهم وحفظاً لكرامة بلدهم فتفاهموا بعد ذلك معهم وكانت هذه غاطة كبيرة من آل النمر فكان يجب عليهم إنذار البيكات بإخراج العساكر وطردهم بعد وقف جرار خارج البوابة وإن لم يفعلوا فكان واجبهم القضاء على عساكرهم وإنقاذ نابلس من شرهم فإن موسى بك لم يقدر لآل النمر نخوتهم فيما بعد بل طلب منهم مساعدته على الانتقام من آل جرار الذين صار يتهمهم بقتل ولده ولما رفض آل النمر مساعدته وتفاهموا مع آل جرار عد ذلك نكابة له فصار يتحرش بالعشائر الموالية لهم في المدينة والقرى التي أنجده لرد جرار وجموعه ودافعت عن عساكره المخدولين .

## الفصل الرابع

حسن آغا وموسى بك

صفات حسن آغا ومنزلته

حسن آغا هو ابن الحاج مصطفى آغا النمر وحفيد عمر آغا المار ذكرهما رباه والده وجده تربية عالية ودرباه على الحكم صغيراً وشبعاه بصفتان الفروسية وبروحها العالية فورث منزلتها ومكانتها وصار اميراً لأنلاي نابلس ولانثقال ابراهيم آغا النمر بمتسلمية القدس وحكمها فقد صار حسن آغا النمر رئيس الاسرة وامير البلاد<sup>(١)</sup> الكبير بعد جده وأبيه . وقد سار حسن آغا على سياسة جده مجدداً صهارة العشائر الكبيرة فتزوج هو وأخواه علي آغا وعبد اللطيف آغا ثلاثة من مختلف فروع آل طوقان . وتزوج بنت الشيخ سعادة الحاج محمد شيخ المشاريق وقد صاهر أخوه عبد الصمد آغا قاضي آل شوبكة<sup>(٢)</sup> إحدى عشائر المغاريب الكبيرة وكانت امه من آل أمين<sup>(٣)</sup> الدين العمري اثرياء جبل نابلس في عصره وبذلك أوجد صلات عديدة لاسيما مع فروع آل طوقان الذين اضطرتهم صهارتهم لآل النمر الى الوقوف على الحياد فلم يشار كوا أبناء عمهم البيكات ضد آل النمر .

وكان حسن آغا النمر وقوراً محترماً من الشعب محباً للسلم فقد استقدم الامير ضمان المييدي (قرقش) وأصلح بينه وبين العدوان وأهداه داراً لسكنائه في نابلس وقد أصلح بين شيوخ جماعين وآل الحاج محمد

(١) راجع باب الامارة في الجزء الثاني . (٢) هي عشيرة من عشائر المغاريب القوية

تعرف بعشيرة قاضي شوبكة تفرع منها في نابلس آل شوبكة والقاضي وعبد المجيد .

(٣) ويعرفون اليوم بال غزال امين الدين .

وأصلح ما بين الصقر والبيكات على قنبل قتله منهم الحاج محمد بك سنة ١٢١٠ هـ ولم يكنف بالصلح بل اشتبك بالدية وكان حكيماً بعيد النظر فقد كان يشرك آل جرار بحكم نابلس لتبقى صلته بهم قوية وبحول دورن الاصطدام بالبيكات . وكانت منزلته عند الولاية كبيرة لخرقه ميمنة الافرنسيين في عزرون . وقد كان لمنزلته أكبر الأثر في عزل موسى بك أولاً وثانياً وكان محباً للسلم ؛ إلا أن غلظته بعدم تشريد عساكر موسى بك جرث عليه وعلى أسرته الولايات لأنه كان زوج خالة موسى بك وكان هذا يعرف منزلته في الشعب وعند الولاية فلم يتجاسر على التحرش به ولكنه بعد موته طغى وشذ على كل شيء فظهر خطأ حسن آغا وإفراطه بالسلم .

### اضطهاد عشائر الجنوب والتمارين

استحكم العداء للبيكات في المغاريب والشمال وأغاظ موسى بك تفاهم آل النمر وآل جرار فصار يتحرش بالعشائر الموالية لهم فأهان العسلية أحد شيوخ الشقيوات وسجنه في إحدى المقاصير فرمى بنفسه من شباك مرتفع ونجا بنفسه . وقد قبض على الشيخ علي بن حسن السليمي من آل عفانة شيوخ الجواترة في سلفيت وضربه ثمانين جلدة وتسلط على الدويكات وكنعان العامر في كفر قليل وعلى جميع القرى المجاورة فصارت كلها تلجأ لآل النمر وتنزل في حارة الحبلية حيمم وازداد تسلط عساكره على العشائر فصمم حسن آغا النمر على إيقافه عند حده .

### مروق زيتون بلاطة

كان الحاج محمد بك طوقان سنة ١٢١٨ هـ دفع مبلغ (٦٩٤٦) قرشاً<sup>(١)</sup> سلطانياً للجزار واقتطع أودلة وبلاطة وحسب المعتاد نضل في عهده وجميع ما فيها الى أن يستوفي ما عليها لأنها من القرى الاقطاعية<sup>(٢)</sup> . فأنزل عساكره فيها وبعد موته سنة ١٢٢٥ هـ اشتدت وطأة العساكر على الدويكات في البلاطة وعلى أهالي أودلة فاستنجدوا بحسن آغا الذي طلب جرود العشائر من جماعين وجورة عمرة والمشاريق والشمال فاجتمعوا في سهل بلاطة وعلى زيتونها يريدون القضاء على عساكر موسى بك فخرج موسى بك بعساكره وطلب الشيخ مصطفى العديلي من قرهته بيتا ولما شاهد الجموع الموجودة بين الزيتون في سهل بلاطة ذعر وأرسل للبيك يقول « أنا ما بحارب جن عاطف زيتون احرق الزيتون وإلا حاربهم وحدك » فقبل موسى بك برأي العديلي وأحرق الزيتون فأشار حسن آغا على الجموع بالرجوع مكثفياً بهذه الجناية التي كانت تعد في غرف البلاد من أكبر الجنایات وهي حرق الشجر الأخضر .

### عزل موسى بك

أسرع موسى بك بالكتابة إلى والي الشام بدعي رد الجموع عن نابلس ويبين له أن آل النمر يحشدون الفلاحين في نابلس لا يتقاع الفساد فكذب الوالي كتاباً لنابلس يهدد فيه وينذر بضرورة إخراج الفلاحين من نابلس جاء فيه : ومن الآن كل من نصحب إلى فلاح وأسكنه مدينة نابلس ام سبب فتنة أو حركة يكون عليه وعلى من يلوذ به

(١) راجع بحث العملة في فصل الميري في باب الحكومة في الجزء الثاني . (٢) راجع فصل الاقطاع في باب الحكومة من الجزء الثاني .

ماية كيس من بعد العقاب والنكال الذي يحصل عليه» فكتب حسن  
آغا النمر للوالي مبيناً الواقع وأن الفلاحين انما لجأوا الى حي الحبله  
تخلصاً من اضطهاد عساكر موسى بك وانهم اضطهدوا أهالي بلاطة  
فاستنجد هؤلاء بعشائر القرى فأحرق موسى بك الزيتون وانه حسماً  
للشر أرجع القرويين وقال للوالي ان موسى بك وعساكره سبب الشر  
وانه يرى ضرورة عزله وتعيين الحاج أحمد آغا اليوسف الجرار فأجيب  
الى طلبه والراجع انه ذهب بنفسه وقد أبده بذلك العلماء وشيوخ العشائر  
فعزل موسى بك وعين أحمد آغا اليوسف الجرار متسلماً على نابلس  
مكانه وذلك سنة ١٢٢٦ هـ .

### خطا من آغا ورجوع موسى بك

خرج موسى بك بالعساكر من بلاطة ونابلس الى قلعة الجنيد ووزعهم  
في اودله وبيتا ووادي الشعير وعاد ينتظر سنوح الفرصة كالمرة الاولى .  
وكان واجب حسن آغا جمع الجموع كلها وتثريد هؤلاء العساكر  
الغرباء من جبل نابلس جميعه مها كلفه الامر إلا انه كان يخشى وقوع  
دماء بين الامراء والشيوخ ودخول المسألة في دور الثأر والانتقام .  
وغاب عن ذهن حسن آغا الموت وانه اذا مات لا يجد جبل نابلس  
رجلاً يثق به الولاة مثله ولم يطل الامر في سنة ١٢٢٧ هـ . اغتالت حسن  
آغا النمر يد المنون وفقد جبل نابلس أميره الحكيم فانفتح باب الفتنة  
والطغيان إذ اسرع موسى بك الى الوالي وحصل على امر بمتسلمية نابلس وأتى  
بضابط يسمى أبو بكر بك عين بمساعيه ميرالياً مكان حسن آغا النمر وكان  
الجيايسة قد استردوا مشيخة بني صعب بعد موت الحاج محمد بك فحصل موسى  
بك على أمر بها لاسعد بك ابن الحاج محمد وبدأ دور الطغيان الخطير .

## الصدام الخطير بين الغزوات والبيطات

كان أول شيء وقع بين آل النمر وآل طوقان ذلك الذي وقع بعد مقتل نصوح باشا ، إذ بنتيجة التحقيق حلت متصرفية القدس ، وفصل صالح باشا طوقان منها سنة ١١٢٨ هـ ، وعين بعد ذلك عمر آغا النمر قائماً على القدس . وكان الاحتكاك الثاني في ثورة ابن سلطان سنة ١١٤٠ هـ ؛ إلا أن هذا غسل بانحصار آل النمر للشيخ إبراهيم بك وإجلالهم آل سلطان عن نابلس ، وقد صاهر آل النمر بعد ذلك آل طوقان وغسلت الأحقاد ، فساعد عمر آغا النمر مصطفى بك طوقان بالحصول على مشيخة بني صعب ؛ إلا أن طمع مصطفى بك بتسليمية نابلس بعد موت عمر آغا وولده وحفيده ، أنتج صداماً قوياً سنة ١١٨٦ هـ . كانت نتيجة خروج البيكات الى راشيا كما مر ، ولكنهم بعد عودتهم سنة ١١٩٨ هـ نقاهموا مع آل النمر ونازلوا عن المالكنة وأخذوا عوضها زعامة اودلة . ثم حصل صدام بسبب متسلمية نابلس بعد فصل يوسف آغا الجرار خال إبراهيم آغا دون صدامهم مع آل جرار ، فترك القدس وتولى متسلمية نابلس . ولكن أمراً أفاظ البلاد كلها وهو تمسك البيكات بأحمد باشا الجرار ، ثم الإفراط بالثقة بالدولة والتسلط بقواها ، ومع كل ما حصل فإن أمراء آل النمر الكبار كانوا يتجنبون الصدام الخطير ، ويعالجون الأمور بالحكمة لكي يتفرض العساكر من حول البيكات وينتهي الأمر بسلام ؛ إلا أن هذا كله أطمع موسى بك الشاب الطائش وبات يرتقب الفرص ، فلما سجدت وقع كل ما كان يخشاه حسن آغا النمر ، فظنى موسى بك فوتر أمر الأمراء والشيوخ ، ومثل دوراً خطيراً مؤلماً بدأ سنة ١٢٢٨ بعد محاولات دامت قرناً كاملاً للجيلولة دونه .

## الفصل الخامس

طغيان موسى بك

هرم صوفين

عاد الجيايسة الى التمرد والمقاومة ، وحرصوا عشائر بني صعب على عدم الانقياد لأسعد بك ولم يجرب موسى بك إخضاعهم فلما مر باشا الدورة ابراهيم باشا حرضه على الجيايسة ووعدته بالمساعدة فتحصن الشيخ محمود العودة في صوفين ، واستنجد بعشائر البلاد فأنجذته من كل صوب ولم يتمكن البيكات من إيجاد ابراهيم باشا ، فلورط مع عشائر البلاد واستنجد بوالي الشام ، وهذا بدوره استنجد بوالي عكا سليمان باشا الجزاري<sup>(١)</sup> ، فأنجده بعساكر وأخطر الشيخ محمود العودة ورجاله على التسليم ، فهدمت صوفين ورحلت عشائرها وهي : داود ، وزهران ، والنزال الى باقة الحطب وقليلية ، وأخذ ابراهيم باشا المذكور الشيخ محمود العودة وأربعين<sup>(٢)</sup> من رجاله معه أمراء القدس ، وبوساطة محمد آغا النمر منسلما أطلق الشيخ محمود لقاء مبلغ ألفي قرش ، وأطلق رجاله لقاء مبلغ خمسمائة قرش عن كل واحد ، وأعطيت القرى الثلاثة : كور ، وارتاح ، وقلنسوة قرى الجيايسة باسم الشيخ أحمد ابن الشيخ محمود العودة ، وباسم الشيخ عساف ابن الشيخ حسن الجبوسي ، ومنع الشيخ محمود من التدخل بشي ، وكان ذلك سنة ١٢٢٨ هـ .

(١) كان من ممالك أحمد باشا الجزائر فلقب بالجزاري ، وكذلك عبد الله باشا الآتي ذكره . وكان الأول منسلما في إحدى المقاطعات والثاني كان خازنا ( أي خازن دار ) .  
(٢) كان من الذين أبلوا في الدفاع مع الشيخ محمود الشيخ السبطة بطل حامولة جبارة .

### عصيان الأغوات

لم يكتف موسى بك بتعيين مير ألاي توكي بعد موت حسن آغا النمر بل أخرج عساكره يستولون على اقطاع آل النمر في القرى ، فخرج علي آغا ، وهوسف آغا ، وأحمد آغا الى القرى وطردهوا عساكره منها ، وأعلنوا العصيان ، وصاروا يهاجمون العساكر على بوابات نابلس ، فاضطر موسى بك على بناء بوابات أخرى أمام البوابات القديمة في شرق المدينة وغربها ، وبني ما بين البوابة القديمة والجديدة في كلتا الجهتين صفيين من الدكاكين لاسمه ، سخر فيها عمال البلد جميعاً ، لاسيما النصاري الذين كان يشغلهم يوم الأحد والسامريين الذين كان يشغلهم يوم السبت .

### الاستيلاء على قصر الأمير يوسف

كان محمد آغا النمر متسلماً على القدس ، فأسكن موسى آغا النمر زوج أخته في قصره الجديد<sup>(١)</sup> ، ولما عصى الأغوات نقل موسى آغا النساء من القصر الكبير الى قصر محمد آغا وبقي هو في نابلس متظاهراً بمسألة ابن خالته موسى بك .

وخطر لموسى بك الاستيلاء على قصر آل النمر ، فأرسل عساكره للمغاربة فاحتلوه وسكنه منهم مائة وخمسون مغربياً .

### ملاء حارة الحبز واضطهادها

لما هاجم ظاهر العمر نابلس تولى البيكات حراسة القسم الغربي وفيه الحارات الثلاث وهي : الغرب ، والياسمينية ، والقرويون ، وتولى

(١) هي الدار المجاورة للجامع الكبير من الشمال .

آل النمر حراسة القسم الشرقي وفيه الحارات الثلاث وهي : الحبلية ،  
والقيسارية ، والعقبة ، وظلت هذه القسمة حزبية يدعيها آل طوقان .  
ولما صار موسى بك متسلماً أسكن العساكر في الأحياء الغربية الثلاثة  
ثم أسكنهم في القيسارية والعقبة ، ولم يبق بلا عساكر سوى حارة  
الحبلية حي الأغوات التي رفضت إسكان العساكر ، وأصبحت ملجأً  
للمضطهدين من سكان الحارات الأخرى والقرى .

ولما احتل المغاربة قصر الأغوات الكبير المعروف بقصر الأمير يوسف  
اضطهدوا حارة الحبلية ، واستولوا على بواباتها وعلى كثير من أحواشها  
ودورها ، وأسكن سائر العساكر في جميع أنحائها ، فاحتلوا حوش  
الحمام وتل الكريم وبعض الدور ، وجعلوا جامع<sup>(١)</sup> المساكين شونة<sup>(٢)</sup> وثلطوا  
على حي الحبلية بعشائره المائة ، فصارت هذه العشائر تجلو عنه الواحدة  
تلو الأخرى ، فنزل فربق في عورتا وآخر في جينين وثالث في جبل  
عجلون ، ورحل ثري نابلس الحاج محمود<sup>(٣)</sup> شاهين إلى دمشق ، ولم يبق  
في حي الحبلية إلا بعض الأسر المجاورة لقصر محمد آغا وبعض أسر ضعيفة .  
وقد ضرب المثل باباء الجبلاوية وجلدهم فيقال : « عظمهم أزرق » أي  
لا تلين قناتهم .

### اضطهاد نابلس

حرمت عساكر موسى بك من التجول في القرى ، وأصبحت جموع  
آل النمر تتهاجمهم من كل صوب ، فاجتمعوا جميعاً في مدينة نابلس ،

(١) هو من آثار الصليبيين صار يسكنه المجذومون فسُمي بجامع المساكين ،  
وهو في الجهة الشرقية من البلدة القديمة . (٢) الشونة هي محل وضع السلاح والعتاد .  
(٣) وقد نهب له موسى بك قافلة جمال وقتل ابن عمه وهو في حلة العرس في إحدى المعارك  
فسُمي ابن العريس خلفه .

وسكن موسى بك مع قسم منهم في قلعة الجنيد وسلم المدينة للعساكر  
الغريباء يسومونها سوء العذاب ، وقد فرض دخولية على كل ما يدخل  
البلد من القرى ، ومنع كثيراً من أهل القرى الموازية لآل النمر من دخول  
المدينة ، وتسلبت على التجار حتى نفدت ثرواتهم فاضطر بعضهم على دفنها  
ولم يبق عند بعضهم إلا القليل ، فاضمحلت ثروة البلاد وتعطلت متاجرها  
وهاجر منها كثير من العمال والتجار ، إذ صار موسى بك يقتل التاجر  
الذي يمنعه عنه ثروته ، فقتل الخواجه حسن أبوب كمال بتهمة محاولته  
الحصول على متسلمية نابلس ثم فرض على نابلس ضريبة شخصية ( فردة )  
فأحشاه لينفق على العساكر الذين حرّموا من التسلب على القرى فضجت  
البلد ووسطت القاضي ، فذهب على رأس وفد لموسى بك فاستقبله في  
الباب وصفعه وأهاناه ، فلزم الناس المساجد يستغيثون ، فدخل موسى  
وكتب على المحراب « هذا أوان السكوت والتزام البيوت ومن لم يطعم ضربناه  
بالنبوت » ، فأضرب الناس عن الأعمال والمساجد ولزموا البيوت ينتظرون  
الفرج ، وهم تحت ظلم العساكر وغارة القرويين .

### رسالة محمد آغا و صفاة والى الشام

سافر محمد آغا النمر متسلماً القدس الى والى الشام يطلب إرجاع  
القصر والتمتارات<sup>(١)</sup> لآل النمر ، فكتب والى لموسى بك بإعادة ذلك  
لآل النمر ؛ إلا أن موسى بك بعث لوالى دمشق بالهدايا والرشوة ،  
فعكس الأمر وأصدر والى أمره بإخراجهم من نابلس ، وفيما يلي  
كتاب والى الأخير :



(١) راجع فصل الاقطاع في باب الحكومة من الجزء الثاني .

## كتاب الوالي الذي سبب الثورة

افتخار الأمراء الكرام متسلعنا بنابلس حالاً موسى بك طوقان زيد مجده !  
بعد التحية والتسليم بمزيد الإعزاز والتكريم نبدي إليكم بخصوص  
أقارب نمر زاده محمد آغا أن نزلوهم في بيوتهم وتعطوهم تياراتهم وعلاقاتهم  
والآن تحققنا أنهم من ذوي الشقاوة ودائماً ساعين بأموال الفساد وما يغير  
رضانا فاقضى اصدار مرسومنا هذا بوصوله إليكم تطردوا المذكورين  
من طرفكم ولا تدعوهم يستقيموا في نابلس بعد الآن ولا يوم الفرد  
اعلمه واعتمده غاية الاعتماد في ١٤ ر<sup>(١)</sup> سنة ١٢٣١ .

حافظ علي

مير الحاج ووالي الشام



## الفصل السادس

### الثورة الكبرى

بسانة محمد آغا النمر ومطامته

محمد آغا هو ابن ابراهيم آغا النمر الملقب بسلطان جبل النار المار  
الذكر وأمه السيدة فاطمة بنت الشيخ ابراهيم الحنبلي الجعفري تقيب  
أشراف نابلس . نشأ نشأة الفتوة مشعباً بروح الفروسية متصفاً بصفاتها  
قادر الجرود النابلسية التي فاجأت نابليون في وادي قاقون واشترك في  
واقعة المرج ، ثم قاد فدائية جبل نابلس ، فأنجذ الجزار في قلعة عكا  
وآلى أن لا يدخلها ما لم يتفقد الأسوار ، فشر به الافرنسيون وهو

يحول حول السور فأصلوه وأبلاً من النيران ، فصعد على الأسوار وهبط  
القلعة تحت النيران . فاستقبل بالتهليل والنكبير ، وقد أكبر الجزار  
جسارته وبسالته وقدر نجاته وشهامته فولاه أمانة السلاح في عهده .  
وبعد موت الجزار عاد محمد آغا نابلس فاشترى قصر آل ثقل<sup>(١)</sup> المجاور  
لماذنة الجامع الكبير فجدد بناءه وحشده بالخدم والعبيد وسكن منفصلاً  
عن آل النمر جميعاً مكوّناً لنفسه كياناً خاصاً . ولما مات علي عمر آغا  
النمر متسلم القدس سنة ١٢٢٦ هـ حل محله ، وأسكن صهره موسى آغا  
النمر في قصره . ولما فشلت وساطته صم على امتشاق الحسام :  
إذا لم يكن غير الأسنة مركباً فما حيلة المضطر إلا ركوبها

### اعلان الثورة وهدر دم البيطات والعساكر

نزل محمد آغا في عينبوس<sup>(٢)</sup> وطلب باقي الأغوات ، فقرروا دعوة  
شيوخ البلاد الى جماعين ، وفي أواسط سنة ١٢٣٢ هـ ، وفي الوقت المعين  
عقدوا وشيوخ المشارقي وجورة عمرة وبني صعب وناحية جماعين اجتماعهم  
في جماعين ، وكان جبل نابلس جميعه ينتظر من آل النمر القرار الحاسم  
فقرر محمد آغا النمر هدر دم البيطات وعساكرهم الذين لم يعودوا  
يتقيدون بشرع ولا عرف ، وقد أهانوا قاضي الشرع وأباحوا الحلال  
فنهبوا الأموال وظلموا العباد ، فوافقهم شيوخ البلاد جميعاً ، وانتشر  
الأغوات والشيوخ يعلنون هذا القرار الحاسم في جميع الجهات فانتشرت  
الثورة في كل مكان ، واستمر القتل بالعساكر حيثما يتوجهون .



(١) ثقل أصلها طوقلي أي صاحب الطوق وهم من حكام نابلس الغرباء . (٢) هي

جوار قرية حوارة على طريق القدس .

### الحرب في جماعين

لما بلغ موسى بك خبر اجتماع جماعين وما قرر فيه ، خرج هو وابن عمه أسعد بعساكرهم لتأديب جماعين والقبض على شيوخها فلاقوا مقاومة في طريقهم وخرجت اليهم جموع جماعين ، ووقعت الحرب بين جموع جماعين والعساكر ، فقتل فيها من الفريقين عدد كبير من العساكر والفلاحين وقتل ثمانية من بني غازي شيوخ تلك الناحية .

وبينما كان موسى بك مشغولاً بحربه في جماعين بلغه خبر ذبح جميع العساكر الموجودين في نابلس واستيلاء الأغوات وجموعهم عليها فأسرع بالعودة بمن بقي معه من العساكر هو وأخوه رضوان بك وابن عمه أسعد بك وتحصنوا في قلعة الجنيد .

### فتح نابلس

بعد اجتماع جماعين توجه علي آغا يثير جماعين الغربية وجورة عمرة وبني صعب ليشغلوا البرقاوي في وادي الشعير ، وتوجه يوسف آغا الى



القسم الباقي من سور نابلس وقد بني على أساس جدار الجامع الإسلامي الحامى

المشاربى فنزل على أخواله آل الحاج محمد يثير البلاد ويهاجم بيتا وبلاطة  
لإشغال العدلي وعساكر بلاطة ، وخرج أحمد آغا الى الشمال يحرز  
ويهيء الجموع ، ونزل محمد آغا في غور الفارعة يجمع رجال حارة الحبلية من  
شتى الجهات ، وانضم اليه البدو والقرويون ، وقد عين يوماً لمباغثة نابلس  
فأخبر موسى آغا ليقطع الاتصال داخل البلد بين العساكر ، وأخبر  
يوسف آغا ليهاجم بلاطة بجموع المشاربى ، وأخبر علي آغا ليأتي  
بجموع الجنوب الغربي فيهاجم نابلس من الغرب ، وانفق مع أحمد آغا  
على اللقاء بالجموع على قمة جبل عيال الشرقية .

وبعد غروب شمس ذلك اليوم صعد محمد آغا النمر بجموعه من  
وادي الفارعة الى قمة عيال الشرقية والمعروفة (بالقنيصة) ولقاءه أحمد  
آغا بجموع الشمال التي احتشدت في ذلك النهار في عصيرة ، فالتقيا  
فوق السليمية<sup>(١)</sup> في الزيتون الذي عرف بعد ذلك بزيتون الشرجي نسبة  
اليهما ، فرتبا خطة الهجوم العام الذي سيبدأ بعد سماع طلقة نارية من  
ردنية<sup>(٢)</sup> الحاج عودة ملحس<sup>(٣)</sup> الفدائي الذي سيدخل من البوابة الشرقية  
ومعه حمل حطب على حمار فيقف في البوابة الثانية بحمل الحطب فلا  
يمكن الحارس من اقفالها ثم يطلق النار على الحارس وعلى صوت الطلقة  
يبدأ الهجوم من جميع النواحي .

وقبل الفجر كانت الجموع محيطةً بنابلس إحاطة السوار بالمعصم ،

(١) هي القمة الواقعة فوق المقبرة الشمالية والمطللة على نابلس والتي يعتقد العامة ان فيها  
مقام ولية تدعى الست سليمية . (٢) الردنية هي بارودة قصرة . (٣) آل ملحس  
اصلهم من عرب الوحيدات نزلوا في كفر الديك وبعد قتل شيخها الاجلق رحلوا ونزلوا في  
نابلس .

ومع الفجر طرق الحاج عودة ملحس البوابة الأولى ودخل بحمل الحطب ولما وصل البوابة الثانية أوقفه الحارس في الباب ليدفع الدخولية فرفض ثم أطلق على الحارس النار من رديته فأرداه قتيلاً وقبل أن يصل إليه العساكر تساقط الشوار من أسطح الدكاكين وذبحوا الحراس . وفي نفس الوقت هوجمت جميع البوابات بعد سماع الطلق الناري وهو الإشارة المتفق عليها .

### ذبح العساكر

كان موسى آغا على اتصال تام بمحمد آغا وباقي الأغوات في الخارج ، وفي منتصف تلك الليلة وضع السدود في الشوارع ورباط برجاله وراءها وبذلك قطع الاتصال بين العساكر لا سيما في الجهة الشرقية ، ولم تكد جموع آل النمر من بدو وقرويين ومدنيين يستولون على البوابات حتى شعرت بهم نابلس ، فهب الرجال والنساء والأولاد بصورة جنونية يذبحون العساكر بالسلاح والأحجار ، فقتل العساكر جميعاً على البوابات وفي الشونة والأحراش والدور وفي القصر حتى امتلأت الشوارع بالقتلى . قال ناقلو الروايات : إن القتلى العساكر من مغاربة ومماليك وأرناؤوط ملئت بهم شوارع نابلس وأزقتها ، فكان الصبيان يدوسونهم بأرجلهم ويحرقونهم خارج الأسوار . وفي نفس النهار هجم يوسف آغا وآل سعادة الحاج محمد بجموع المشاركين على العساكر الموجودين في بلاطة وأودلة فذبحهم عن آخرهم ويقدر عدد من قتل من العساكر في ذلك اليوم بألف عسكري . وقد جر القتلى إلى مغاور عيال فركوا هناك وسدت عليهم المغاور ، وكانت عظامهم وجماجمهم تشاهد إلى عهد قريب في مغاور عيال . ولم يقتل من النابلسيين وجموع الوطنيين كلها إلا بضعة رجال .

### مذبحة المغاربة واسترداد القصر

بعد أن استولى النابلسيون على البوابة الشرقية وذبحوا حراسها هجموا على الشونة الشرقية وبوابة الأنبياء وعلى حوش الحمام فذبحوا العساكر الموجودين فيها . ثم توجهوا نحو قصر الأمير يوسف وأحاطوا به فربطوا في الطرقات وعلى أسطح الدور المحيطة به دون أن يشعر المغاربة بهم . وصعدت دلول الداجونية<sup>(١)</sup> وأولادها أبناء خليل جاموس وفاطمة الكيلة من دارهم المجاورة للقصر ونزلوا إليه فسدوا الباب<sup>(٢)</sup> الموصل بين الطابق الأول والطابق الثاني ، وعند طلوع الشمس بدأوا بإطلاق النار ففتح المغاربة البوابة وخرجوا إلى الشوارع فلاقوا حنفهم واحتل النابلسيون الطابق الأول جميعه وعند الظهر قتلوا جميع من فيه واعتلى الشوار الأسطحة وصاروا يقتلون من يصادفونه في الطابق الثاني . فلجأ باقي المغاربة إلى الجهة الغربية ، فعرض عليهم التسليم فقبلوا ذلك بوجه<sup>(٣)</sup> السيد حسن الصمادي على شرط أن يروه بأعينهم وكان يتوضأ على الشادروان<sup>(٤)</sup> في الطابق الثاني ليصلي الظهر . فلما أظهر نفسه لهم أطلقوا عليه النار من بنادقهم فقتلوه وعندئذ أشار محمد آغا على ال جاموس بهدم العقود فتضابق المغاربة وصاروا يتدلون من النوافذ ويرمون أنفسهم على البستان . وكان بين المرابطين في الجهة الغربية المقابلة للنوافذ نابلسيان لا يخطئان الهدف وهما عبيد وعبد الصمد من آل سالم اليحيى فما سقط مغربي إلى

(١) راجع ترجمة الداجونية في فصل النساء من الجزء الثاني . (٢) كان رؤساء المغاربة يسكنون هم ونسائهم في الطابق العلوي وباقيهم في الطابق السفلي . (٣) راجع بحث الوجه وقيمته في فصل القانون العشائري في باب الإمارة من الجزء الثاني . (٤) الشادروان أي النوفرة .

البستان حياً فقتل المائة والخمسون مغربياً عن آخرهم إلا اثنين منهم هربا إلى الجبل ودخلا في مغارة فلحق بهما النابلسيون ولما أطل القاروط باكير عليهم من الباب اطلقا عليه النار فقتل فأطلقت عليهما النيران من الشوار فقتلا .

### انحمار الأرناؤوط

كان آخر من بقي من العساكر الأرناؤوط<sup>(١)</sup> المرابطين على بوابة الجهة المعروفة بتل الكريم فحاصروهم الشوار في الدار المعروفة بتل الكريم وبعد قتل المغاربة مع الغروب شاهد عبيد البيحي مصباحهم مشعولاً فصوب بارودته عليه فأصابه ثم توجه الجميع عليهم وأحاطوا بهم فرفضوا التسليم لا بوجه ولا بغير وجه وانفقوا على الانتحار فكان رئيسهم يأخذ سلاح الواحد ويقتله بيده ثم قتل نفسه فكان آخر من قتل من هؤلاء العساكر الأشرار .

### انحساب البيطات وضروبهم

في اليوم الثاني عاد موسى بك من جماعين وتحصن في قلعة الجنيد فوجد جموع الجنوب الغربي قد نزلت تحته في رفيدا بقيادة ابن ادهيس شيخ عشيرة جبارة فتجاهل أمرهم وأرسل لمحمد آغا يعرض عليه مساعدته في ردهم عن نابلس فأرسل محمد آغا رسولاً حكيماً وهو الشيخ حامد السعيد المصري شيخ آل المصري<sup>(٢)</sup> فقال له : « بهندي<sup>(٣)</sup> ولا ببلاد الهند » أي ليس لك بعد اليوم مقام في البلاد وأفهمه بأن ابن ادهيس جاء بجموع الجنوب والمغارب للنجدة .

خشي البيكات من الحصار والقضاء المبرم فانتظروا الليل وتحت

(١) يسمون اليوم بالألبان جاؤوا مع الوزير أعظم يوسف باشا لاسترداد مصر من الافرنسيس فأمد البيكات بفرقة منهم . (٢) هو جد آل سعادة المصري . (٣) أي رحل كالهندي كما رحلتنا عن بلدنا .

ظلامه خرجوا من قلعة الجنيد بمن بقي من عساكرهم الى وادي الشعير فأبقوا النساء في القلعة وتركوا العساكر في وادي الشعير وبني صعب مع أسعد بك ورضوان بك وذهب موسى بك الى مصر ليأتي بفرقة من ممالك مصر فوجد أن محمد علي باشا قد دعاهم الى ضيافته في القلعة وذبهم<sup>(١)</sup> عن آخرهم فعاد يحمل هذه الفكرة ليمثلها مع الأغوات دون أن يفكر بالفرق بين منزلة آل النمر المحبوبين عند النابلسيين وبين منزلة الممالك المغفوضين من المصريين ، ولأن والي الشام كان في مصر في أواخر سنة ١٢٣٣ هـ كعادته فقد نزل على وكيله سليمان باشا والي عكا يطلب مصالحته مع آل القاسم ليخلص من الشار والانتقام فيتفاهم مع آل النمر بسهولة إذ لم يقع بينه وبينهم دماء .

### شهامة محمد آغا النمر

خلت نابلس وقلعة الجنيد من البيكات وعساكرهم وأبت شهامة محمد آغا وأقاربه احتلال قصر البيكات كما احتلوا قصر جده الأمير يوسف وأبت شهامته أيضاً احتلال قلعة الجنيد لوجود حرم موسى بك ونساء العساكر فيها فلم يقابل الشر بمثله . وقد حافظ على نساء آل طوقان وأطفالهم وأمدنهم بما يحتاجون اليه مدة غياب رجالهم وقد حرس برجاله قلعة الجنيد وأمد حرم موسى بك وخدمها بكل ما تحتاج وأظهر في معاملة نساء العساكر خصوصاً نساء المغاربة اللواتي كن في القصر معاملة تنفق مع فروسيته وصفاته العالية وأكرم الجرود والجوع ورفعت نابلس رأسها وعاد إليها الجالون عنهما من جميع الجهات وعادت اليها الحياة والاطمئنان وأكبرت شهامته ونبله الاكبار الذي اعتادته لكل من يقوم بمثل عمله ويظهر مثل شهامته .

(١) وكان ذلك سنة ١٢٢٨ هـ .

## الفصل السابع

### دور الخداع والغدر

#### صالح والي عطا

دعا سليمان باشا الشيخ قاسم الأحمد والشيخ موسى العثمان شينخي  
جماعين وبعض شيوخ جبل نابلس الى دهبوانه في عكا وبعد صد ورد دام  
عشرة أيام طلب الوالي منهم أن يحكموه ففعلوا حكم بتسعين الف قرش  
دية قتلى بني غازي وجماعين كتب بها موسى بك صكاً على نفسه ثم  
دفع المال المطلوب من آل النمر للوالي وطلب منه توسط القاضي بينه  
وبينهم فكتب الى القاضي الكتاب الآتي:

#### كتاب الوالي للنائب الشرعي

قدوة النواب المتشرعين نايب الشريعة المطهرة بمدينة نابلس أفندي  
زهد علمه .

بعد السلام الثام بمزيد الإعزاز والإكرام والسؤال عن خاطركم  
المنهي إليكم غير خاف فضيلتكم أن الدولة العلية طلبت من سباهيات  
نابلس بدل سنوية عن سنة سبعة وعشرين وتحصل جميعه من أربابه واندفع  
الى مباشر الدولة وتبقى من أصل المطلوب ثمانماية وستة وستين غرش وربع  
الذي خصت تيمارات مير ألي ودار النمر وبوقفه صدر مرسوم من  
سعادة أخينا الدستور الوقور والي الشام ومير الحاج المعظم الى قدوة الامرا  
الكرام متسلم سنجدق نابلس حالاً طوقان زاده موسى بك زيد مجده  
أن يدفع هذا المبلغ من تعلقات المذكورين فالآن بحسب أمر سعادة

المشار اليه دفع ولدنا البيك المومى اليه هذا المبلغ من ماله تماماً عن  
المذكورين فاقضى رأيي فضيلتكم لكي تدفعوا مراسلة لولدنا البيك  
المومى اليه أن يأخذ ذلك من متعلقاتهم حسب الامر الصادر وفيما بعد  
نؤمل عدم سهونا من دعواتكم الخيرية كما يلزم والسلام في ١٥ ش سنة ١٢٣٣ .  
الحاج سليمان

والي صيدا وطرابلس وعكا

### صلح الأغوات والبيكات

توسط القاضي الشيخ محمد النعيمي بين محمد آغا النمر وموسى بك  
طوقان فدفع آل النمر ما عليهم وإذ لم تقع بين الأغوات والبيكات  
دماء فقد تصالحوا وثفاهموا فعاد موسى بك بعساكره الى الجنيّد ونابلس  
وتبادل الأغوات والبيكات الزيارات والدعوات وتأكد الجميع زوال  
سوء النفاق من بينهم .

### « الخربة »

عاد عساكر موسى بك ودم الثأر يغلي في رؤوسهم وعاد موسى بك  
نفسه يضر في نفسه الشر وينوي تمثيل رواية محمد علي باشا بالماليك  
فاتفق مع رؤساء عساكره على الفتك والغدر بالأغوات وتظاهر العساكر  
بالنقمة على البيكات فكانوا يثورون عليهم ولا يهدأون إلا حينما يأتي  
الأغوات ويهددونهم وصار موسى بك يسر لمحمد آغا تخوفه من ثورة المغاربة  
في احدى الليالي والمهجوم على النساء في القصر وكان يرجو من محمد  
آغا والأغوات بأن لا يتأخروا عن نجده في أي وقت لأن العرض  
واحد فكانوا ينصحونه بضرورة تسريحهم فيظهر التخوف من نقمة الدولة  
وقممتهم فصدق آل النمر وخاصة محمد آغا خداعه والكريم يخدع .

وكان موسى بك في نفس الوقت يبتث الجواسيس على محمد آغا ويراقب حركاته خشية أن يفتن لخداعه فيقضي عليه .

### نجدة محمد آغا وشهامته

لم يخطر ببال محمد آغا شيء مما كان دبراً لأنه فروسي نبيل لا يصدق ولا يفكر بمثل هذه الأساليب الدنيئة فقد عامل البيكات ونساءهم وأطفالهم وخدمهم في غيابهم أحسن معاملة ولم يعتد على دورهم ولا أملاكهم وقد صالحهم وتبادل وإياهم الزيارات والدعوات . لكن موسى آغا ابن خالة موسى بك كان حذراً وكان يسر إليه البعض سوء نية موسى بك فكان يحذر محمد آغا من موسى بك ولكن محمد آغا كان هزأً بنصح موسى آغا ولا يفكر بشيء لاعتقاده أن موسى بك قل عساكره وضعف ناصره ولا يجروء على القيام بأي عمل عدائي بعد الضربات التي نالها .

وفي منتصف إحدى الليالي من سنة ١٢٣٤ هـ جاء عبيد موسى بك فزعين يستنجدون بالأغوات ويخبرونهم بأن المغاربة ثاروا كعادتهم وهم يريدون اقتحام دار الحرم وانهم إنما أتوا عن الحيطان فصدق محمد آغا ولكن موسى آغا نصحه وقال له هذه مكيدة فقال له محمد آغا بشهامته : الموت أفضل من أن يمس عرض في نابلس وأنا حي . وكان موسى آغا مريضاً فعاد لغرفته وذهب محمد آغا يجمع باقي الأغوات فتقلد أحمد آغا سيفين فوق البنش<sup>(١)</sup> بعد أن وضع خنجرآ وردنية<sup>(٢)</sup> تحته فقال محمد آغا هذا يدل على الحرب نخلع أحمد آغا السيفين<sup>(٣)</sup> وأبقى ما تحت البنش

(١) البنش لباس خارجي كالكبوه اليوم . (٢) الردنية هي بندقية قصيرة .

(٣) ولما كان في حالة الخطر كان يقول : « ما قتلي إلا ابن عمي شالح السيفين مني » فذهبت بعد ذلك مدحجاً .

لأن محمد آغا لم يره فسار الأربعة محمد آغا وعلي آغا ويوسف آغا وأحمد آغا الى حتفهم مسرعين ولسان الحال يقول :

والنمر لو لزم الشرى<sup>(١)</sup> من كان يطعم بالنمور  
والطير تأخذها شباك الصيد في ترك الوكور

### استفهاد الاغوات

كان للنمر المؤدي الى بوابة قصر البيكات بوابتان واحدة في



الجنوب تفتح الى حارتي الياسمينه  
والقريون والاخرى في الشمال تفتح  
الى السوق واذا أغلقنا أصبح النمر  
قسماً من القصر ولما وصل الاغوات  
للباب الشمالي طرقتوا الباب ففتح  
لهم الحارس الخوخة<sup>(٢)</sup> فدخل محمد  
آغا فعلي آغا ويوسف آغا ولما  
أطل أحمد آغا من الخوخة لاحظ  
حركة غير عادية من العساكر فراجع  
وصاح بمن دخلوا ليرجعوا . فسمع

القسم الجنوبي من ممر قصر البيكات طوفان  
المعروف ببوابة البيك حيث حصل  
النضال الاخير بين محمد آغا والنمر  
وعساكر موسى بك طوفان

الداخلون بأنهم صيدوا فأسرع علي آغا ويوسف آغا ليخرجوا وراء  
أحمد آغا فانهاالت عليهما السيوف وخرا صريعين في الحال .

أما محمد آغا فقد أسرع الى الباب الجنوبي وهجم على الحارس الذي  
ظنه أحد اخوانه فخطف سيفه . ولما كان يحاول فتح الباب أدركه

(١) الشرى هو كهف مرتفع عن الارض قامات يقفز اليه النمر قفزاً فلا يسهله أحد  
فيه الا قتل . (٢) الخوخة هي باب صغير في البوابة .

العساكر فتلقاهم بالسيف مسنداً ظهره الى الخائط فدافع دفاع الابطال  
وكان كلما هجموا عليه تلقاهم بالسيف وصاح بهم فتصل ضرباتهم اليه باردة  
فلا تؤثر فيه فيصبحون « محجوب محجوب » فسمع أميرهم موسى بك  
نخوتهم وتراكمهم أمام محمد آغا وقد قتل منهم عدداً غير قليل ولم  
يستعملوا السلاح الناري لكيلا يفيق الناس على الصوت . فصاح بهم  
موسى بك يحمسهم فاغتاض محمد آغا ونسي موقفه فتقدم وصاح به قائلاً  
انزل خذ دورك من بين النساء وبذلك خلى ظهره عن الخائط فأحاط  
به العساكر من كل صوب نحر صريع الغدر بعد أن أبلى بالدفاع عن  
نفسه وقتل من العساكر وجرح عدداً كبيراً ولسان الحال يقول :  
لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى حتى يراق على جوانبه الدم

## الفصل الثامن

### دور الدفاع المجيد

#### بساله أحمد آغا ونجته

ارتبك العساكر بين أن يتبعوا أحمد آغا وبين أن يقفلوا الخوخة  
على من دخلوا فتمكن أحمد آغا من النجاة شرقاً ولما تبعوه أخرج  
الرديّة وقدحها وأطلقها فصاح بهم فنزل على الصوت بعض أصحاب الدور  
واستل خنجره وصار يدافع عن نفسه وشاركه بذلك من وصلوا من  
الجيران فدافعوا وقتل في الدفاع عنه رجل من آل الخواجه طوقان  
وآخر من آل شموط ثم كثر الناس فتمكن أحمد آغا من التخلص مشحناً  
بجراح نيفت على الثلاثين جرحاً ، وبعد نجاته من العساكر سار عن باب

جامع العين الشرقي إلى تل الكريم وما زال ينتقل من دار إلى أخرى إلى أن أتى آل جرار واستلموه من دار جابر المجاورة للشمال الشرقي من الجامع الحنبلي فحملوه على جمل ملفوفاً بالقطن وممدوداً على الواح بين باليتين من القطن وأنزلوه في عصيرة . وكان الاسطاوات من آل أبي غزاله قد ضمدوا جراحه وما زالوا يزورونه في عصيرة إلى أن شفي وانتقل إلى عرابة فقضى عند الشيخ حسين العبد الهادي دور النقاهة وما زال موضع إكرام آل عبد الهادي إلى أن اشتد فرجع إلى نابلس يشارك ابن عمه موسى آغا في الثأر والانتقام .

### رباطة جاش موسى آغا

كان موسى آغا مرضاً فلم يذهب مع محمد آغا ، وبعد نحو ساعة من الحادثة قبيل الفجر بلغه الخبر المشؤوم الذي توقعه فقابل به رباطة جاش . وكان العساكر قد أخرجوا جثث القتلى إلى الشارع فدفنها واطمان على أحمد آغا ، ثم تفرغ لحظة الدفاع والثأر واسان حاله يتمثل بقول الحارث<sup>(١)</sup> ابن عباد البكري :

قرباً مربوط النعامة مني لقمحت حرب وائل عن جبال  
لم أكن من جناتها علم إلا وإني بجرها اليوم صالي  
وكان أول شيء عمله أن أشار برجد<sup>(٢)</sup> الأزقة والشوارع وانتخب أبسل رجال الحارة للحراسة إلى أن تصل نجذات القرى ، ولما وصل الحاج أحمد آغا اليوسف الجرار بجروود الشمال سلمه موسى آغا الحارة ،

(١) قالها في حرب البسوس فذهبت مثلاً . (٢) رجد الأزقة أي سدها إلى قرب السقف بالأحجار فيبقى مقدار بسيط بين الاحجار والسقف يختبئ وراءه الحراس .

(١) واستلم رجاله أحمد آغا النمر ، وعهد موسى آغا لاخته الست يمن بالدفاع عن القصر الكبير ، ولزوجته الست فطوم بالدفاع عن القصر الصغير ثم حصل على عريضة موقعة من القاضي والمفتي والقيب وسائر العلماء والمير ألاي بالواقع وأخرى من شيوخ القرى والعشائر ، وسافر بها الى دمشق الشام .

### دفاع الستات

تمرت نساء آل النمر على استعمال السلاح والخصار والمقاومة بالزيت (٢) المغلي ، وكان عددهن إذ ذاك يربو على العشرين وقد حشدن في كل قصر عدداً من المحاربات (٣) من نساء المدينة والقرى وقد نزل في الدواوين عدد كبير من الأبطال ليكونوا على استعداد تام اذا حاول عساكر موسى بك احتلال أحد القصرين كما فعلوا قبل بضع سنين .

وقد حصل ما توقعه ففي فجر إحدى الليالي سمعت الست يمن ضرب فأس في الجدار الشمالي من القصر الكبير ، فأسرت الى الكوة (٤) فشاهدت ثلة من عساكر موسى بك تحمس عدداً من البنائين الذين يحاولون لغم الجدار بالبارود ونسفه ، وشاهدت عن بعد وراء العساكر رجلاً يعطي الاشارات ويرتب الخطة ، فأخذت بنديقتها ( بارودتها ) وضوبتها نحوه وكانت تجيد إصابة الهدف فأردته قتيلاً فإذا هو فرهود السعيد (٥) طوقان

(١) راجع تراجم النساء المشهورات في فصل النساء من باب أحوال المجتمع الاقطاعي من الجزء الثاني . (٢) كانوا في الحصار يغلون زيت الزيتون ويصبونه من الكوى على المهاجمين . (٣) راجع فصل النساء في الجزء الثاني . (٤) الكوة : هي نافذة صغيرة لاطلاق النار كانت يجدران القصور الخارجية . (٥) وقد قتل أخوه عبد الله السعيد في معركة أخرى .

ضابط العساكر . فانتبهت الستات على صوت الطلق وأسرعن بالصعود إلى الأسطحة واستلمن الكوى وصرن يطلقن النار ويندخين فانتبه الحراس في قاعة الرجال ، وخرجت الجموع فطاردوا العساكر إلى أن أدخلوهم داخل الحارات الغربية ، وقد شاهد موسى بك خذلانهم بعينه .

وفي مساء يوم آخر هاجم العساكر قصر محمد آغا وكان في الشارع السيد عبد الرحمن ثقافة<sup>(١)</sup> ، فضايقوه واستنجد ، فأنجذته الست فطوم وأطلقت النار ، فتركوه وخرج المحاربون والمحاربات وردوهم جميعاً إلى داخل الحارات الغربية ، وبعد هذا الخذلان الذي نال عساكر موسى بك من الستات تواروا ولم يعودوا إلى الهجوم مرة أخرى . ولما كثرت جرود المقرى فك الحصار ، وأصبحت جموع آل النمر مهاجرة بعد أن كانت مدافعة .



منظر حي الحيلة الأبي



(١) وقد قتله فيما بعد في معركة أخرى .

### دفاع صي البرية

كان حي الحبلية يحسب نصف البلد من حيث العشائر والسكان ، وكانت جروده تقدر بألف بواردي ، وقد أفاض الحبلوية<sup>(١)</sup> موسى بك بجلائهم أولاً وبذبجهم عساكره ثانياً ، فعمل قصارى جهده لإغاثتهم وكانوا يعلمون ذلك ، ففتحوا بين جميع الدور الأبواب والدهاليز ، وانتشروا في أطراف الحارة يحرسونها ليلاً نهاراً ، فاحتلت عساكره الشونة ورابطت في القبور ، فصار الحبلوية يدفنون موتاهم جوار مقام الشيخ مسلم . ثم قطع عنهم ماء القربون ورأس العين ، ففتحوا في دورهم الآبار . وصار العساكر يمنعون عنهم البيع من القرى ، فصبروا الى أن وصلت نجدات القرى وآل جرار .

### مرد القرى

كان للغدر بعد الصالح أثر كبير في نفوس عشائر القرى فجن جنونهم وعادوا يغيرون على نابلس يلثقون عساكر موسى بك وينسلون الى حارة الحبلية يشتركون معها في الدفاع عن كيانها ويمدون بها بما تحتاج اليه فكثر في الحارة وأوقفوا هجوم العساكر كما مر .

### نصرة أحمد آغا اليوسف

استولى على حارة الحبلية الوهم في الأيام الاولى الى أن وصل أمير الشمال الحاج أحمد آغا اليوسف الجرار بجروده وجوعه ينجد حارة الحبلية التي ردت جموع أخيه عن الأحياء الغربية حينما هاجتها قبل عشر سنين بعد أن كسرت عساكر موسى بك وقتل ولده فانتعشت حارة

(١) نسبة لحي الحبلية .

الحيلة واستردت معنوياتها وصارت مهاجمة بعد أن كانت مدافعة . فخرج موسى بك بعساكره من نابلس ونزل بهم في قلعة الجنييد وصاروا يهاجمون نابلس والقرى .

### اضطهاد آل أبي غزالة

بمجرد علم الاسطوات<sup>(١)</sup> من آل أبي غزالة بنجاة أحمد آغا حضر منهم الاسطه علي والاسطه عبد الحليم فضمدوا جراحه وأخفوا أمره عن موسى بك ، ولما انزل في عصيرة أعلموه بموته وكانوا يسعفونه هناك ولما بلغ موسى بك الأمر صمم على قتلهم فاخنفوا في مخدع في دارهم ينزلون اليه من خزانة في إحدى الغرف فاضطهد من ظفر به منهم وظل اسطاواتهم الكبار محتفين الى أن وصلت عساكر الشام وخرج موسى بك من نابلس .

### هدم تل الكريم

كان موسى بك يعلم بأن أحمد آغا النمر لا يقل في بطولته عن ابن عمه محمد آغا فكان اهتمامه به عظيماً وصمم على الإجهاز عليه . ولما بلغه أنه نزل في تل الكريم<sup>(٢)</sup> وأخفاه أهله سخط عليهم وهدم عدداً كبيراً من دورهم وحولها الى بساتين والبعض الآخر تركه ركاماً .

### مذبحة آل هواس

كانت حراسة ميساه رأس العين منوطة بآل هواس<sup>(٣)</sup> ولما بدأ

(١) الاسطة أي الطبيب في عرفهم إذ ذاك - راجع فصل العلوم والفنون الأخرى في باب العلم من الجزء الثاني . (٢) تل الكريم هواجبة الغربية من حي الحيلة وهو المجاور للجامع الخنيلي من الشرق الشمالي (٣) هم من الجرادات الذين نزلوا في نابلس ويسكنون في حي الإسمينة أو من سكان عين الصورتين .

عساكر موسى بك بتخريب قناة رأس العين الشرقية قاوموهم فقتلوا منهم بضعة عشر رجلاً وقد حل مثل ذلك بكثير من الاسر والعشائر فلم تبق عشيرة أو اسرة في جبل نابلس إلا ونكبت بالنفوس أو الأموال والاملاك من موسى بك وعساكره .

## الفصل التاسع

القضاء على قوى موسى بك

موسى آغا والى الشام

فطن موسى بك للشكاية الى الوالى كعادته فكتب اليه يخبره بأن آل النمر حاولوا قتله وهجموا على داره فقتلهم وقد نجا منهم واحد طلب منه القبض عليه مقدماً له الرشوة والهدايا كعادته . ولم يكد موسى آغا النمر ينزل في دمشق حتى قبض عليه رجال واليها عبدالله باشا العظم وكان مع موسى آغا وفد وهناك أقاربه فألقوه ثم هرب من دمشق وركب البحر الى العاصمة ليخبر السلطان بأعمال موسى بك وفعله عبدالله باشا .

مصطفى آغا والى الشام

بعد خروج الافرنسيين من مصر حاول السلطان سليم الثالث إصلاح الجيش فقتله الانكشارية وحاولوا قتل الامير محمود ولي العهد فهرب من مدخنة المطبخ الى السطح واختفى الى أن جاء أعيان الروملي وجوعهم بقيادة علمدار<sup>(١)</sup> مصطفى باشا فدفنوا جثة السلطان المقتول وولوا الأمير

(١) أي صاحب العلم أو العلمي .

محمود عرش أجداده . ثم قتل الانكشارية مصطفى باشا فجمع السلطان  
الجموع وقتل من كان من الانكشارية في العاصمة واختفى الباقيون فأقام  
السلطان حوله الحرس الكثيف وأصبح الوصول اليه صعباً جداً . ولما  
وصل موسى آغا الى الاستانة وطلب المثلول بين يدي السلطان ليعرض  
له أمراً خطيراً منع ولم يسمح له الحجاب فخابت آماله وضاعت الدنيا  
بوجهه ثم فكر - وكان من أذكى أهل عصره - فصعد إلى أقرب مأذنة  
لقصر السلطان وأذن بين العصر والمغرب ثم صاح بعد الأذان « مظلوم  
يا ملك الزمان مظلوم يا ابن عثمان ، مظلوم يا سلطان الاسلام » وقد كان  
صوته رخيماً زادته النكبة حناناً فتأثر السلطان محمود وأرسل الحجاب  
ليأتوه به في الحال قائلاً هذا مظلوم أو مجنون . ولم يكذب موسى آغا يتم  
الكلمة الأخيرة إلا والحجاب يسكون به .

كان موسى آغا مهيباً عظيم الجسم مع جمال الخلقة وحسن الهندام  
وضع على رأسه عمامة كبيرة من الشال الكشميري الأبيض ختمها  
بم حجر من الزمرد وأنزل طرفها على فروة السمو . وقد أزال الكارثة  
من نفسه الكبيرة كل هيبة فدخل على السلطان غير هيب وكان يجيد  
التركية خفا السلطان النجية المعتاده ، ثم شرح لجلالته ما أصاب  
اسرته والبلاد من مظالم موسى بك ووالي الشام وقدم له عرائض العلماء  
وشيوخ العشائر بحق البيكات خزن السلطان العادل وقد تذكر ما حل  
به وبعمه قبل بضع سنين ، فوبخ الحجاب وأمرهم بعدم التعرض اليه  
وبالسماح له بالمثلول ما دام في الاسلامبول<sup>(٢)</sup> .

(١) راجع مبحث الأسماء والعلم في باب الامارة من الجزء الثاني . (٢) أي تحت  
الاسلام ثم حرفت الى استانبول .

وكانت موسى آغا قد وضع الذهب في خذائه فلما نزعهُ أخذهُ الحجاب عن باب المقصورة وأخذوا ما فيه وما زال في الاستانة والحجاب يساعده على المشول بين يدي السلطان الى أن حصل على الأوامر العالية بعزل عبدالله باشا العظم وتعيين درويش باشا آل رضوان وهدر دم البيكات وبذلك نجت الشام من مظالم عبدالله باشا ودسائسه ومراً جبل نابلس من عدل السلطان وصاروا بعد ذلك يقولون «استانبول دار العدل».

### وصول موسى آغا وعساكر الشام

لما وصل موسى آغا الى الشام اتصل بدرويش باشا رضوان فبلغه التعيين وعزل عبدالله باشا وعمم الخبر مع اللهجة السلطانية الشديدة بحق عبدالله باشا فأصدر الوالي الجديد الأوامر بعزل موسى بك وهدر دمه ودم البيكات وسجل مرسومه ومرسوم السلطان في سجلات مجالس الشرع في دمشق ونابلس والقدس . وعين الحاج أحمد آغا اليوسف الجرار متسلماً على نابلس وعزز موسى آغا بفرقة من عساكر الشام بقيادة سكران<sup>(١)</sup> باشي الولاية فدخلوا نابلس في ربيع الثاني سنة ١٢٣٥ هـ.

### مرسوم درويش باشا برهر دم البيكات وإبقاء العساكر

قدوة النواب والمشرعين نايب أفندي بمدينة نابلس حالاً زيد فضله وعمدة المدرسين مفتي أفندي زيد فضله ونخبة الأشراف تقيب أفندي زيد شرفه وافتخار الأماجد الكرام متسلعنا بها حالاً الحاج أحمد آغا الجرار زيد مجده ومفخر الأقران مير آلاي زيد قدره وبقيت علماً وفقها ومدرسين ووجوه وأعيان وذوي الثكم تحيطون علماً هو اننا بتاريخه أبقينا سكران باشي بابنا بهلوان آغا بطرفكم لأجل حفظ البلدة المراد

تزلوه في قوناق<sup>(١)</sup> موسى بك طوقان وتسلموه أبواب البلدة لمحافظةها  
فتكونوا معه قلباً وقالباً وبخصوص موسى بك وأخيه رضوان بك<sup>(٢)</sup>  
وابن أخيه أسعد بك فالجميع منكم تعرفوا انهم خارجين من خطرنا لما  
توقع منهم من العصاوة والظلم والنعدي عليكم وعلى الرعايا ودائع رب  
البرايا فالمراد ما معكم إذن قدعوا أحد منهم يدخل نابلس لا ليلاً ولا  
نهاراً ولا سرّاً ولا جهراً وإذا صار من أحد منهم مجامرة وأغواه الشيطان  
ودخل الى نابلس ترموا عليه القبض وترسلوه لطرفنا والذي تقتلوه منهم  
قدمه مهدور فتكونوا جميعاً بالاتفاق والاتحاد قلباً واحداً وحالا واحدة  
ومعاذ الله إذا بلغنا بأن أحد من أهالي نابلس ومن أهالي نواحيها صار  
منه مجامرة ومداجاة ومسافلة مع أحد من بيت طوقان يلزم نطلع من  
حقه بما يستحقه وتكون خطيته في عنقه ولومه على نفسه ويندم ولا يقدر  
على رد الجواب فبناء على ذلك أصدرنا لكم مرسومنا هذا من ديوان  
الشام فبوصوله ووقوفكم على مضمونه تعملوا بموجبه والحذر من المخالفة  
في ٢٥ ر سنة ١٢٣٥ . وعليه ختم الولاية الكبير المعتاد

### مرسوم آخر بخصوص راه موسى بك

قدوة النواب الكرام نايب أفندي ومفتي أفندي وتقيب أفندي  
زيد علمهم .

بعد النحية والتسليم تحيطون علماً أن عرضنا لكم وصل وصار  
معلومنا حضور سكان باشي بالمرسوم من طرفنا ورأيتم مناسب أن تجعلوا

(٢-١) إن هذا التحامل على رضوان بك وأسعد بك هو مجرد نهضة والحقيقة  
انها لم يشتر كما مع موسى بك بالمؤامرة وقد انفصلا عنه بعدها ولم يشاركه بشيء الى أن  
وقم الصالح وأصبحت المرسومات تصدر بحق موسى بك فقط كما سيظهر .

على أبواب المدينة انغار معلوم تنزلوا سكان باشي في دار موسى بك  
البرانية الخارجية عن الحرم وتسدوا الباب الفاصل بين البراني والحريم  
والمراد على موجب الشرع الشريف لا يصير مغاير الذي تروه مناسب  
على الوجه الشرعي لأن نحن ما مرادنا سوى راحتكم وراحة الرعايا  
وصيانتهم واستجلاب دعواتهم الخيرية الى حضرة مولانا السلطان نصره  
العزير الرحمن ولنا والى الحاج المسلمين اقتضى نعرفكم على ذلك  
أصدرنا لكم مرسومنا هذا اعلموه واعتمدوه في ٢٥ ب سنة ١٢٣٥ .

عبده

محمد درويش

### اضراج موسى بك وهدم قلعة الجنيد

لما تكاثرت الجموع أصبحت حارة الجبله مهاجمة بعد أن كانت  
مدافعة فانسحب موسى بك بعساكره إلى قلعة الجنيد . ولما بلغ عشائر  
البلاد عنزل موسى بك وتعين الحاج أحمد آغا اليوسف طردوا العساكر  
من بلاطه واولده وأحاطوا بقلعة الجنيد . ولما شعر موسى بك بخطورة  
الموقف انسحب من قلعة الجنيد ونزل في جماعين وبعد خلو قلعة الجنيد  
خرج الجموع والعساكر وهدموا قلعة الجنيد الى الارض بأمر من والي  
الشام وبعد هدمها جاء من الوالي مرسوم عن ذلك جاء فيه : « غير  
خافكم أن موسى بك قد بنى قلعة الجنيد على الفساد وأذية العباد وذلك  
معلوم للجميع من رفيع ووضيع وحين نقرر لدينا ذلك فابتغى لوجه الله  
ومرحمة لعباد الله أخرجه وأزلنا بناء وهدمناه وأرسلنا لكم مرسومنا  
هذا في ٢٣ ب سنة ١٢٣٥ .

### موت جرار وتعيين السلحدار

مات الحاج أحمد آغا الجرار بعد بضعة أشهر من تاريخ تعيينه وبموته فقد جبل نابلس أميراً خطيراً قوي النفس والعصبية شجاعاً عزيزاً وقد ال النمر أكبر نصير وقد آل جرار كبيراً لم يرزقوا بعده مثله . وبموته فقدت نابلس حاكماً وطنياً مهاباً فتوالى عليها حكم المتسلمين الغرباء الذين لا حول لهم ولا قوة فكان أولهم حسين آغا السلحدار<sup>(١)</sup> وإذا كان موسى بك لا يزال في جماعين كتبت نابلس للوالي بذلك فورد منه المرسوم الآتي :

### مرسوم الوالي بطرد موسى بك من جبل نابلس

قدوة النواب والمشرعين نايب الشريعة المطهرة حالاً أفندي زيد فضله ونخبة العلماء والمدرسين ومأذون بالافتاء زيد علمه وفرع الشجرة الزكية قائمقام نقيب الاشراف زيد شرفه وعمدة الاماجد والاعيان سلحدور خاصة وسلحدارنا سابقاً ومتسلمنا بها حالاً الحاج حسين آغا زيد مجده ومفاخر الطلبة علماً ومدرسين زيد طلبهم ومفاخر أقرانهم مير ألي وموسى آغا النمر زيد قدرهم ووجوه وأعيان وضابطان ومشايخ واختيارية قرابا نواحي جماعين وبني صعب والشعراوية الشرقية والغربية ووادي الشعير وعقربا وبيتنا وكافة أهالي نابلس داخلاً وخارجاً بوجه العموم تحيطون علماً بخصوص موسى بك طوقان فقد طرق مسامعنا بأنه بعد فراره من مدينة نابلس توجه الى قرية جماعين ونزل بها فهذا ضد رضانا من وجوه عديدة أولاً فإنه معلوم للجميع أن المذكور خارج من رضى الدولة العلية نصرها رب البرية وفي حقه فرمان عالیشان .

(١) السلحدار أي أمير السلاح .

وثانياً فان جميع المفسد والفتن وسفك الدماء والاعتساف الواقع في نابلس  
داخلاً وخارجاً فهو كانه سبيه وذلك معلوم عند الجميع منكم فالآن  
صادر مرسوم من لدينا الى أهالي جماعين بطرده من عندهم وحذرناهم  
من عواقب ذلك ثم أصدرنا لكم مرسومنا هذا المطاع فالمراد بوضوله  
ووقوفكم على مضمونه تبادروا الى طرد موسى بك المذكور من جماعين  
ومن كافة نواحي نابلس وأطرافها ما يحكم اذن تلقوه ولا تستقبلوه  
ولا تتركوه بوجه من الوجوه ولا بسبب من الاسباب واطردوه من  
جميع أطرافكم طرداً عنيفاً بالازهاب المريع لأن جل غرضنا راحنكم  
ورفع الفتن من بينكم الذي كان أصلها وسببها واعلموا وتحفظوا أن  
كل من لقاء وداجا معه بأدنى شيء يكوث خارج من رضى الدولة  
العلية ومن رضانا أيضاً فتكونوا جميعاً قلباً وقالباً بالاتفاق والاتحاد ومعاذ  
الله تعالى اذا بدى من أحد منكم أدنى مخالفة الى مرسومنا هذا نطلع  
من حقه بما يستوجبه ويستحقه ويندم غاية الندم ولا يقدر على رد  
الجواب فبناء على ذلك أصدرنا لكم مرسومنا هذا من ديوان الشام  
والقدس الشريف ونابلس فبوضوله تعملوا بموجبه وتناشوا بمخالفته اعلموه  
واعتمدوه والحذر من الخلاف في ٦ ش ١٢٣٥.

محمد درويش

والي الشام والآيلة ومير الحاج

مطاردة موسى بك

بعد صدور هذا المرسوم خرج موسى اغا النمر والمتسلم حسين  
آغا والمير ألابي أبو بكر بك وأحمد آغا النمر بالجموع وعساكر الشام  
الى جماعين فطردوه منها ولم يذهب الى جهة إلا واستعازت منه وتشرّد

عساكره ولم يبق معه إلا شزيمة قليلة توجه بها الى جهة غير معلومة  
وخرج موسى آغا وأحمد آغا النمر بفدائيتهم وأبسل رجالهم يقتنيان أثره .

### رفع البيكات من بني صعب

سافر الشيخ أحمد الجيوسي الى استانبول معززا بالعرائض والتواصي  
فصل على أمر سلطاني بمشيخة بني صعب ورفع البيكات منها نهائياً  
وأيده الوالي برسوم آخر وانتهى النزاع على مشيخة بني صعب وذلك  
في سنة ١٢٣٦ هـ .

### موقف آل طوقان من البيكات

كان سائر فروع آل طوقان قد خرجوا من الجد الخامس وبحسب  
عرف<sup>(١)</sup> البلاد أصبحوا بعيدين عن البيكات وبالرغم عن أن فرع  
الآغوات لم يخرج إذ ذاك فقد انفصل ونظراً لصهارة الفروع المذكورة  
لآل النمر فقد وقفوا على الحباد منذ وقع النزاع بين أحمد بك طوقان  
وابراهيم آغا النمر قبل مجيء الافرنسيين وقد حصل بينهم جفاء . وعد  
البيكات باقي الفروع لصقاء باسم طوقان لأنهم لم يشاركوهم في العداوة  
مع أهل البلاد ولم يثبت معهم إلا آل السعيد طوقان الذين قتل منهم  
اثنان كما مر وقد كانوا ضباطاً على العساكر .

ولما غدر موسى بك وعساكره بالآغوات تغلى عنه أقاربه البيكات  
وبقي بعد ذلك وحده . وقد أعلنوا براءتهم من أعماله وأثبتوا للجميع  
براءتهم وبعدهم عن المؤامرة فقد جاء أسعد بك من بني صعب يريد قتله  
فحال العساكر دونه وهددوه فعاد لبني صعب هو ورضوان بك ومصطفى  
بك ونسائهم وعيالهم جميعاً وبعد أن رفعوا من بني صعب نزلوا على

(١) راجع فصل القانون العشائري في باب الامارة من الجزء الثاني .

الرشيديات في صير وظلوا هناك الى أن دعوا للصلح واستولت نابلس على أملاكهم الى ما بعد الصلح ببضع سنين كما سيأتي . وبقي التحامل على موسى بك وحده كما يظهر من المرسوم الماضي والمرسومات الآتية . وقد عدت مسألة شخصية فلم يكفد موسى بك يقتل بالسهم حتى تم الصلح في اليوم الثاني كما سيأتي . ولم يستحسن قديماً وحديثاً أحد من آل طوقان غدر موسى بك الذي لا يقره شرع ولا عرف وعادت الصلات بعد الصلح الى أحسن ما كانت وكل ما حصل بعده إنما كان وقتياً .

### الكون الكبير

خرج موسى بك من جبل نابلس ونزل على الطرشان امراء جبل الدروز وبينما كان أحمد آغا النمر وموسى آغا النمر يبحثان عنه لقتله باغت نابلس بمجموع من الدروز والبدو وباقي العساكر والانصار فاشتبك مع نابلس بحرب طويلة وما زالت في ضيق الى أن بلغ أحمد آغا وموسى آغا الخبر فأسرعا بمن معهما وجعما استطاعا من جموع القرى والبدو وجاءا الى نابلس وفي ختام اليوم الخمسين من الحرب والحصار كسروا الدروز فهربوا بعد أن قتل منهم ومن باقي أنصار وعساكر موسى بك عدد كبير وقد سميت هذه الحرب الطويلة بالكون الكبير<sup>(١)</sup> وقد سمي من ولدوا في تلك المدة بالكوفي<sup>(٢)</sup> وكان ذلك سنة ١٢٣٧ هـ .

وقد فر موسى بك من جبل نابلس واخفى عند صهره محمد آغا ابو نبوت حاكم يافا وغزة فاستراحت البلاد منه سنة كاملة .

(١) راجع عرف الصفوف في باب الامارة من الجزء الثاني . (٢) سمي ثلاثة اولاد في نابلس بالكوفي ولهم اليوم ثلاث اسر تسمى بهذا الاسم فهي ذكرى تلك الحرب الدروزية النابلسية وقد انتقم عبد القادر آغا بن موسى آغا بطواير نابلس من الدروز كما سيظهر ذلك في حوادث دور الانتقال من الجزء الثالث .

## الفصل العاشر

### آخرة موسى بك والصلح النهائي

ظهور موسى بك

انقمت البلاد من الذين ظاهروا موسى بك والدروز شر النقام ،  
وبيئناهم في أشد الضيق ظهر موسى بك في جهات غزة ، فرفع أنصاره رؤوسهم  
وظاهروا بالفساد ، فكثبت نابلس للوالي تحبزه بذلك ، وكان حسين  
آغا متسلم نابلس قد تركها بعد الكون الكبير ، فأمرع مصطفى بك  
طوقان وحصل عليها ، فكثبت نابلس للوالي ترفض تعيين أحد من  
آل طوقان ، فعين سليمان آغا أحد رجاله متسلماً على نابلس ، وأرسل  
معه مرسوماً شديد اللهجة .

### موت درويش باشا وسليمان باشا

في أوائل سنة ١٢٣٨ مات درويش باشا والي الشام ومات قبله  
سليمان باشا والي عكا اللذان يعرفان موسى بك وسخط الدولة عليه حق  
المعرفة وتعين حسين باشا على عكا وصالح باشا على الشام ، فتشجع  
موسى بك على الظهور في جهات غزة ، فهرب حسين آغا السلحدار من  
نابلس ، وأسرع مصطفى بك طوقان فحصل على أمر بالمتسلمية من  
الوالي الجديد كما مر فرفضت نابلس تعيين مصطفى بك وانتخب موسى آغا  
النمر وكيلاً للمتسلمية ، فعزل الوالي مصطفى بك ، وعين أحد رجاله  
سليمان آغا متسلماً على نابلس وأقر موسى آغا النمر في الوكالة ، كما  
سبقت في مرسوم الوكالة الآتي ذكره .

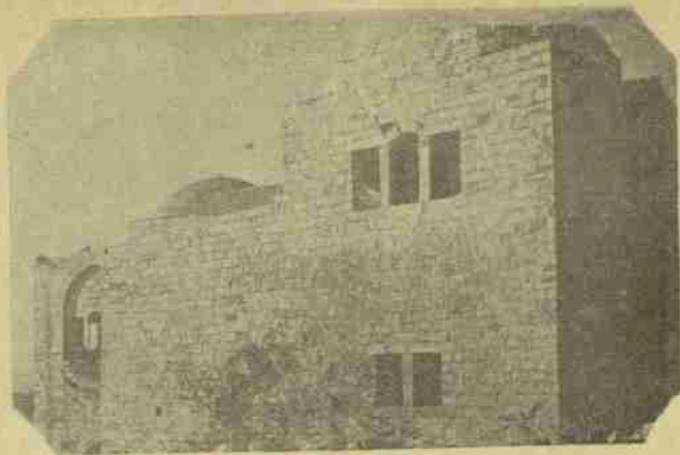
## النّامر على موسى بك

لما وصل سليمان آغا لنابلس في رمضان سنة ١٢٣٨ ووجد دُعرها من موسى بك عاد الى دمشق تاركاً منصبه ، فذهب موسى بك الى دمشق وحصل على أمر بالمتسلمية من صالح باشا الوالي المرتشي . ولما بلغ نابلس الخبر ، اجتمع موسى آغا النمر ، وأحمد آغا النمر والميرالاي أبو بكر بك ، والشيخ حامد القدومي شيخ الشّيوات ، وشيوخ جماعين وهم الشيخ قاسم الأحمد ، والشيخ حسن المدينة ، وأبو بكر الجماعين ، وقرروا قبول موسى بك كمتسلم وإطاعه بالصلح مع موسى آغا وأحمد آغا ثم الغدر به وقتله بالسّم ، فيخلصوا منه ومن تركة الوالي ، وينتهي الأمر بالصلح .

## مصرع موسى بك

عاد موسى بك متسلماً على نابلس بموجب مرسوم مؤرخ في الخامس من صفر سنة ١٢٣٩ هـ ونزل ضيفاً على عدوه القديم الشيخ قاسم الأحمد في بيت وزن فاستقبله بحفاوة ورحب به ، ثم حادثه عن خور غزمية أحمد آغا وموسى آغا وفزعهما وليتهما للصلح معه ، فاطمان موسى بك وأكثر الشيخ قاسم الأحمد من التردد على آل النمر في نابلس وجمع أسعد بك<sup>(١)</sup> ومصطفى بك مع موسى بك وصار يشاور شيوخ البلاد عن الصلح الى أن توهم الجميع أن الصلح حاصل وأخذ شيوخ البلاد يفقدون على آل النمر لا إقناعهم وفي أصيل يوم الثلاثاء السادس عشر من ربيع الاول سنة ١٢٣٩ هـ قدمت القهوة في بيت وزن لموسى بك وشيوخ البلاد

(١) اما رضوان بك فقد كان في دمشق على الراجح فلم يحضر الصلح وبعد حضوره نزل ضيفاً على أحمد آغا النمر صدّيقه من قبل وانتهى كل شيء .



قصر الشيخ فاسم الاحمد في بيت وزن وقد بني  
من حجارة قلعة الجنيد بعد هدمها

فتناول موسى بك الفنجان الأول المعد له بصفته أكبر الموجودين وفي  
ذلك الفنجان وضع السم القاتل فشربه موسى بك مع الشيوخ جميعاً  
وهو آمن كما خرج اليه محمد آغا والأغوات لتجديته وهم آمنون وبعد  
شرب القهوة دخل موسى بك وأسمد بك ومصطفى بك وعدد كبير من  
شيوخ جبل نابلس الى نابلس فنزل ففرق منهم على البيكات وفرق  
منهم على الأغوات ليتم الصالح في الصباح حسب الاصول .

وبات الجميع ينتظرون الصباح وفي تلك الليلة شكى موسى بك  
مغصاً في بطنه ثم سكنت نبضات قلبه الجبار ولما أصبح الصباح اهتمت  
بسمه زوجته بنت محمد آغا أبي نبوت جاكم يافا التي كانت تبغضه  
وطردت من الدار فخرجت تزغرد من الغيظ . ودفن موسى بك في  
مقبرة آل فروخ يوم الاربعاء السابع عشر من شهر ربيع الأول  
واستراح جبل نابلس من شر مستطير دام عشرين سنة أو تزيد وقتل

موسى خذراً كما قتل محمد آغا وأبناء عمه غدرأً وكان ثالث من قتل من آل طوقان وقد أخفى السم محافظة على عرف الضيافة وخوفاً من نقمة الوالي ولكن الامر ظهر بعد الصلح وصارت النادبات يقلن : «يا قاسم ريتك» مقسوم» .

### الصلح النهراني

قتل آل النمر من آل طوقان عبدالله وفرهود السعيد طوقان ضباط موسى بك وقد قتلوا موسى بك بالسم فكان الثالث فلم يترددوا في قبول الصلح وفي اليوم التالي لمصرع موسى بك أي يوم الخميس الثامن عشر من شهر ربيع الاول سنة ١٢٣٩ هـ حصل الصلح بين البيكات والأغوات وأسعد السعيد طوقان بحضور القاضي والمفتي والتقيب وشيوخ العشائر والنواحي وكتبت بالصلح حجة سجلت في سجل مجلس الشرع الشريف بنابلس وهي الآتية :

### صحة الصلح

الفقيه اليه عز شأنه النائب  
بمدينة نابلس السيد محمد  
موسى النميمي غفر له

بمدينة نابلس  
السيد محمد  
موسى النميمي  
غفر له

بالمجلس الشرعي المحرر المرعي بمدينة نابلس آجله الله تعالى لدى مولانا فخر المدرسين الكرام لما كان قبل تاريخه قتل موسى بك حال حياته من أولاد النمر ثلاث رجال وهم محمد آغا ويوسف آغا وعلى آغا واستمرت العداوة والبغضاء أياماً ثم أن أولاد النمر ظفروا برجلين من

أولاد<sup>(١)</sup> طوقان وهما عبدالله وفرهود وقتلاههما ووقع التنازع ولم يزل الخصام والنزاع بينهما الى الآن في تاريخه حصل الصلح والاصلاح بين الجهتين وجعلوا محمد آغا وعلي آغا بدلاً وعوضاً من عبدالله وفرهود وبقي لأولاد النمر<sup>(٢)</sup> يوسف آغا ولم يختاروا دية ولا غير ذلك بل طلبوا أن تكون عمومية فيما بينهم أخوين في الدية دافعين في الدية ليس بينهم عدوان ولا بغضاء وتوافقوا على ذلك بحضور مناصب البلاد الواضعين أسماءهم أدناه فحضر لمجلس الشرع الشريف نضر الامراء الكرام أسعد بك طوقان ونضر الامراء الكرام موسى آغا النمر ونضر الامراء الكرام باشا<sup>(٣)</sup> زاده مصطفى بك طوقان وفخر الامراء الكرام أحمد آغا النمر وأسعد بن الحاج محمد سعيد طوقان وأشهدوا على أنفسهم عن طيب قلب وانشراح صدر من غير إكراه ولا إجبار ولا مانع يمنعهم من صحة هذا الاثهاد الشرعي عالمين بمعنى ذلك وما يترتب عليهم من ذلك شرعاً انهم جعلوا محمد آغا وعلي آغا في مقابلة عبدالله وفرهود ويوسف آغا جعلوه عمومية فيما بينهم وأسقط كل منهم حقه في جميع ذلك وتباروا منه إبرائاً عاماً قطعاً مانعاً حاسماً حازماً لكل طلب ودعوى وتظلم وشكوى قابلاً كل منهم قبل الآخر مسقطاً لكل طلب وانفصل ذلك على يد مناصب البلاد المذكورين وتحرر هذا السند بأيديهم ولما كان الحال على

(١) اخفي اسم موسى بك وظل امراً مكتوما الى ما بعد الصلح واختلفت في اسمه الروايات فمن قائل انه وضع في القهوة ومن قائل انه وضع في اقراص الخبز ومنها رواية خطية اسامري معاصر يقول « انه تساط على السامريين فسلط الله عليه احد مشايخ الصف فسمه . (٢) يوسف آغا هو أخو موسى آغا وله الحق بالنازل عنه أما علي آغا ومحمد آغا فليس لهما اخوة ولا أولاد . (٣) هو ابن مصطفى باشا سمي على اسم ابيه تخليداً لذكوره .

هذا المنوال سطر ما هو واقع بتاريخ الثامن عشر من ربيع أول سنة  
تسع وثلاثين ومائتين والف هجرية .

|                     |              |                 |                |             |
|---------------------|--------------|-----------------|----------------|-------------|
| الفقير              | الفقير       | الفقير          | الفقير         | الفقير      |
| مصطفى العديلي       | ناصر المنصور | موسى عثمان      | سليمان         | أبو بكر     |
| البيتاوي            | البيتاوي     | جماعين          | جماعين         | جماعين      |
| الفقير              | الفقير       | الفقير          | الفقير         | الفقير      |
| عبدالله سعيد الداود | قاسم الاحمد  | حسين عبد الهادي | عيسى البرقاي   | احمد الشايب |
| الجرار              | الجرار       | مرداوي          |                |             |
| الحاج عساف          | علي موسى     | خليل الحمد      | الفقير السيد   |             |
| عراي                | عراي         | دير الغضون      | حسين أبو اللطف |             |

وغيرهم جمع غفير من المسلمين

### استرداد الاملاك وتاكيد الصلح

استولى أهالي نابلس على أملاك البيكات بعد خروج موسى بك من  
نابلس ولم يتركوها حتى سنة ١٢٤٦ هـ اذ في هذه السنة صار مصطفى بك  
متسلماً على نابلس فحصل على أمر باستردادها . وفي سنة ١٢٤٧ هـ بلغ  
أبناء المقتولين من آل طوقان رشدهم فحضر لمجلس الشرع محمود بن  
عبدالله طوقان والحاج محمد بن فرهود طوقان بالإصالة عنهما وبالوكالة عن  
أبيهما واخواتهما وصادقا على الصلح الماضي بحضور أحمد آغا النمر وعبد  
القادر آغا النمر وحكم بذلك القاضي الشيخ عبد الواحد الخماش بشهادة  
شهود وسجله فانتهي كل ماله صلة بالحوادث الماضية . ولم تحدث فيما بعد  
إلا بعض مصادمات بسيطة لأسباب جديدة لا تلبث أن تنتهي .

## الحكم على شخصية موسى بك

وصل موسى بك الى متسلمية نابلس يتميز غيظاً من امراء ومشايخ  
 جبل نابلس الذين عرقلوا مساعي أربعة من امراء أسرته فقد اضطروا  
 عمه مصطفى باشا على الانسحاب الى راشيا ولم يتمكنوا ابن عمه أسعد بك  
 من إكمال سنة ثم شلوا حركة عمه أحمد بك فعزل ثم أحرقوا الدخائر  
 واضطروا أخاه خليل بك على ترك المتسلمية والذهاب إلى مصر تخلصاً  
 من أثمان الدخائر . وعلى أثر هذه المتاعب والمصادمات المغيظة وفي أشد  
 مواقف الصدام وصل للمتسلمية موسى بك الشاب الجسور والمؤامرة  
 لا تزال كما هي لم يؤثر فيها تهديد السلطان ووعيده وحوله أصحاب  
 الدخائر يطالبون بأثمانها وقد أحرقت وثبت عجز أسرته عن حمايتها  
 فصمم على تفويض أركان المؤامرة والبطش بجميع أعضائها فاتفق مع  
 الوزير الأعظم على ذلك فأمدّه بخمسة آلاف من أبسل جنود عصرهم ،  
 مغاربة دوّخ بهم الجزار سوريا ، ومماليك دوخوا مصر ، وارانواوط تسلطت  
 بهم الدولة العثمانية على البلقان ، وأكراد تقاوم بهم الدولة العثمانية دولتي  
 الروسيا وايران . فشجع موسى بك وازداد طيشاً على طيش وكان له  
 الحق الصريح بالبطش بالجيايسة لنهبهم الدخائر وكان باستطاعته تفريق  
 المتآمرين والوصول لغايته لولم يعمل ما يخالف العرف فقد أثار بقسوته  
 مع الجيايسة المغاريب كلها وبقتله أربعة عشر رجلاً من أهالي شويكة في  
 رمضان الشهر المقدس وحرقه بضعة عشر رجلاً من قاقون في بئر أثار  
 جبل نابلس جميعه وبهذه الغلظة القضيعة فقد متسلمية نابلس وفقد ابن  
 عمه متسلمية بني صعب وفقد أثمان الدخائر ونصف العساكر ثم عطف  
 الدولة .

على أن هذه الصدمات لم تضعفه ولم تخمد نفسه الجبارة بل احتفظ بقواه الى أن سنحت الفرصة فحصل على أمر بالمسلمية ولكنه عاد الى الشذوذ واستهان بدادو آغا الجرار متسلم جينين وأمير الشمال وحاول اغتياله فهاجم نابلس وكسر عساكره وقتل ولده الوحيد الصغير وكان هذا العمل مثيراً لآل النمر فنصروه على حليفهم وكان من الواجب عليه أن يقابل هذا العمل بالشكر وأن يتفاهم معهم ويقبل بنصح كبيرهم الحكيم إلا انه طمع وطلب منهم مساعدته على الانتقام والثأر لولده مع أن العرف لا يساعده لأن ولده قتله فرسانه وهم هاربون ولا حق له عند آل جرار وقد عجز عن مهاجمة جرار في جينين وحيث لم تنصره عشائر الجنوب والشرق لعدم رضا آل النمر بذلك انتقم منهم فخره هذا الى صدام أحرق بنتيجته زيتون بلاطه فكان هذا بنظر العرف عملاً فظيماً لا يقل عن قتل الأنفس فعمل بعد ذلك وحرار بعساكره إلا انه ظل يحتفظ بقواه الى أن سنحت الفرصة فعاد الى المسلمية وقد ازداد غيظاً وشرّاً وقد أفقده موت ولده ما بقي من رشده فاستولى على تيمار آل النمر وقرابهم وقصرهم فثاروا ولم يقبل وساطة محمد آغا فانضم اليهم وأعلن الثورة العامة التي أفقدته أكرثية عساكره الساحقة ولم يبق عنده منهم إلا بضع مئات . ولما ظهر ضعفه ولم يستطع إيجاد أنصار لجأ الى الغدر والخديعة فعمل فعلته مع آل النمر فقتل وتورط لأنهم لم يقعوا جميعهم في الفخ . إلا أنه رغم كل هذا لم يعدم نصيراً فاستنجد بالطرشان وباغت نابلس وعساكر الشام فغلب كعادته وتوارى ينتظر سنوح الفرص فسنحت ومات أعداؤه الولاة وجاء غيرهم فحصل على مسلمية نابلس التي كان يعبدها فكانت سبب مصرعه وقد يش

خصومه من الظفر به فاجتوا الى الحيلة وأماتوه غدرًا بصورة شادة  
فداووه بدائه وكان يأمل أن يحميه الحكم فنزل به :

كم في الحياة من مرجٍ أملًا أتاه خوفه من أماله  
فمات حاكمًا مرعبًا كما عاش بعد أن قضى ربع قرن في نضال  
لم يشعر معه بلل رغم ضعف قواه باستمرار وتكاثر أعدائه عليه حتى  
خذه أقاربه البعيدون ثم عصبيته الغربية حتى أن زوجته أبغضته فتهمت  
بدمه وخرجت تزغرد حين موته فشدت كما شذ على العرف وقد برهن موسى  
بك أنه من الجبابرة وقد ظل اسمه مرعبًا كل حياته وبعد مماته بنحو قرن .

### نتائج عصر موسى بك

كان عصر موسى بك تجربة خطيرة كشفت نفسية جبل نابلس الى  
أعمق حد فقد كان موسى بك الذي قام بهذه التجربة أحد الجبابرة  
الطغاة الذين لا يشعرون بلل ولا يتقيدون بشرع ولا عرف وكان من  
أكبر عشائر جبل نابلس وأعرقها وقد اعتز بأقوى وأبسل عساكر  
عصره وقد أيدته الوزير الأعظم والسلطان بالذات وبني قلعة الجنيد  
لتنحصر بها واستولى على الأقطاع واستطاع أن يضم اليه بعض شيوخ  
القرى وبعض الاسر في نابلس ولم يترك ظرفًا إلا استغله ولا جبانًا إلا  
أذله فلم يخضع له أحد ولا ترك نضاله أحد بل كان الكل له بالمرصاد  
ما صادم جهة إلا وأنجدها الجهات الاخرى فما زالوا يناضلونه حتى تركه  
اهله وذووه وقناقص جنده ذبحًا وتشريدًا الى أن أيدوا جميعًا . ولم تخله  
الدولة فساعدته للمرة الاخيرة وعينته متسلمًا فاجأ الى العرف وحل ضيفًا  
على أمير الجنوب الشيخ قاسم الأحمد ولكن هذه المكيدة التي أراد  
بها إيقاع الفتنة بين أعدائه لم تخف عليهم فلم يحترموه لأنه خرج على

عرفهم ولم يتركوه يحتجوا بالعرف الذي احرقوه وخرج عليه خدعوه  
وقتلوه بالسهم فبرهنوا مع بطشهم على حكمة ودهاء . وانتهت تجربة  
موسى بك الخطيرة بعد أن برهن جبل نابلس الدولة بأنه لا يخضع ولا  
يذل فقد ملئت منه غيظاً فسلطت عليه واحداً من امرائه وعززته  
بالاوامر الشديدة والجنود البواسل وبدلت الشيوخ بأخرين من انصارها  
فلم يتركوا وأميرهم الطاغية وسيلة إلا استعملوها ولا ظرفاً إلا استغلوه  
ولا حيلة إلا جربوها فلم يظفروا بخضوع ولا استسلام بل كانت الدائرة  
تدور عليهم ففشلوا واسود وجه الدولة بهم ربع قرن كامل وانتهت  
هذه التجربة الخطيرة بفوز جبل نابلس الجبار وخذلان الدولة ورجالها  
وأنصارها ولسان الحال يقول :

كناطح صخرة هوماً ليوهنا فلم يضرها وأوشى قرنه الوعل  
وهذه التجربة التي قامت بها الدولة العثمانية في جبل نابلس لا تقل  
عن التجارب التي قامت بها بعد ذلك بقرن في جبل الدروز وعسير  
ونجد واليمن وإذا قورنت هذه التجارب بتلك مع ملاحظة الفرق في  
التاريخ والنسبة في المساحة والنفوس نجد أن جبل نابلس في مقدمة  
الامارات العربية إباءً وثمناً وعزرة .



# الباب السادس

عصر احمد اغا

## الفصل الأول

دسائس الولاة والامراء

مسلحية موسى آغا النمر ومنزلته

موسى آغا هو ابن حسن آغا النمر المار الذكر وأمه الست سارة بنت خضر طوقان كان فتى فروسياً وذكياً داهياً ظهر أمره بعد موت أبيه فلم يقاوم المير ألاي أباً بكر بك بل صاحبه ، وتعلم منه اللغة التركية وتظاهر بمسألة ابن خالته موسى بك وأقام حوله الرقباء والجواسيس فعرف دخيلته ونواياه ولما هاجم محمد آغا النمر نابلس قطع الطرقات على العساكر ، ولوقوفه على نوايا ابن خالته ظل متحذراً منه وقد نصح محمد آغا بعدم الاطمئنان اليه ولم يغفر بنفسه في تلك الليلة المشؤومة وقد أظهر بعد الفاجعة العظيمة رباطة جأش خارقة ورتب الخطوة النهائية للدفاع عن كيان أسرته وحارته ولا يقاذ جبل نابلس من العساكر الغرباء وأميرهم الطاغية ففاز فوزاً مبيناً أحرز به اعجاب السلطان والوزراء والولاة وقد أدهش النابلسيين بشجاعته ودهائه فانتخبوه وكيلاً<sup>(١)</sup> عن المسلم حسين آغا بعد هربه من نابلس وواقفهم الوالي على ذلك ثم صار مسلماً أصيلاً بعد الصلح النهائي باتفاق جبل

(١) راجع وثائق المتسلمية في الجزء الثاني .

نابلس جميعه بما فيه آل طوقان وصادق علي ذلك الوالي نفسه فكان موسى آغا النمر الامير الوحيد الذي نال هذه الثقة من الشعب على اختلافه وأيده الوالي ، وهو بعد في سن الشباب .

التف جبل نابلس جميعه حول موسى آغا وعدت حكومة موسى آغا خاتمة عصر الدمار وفتحة عصر التقدم والعمران . وقد فتن النابلسيون بفتاىهم أيا فتنه فأخلصوا له إخلاصاً متناهياً وأجوه حباً جماً وظنوا أنهم نجوا من الدمار والسقوط ولكن هيهات أن يدوم خير في ذلك القرن المشؤوم فقد زلزلت نابلس بزلزال أرضي في تلك السنة . وفي أول شعبان سنة ١٢٠٩ هـ هجعت بفتاها وأميرها النابغة موسى آغا النمر فجزعت لموته جزعاً عظيماً ثم انفتحت بعده أبواب الدسائس والفتن التي تلتها الحرب الاهلية ثم الانحلال والانحطاط الذي ما زال جبل نابلس يئن منه الى عصرنا الحاضر :

وما كان قبس هلكه هلك واحد ولكنه بنيان قوم تهدما

### امارة احمد آغا النمر وموقفه

أحمد آغا هو ابن علي آغا ابن عمر آغا النمر وأمه الست صالحة بنت صالح بك الشافعي . كان أحمد آغا فتىً فروسياً كسائر أفراد عشيرته ، وقد تولى ادارة اقطاع آل النمر في عهد حسن آغا النمر ، وبعد خروج موسى بك أصبح وكيلاً للمير ألاي أبو بكر بك . وبعد موت موسى آغا سافر أبو بكر بك فانتخب الزعماء والسباهية<sup>(١)</sup> أحمد آغا مكانه ثم عين رسمياً وقد صار وكيلاً للمتسلمية وأصبح هو المتسلم

(١) راجع وثائق آلاي السباهية في باب الحكومة من الجزء الثاني .

الحقيقي لنابلس لأن أمراء نابلس كثرت دسائسهم ضد بعضهم . وبالرغم  
عن أنه الرجل الوحيد الباقي من آل النمر وحوله نحو عشرين من النساء ،  
فقد ظل قطب الرحى في جبل نابلس جميعه فثقل دوراً كاملاً ، وقد  
وفق الى مواقف نبيلة جعلته أنبل وأحكم أمراء عصره . ولقد كان لنبله  
الفضل الأكبر في إيقاد نابلس من بطش عبد الله باشا وإبراهيم باشا  
ثم في إيقاد نفسه ، ولقد كان له فضل كبير في تخفيف الدسائس  
والقضاء على أكثرها ، وقد اشتهر بالآغا والجريجي وبعد اماراة الأتالي  
صار يلقب بالبيك في بعض الأحيان .

### ضبط التيجار ونظيم الأولى

بعد قضاء السلطان محمود الثاني على الانكشارية أكمل تنظيم الجيش  
الجديد في العاصمة ثم التفت الى المقاطعات والألوية فأمر بضبط التيجار<sup>(١)</sup>  
ونظيم الايلات فقام آغا النمر في نابلس بذلك حق القياس وبمساعيه  
ومساعي المتسلم مصطفى آغا طوبجي باشي أقطع الشيخ حسين عبد الهادي  
تيجار عرابة<sup>(٢)</sup> ثم أعطى زعامه خمه ، وأقطع الشيخ قاسم الأحمد قرية  
بيت وزن وحينصافوت ، وأعطى ولده الشيخ محمد زعامه حوارة وقد  
أقطع البيكات زعامه ، وكذلك آل جرار ، وتغيرت بذلك أحوال  
التيجار والاقطاع جميعه وذلك سنة ١٢٤٢ هـ .

### انتهاء حكم الغرباء

بعد موت موسى آغا النمر تعين مصطفى آغا طوبجي باشي من  
أهل الاستانة مسلماً على نابلس ، فأقام مدة سنتين وفي أواخر سنة ١٢٤٢

(١) راجع وثائق الاقطاع في باب الحكومة من الجزء الثاني . (٢) راجع وثائق  
الاقطاع أيضاً .

ترك نابلس فعين خورشيد آغا أحد رجال والي الشام مكانه ، وكان متكبراً فاصطدم بأحمد آغا النمر الذي أثار عليه جبل نابلس واضطره على ترك نابلس قبل انتهاء سنة<sup>(١)</sup> ثم انفق أحمد آغا مع أسعد بك على المتسلمية وأنهى حكم الغرباء ، فذهب أسعد بك لوالي الشام ، وطيب خاطره وحصل على أمر بالمسلمية .

### مرسوم الوالي لأحمد آغا

افتخار الأمراء الكرام مير ألي نابلس حالاً أحمد آغا النمر زيد قدره بعد السلام التام بمزيد الاعزاز والايكرام نبدي اليكم انه الآن قد أنعمنا بمسلمية نابلس على رافع مرسومنا هذا افتخار الأمراء الكرام ذوي الجهد والاحترام طوقان زاده مير أسعد بك زيد مجده ومأذون من طرفنا بتحصيل نتاج أموال الميري والمهات الحجازية وصيانة ذوي الأغراض والطلوع من حق الأشقياء والمتجاوزين الحدود وحماية الرعايا ودائم رب البرايا من غير معارض له بذلك فبناء على ذلك أصدرنا لكم مرسومنا هذا فبوصوله تكونوا مع متسلمنا المير المومي اليه يبدأ واحدة وحالاً واحداً على الوجه المشروح ثم نقرر لدينا أنه تقدم بدى بعض أمور مغايرة ومفاسد من طرف ناس بطرفكم من أرباب المفاسد وأصحاب ذوي الأغراض فهذا شيء ضد رضانا ولا يمكن نعطي به رخصة الى أرباب المفاسد وكان مرادنا إصدار أمرنا بالطلوع من حق الأشقياء المذكورين بما يستوجبوه ولا كن حسب التماس الرجا من متسلمنا المومي اليه سمحنا عنهم ما داموا في أشغالهم وفي قيد الإطاعة الى متسلمنا المومي اليه

(١) كانت مدة المتسلم سنة وان رضي عنه الوالي جدد له المدة .

ومن الآن وضاعداً اذا بلغنا أحد من هولاي المذكورين أو من غيرهم  
بدى أمور مغايرة أو مفاسد يلزم الطلوع من حقهم بما يستوجبوه ويترتب  
عليكم غاية الملام وعذرکم ذلك الوقت غير مقبول وانشاء الله تعالى لا  
يلزم لكم بذلك غاية التأکید اعلموه واعتمدوه غاية الاعتماد .

الحاج صالح

في ٣ ذ<sup>(١)</sup> سنة ١٢٤٣

والي شام

### نعيين الشيخ عبد الله الجرار

بعد انتهاء السنة حصل الشيخ عبد الله الجرار على أمر بمسلمية  
نابلس من والي عكا بالوكالة عن والي الشام فأغاظ بذلك أسعد بك  
وأحقده عليه فما زال ينتظر الى أن سنحت الفرصة ووقع الخلاف بين  
والي الشام ووالي صيدا الجديدین ، فاتفق مع الأخير وحرضه على الشيخ  
عبد الله فعزله عن نابلس ثم أحقده عليه فأمره وهدم صانور كما سيأتي .

### مرسوم الوالي لا محمد آغا بنعيين الشيخ عبد الله الجرار

قدوة الأمثال والأقران مير ألي نابلس حالاً أحمد آغا النمر زيد قدره  
بعد السلام التام بمزيد العز والإكرام نبدي اليكم أنه بتاريخه  
وجهننا منسلمية نابلس على افتخار المشايخ أختينا الشيخ عبد الله الجرار  
المكرم ووجهنا له شرطنا منها وحررنا لكم أحرف المودة فالمراد بوصوله  
اليكم تكونوا والشيخ عبد الله الجرار الموصى اليه يداً واحدة وحالاً  
واحد بالانفاق والاتحاد وإنجاز الخدمات العابدة لدى سعادة أفندينا  
ولي التعم الدستور الوقور<sup>(٢)</sup> المعظم طال بقاء بكافة الخدمات المرضية ،

(١) ذ = اي ذو الحجة . (٢) يعني والي الشام الحاج صالح باشا لانه كان مع  
الركب الشامي في الحجاز .

حيث تكونوا أنتم والمتسلم الموصى اليه يدًا واحدة وجسمًا واحدًا وإنشاء  
الله تعالى حين حلول ركاب أفندينا المعظم بهذه الديار نثالون كل ما  
يسر خاطركم ويقر نواظركم يكون معلومكم .

الحاج عثمان

مير ميران قائمقام

في ٢٣ رجب سنة ١٢٤٤

والي شام

### عقوبة الشيخ عبد الله الجرار

الشيخ عبد الله الجرار هو أصغر أبناء سلطان البر يوسف آغا الجرار  
المار الذكر ، كان يختلف عن أبيه وأخويه تمام الاختلاف ، فقد كان  
شاباً طائشاً سريع التأثير يثق بلا تجربة ويحقد لأقل سبب ولا يفرق  
بين النصيحة والسيسة ، ولقد كانت عقوبته الشاذة أكبر عامل في  
تقويض قوى آل جرار وإضعاف مكانتهم في جبل نابلس وعند الولاة .  
كان أول أخطائه النفور من أحمد آغا النمر بدسياسة دسها عليه  
بعض المفسدين . فإن آل النمر لا يزوجون بناتهم من غير عشيرتهم  
وقد اعتبروا هذه العادة من تقاليد الامارة فتمسكوا بها وأراد الدساسون  
إيقاع الفتنة بينهم وبين آل جرار فقالوا للشيخ عبد الله المذكور ان  
آل النمر سخروكم بعداوة آل طوقان وجعلوكم ترساً لهم ولو ساووكم  
بأنفسهم لصاهروكم ، وما عليك إلا أن تخطب إحدى بنات أحمد آغا  
النمر فتري الحقيقة ، فصدق الشيخ عبد الله ذلك وأمرع الى أحمد  
آغا النمر يخطب بنته الست فطوم مقدماً مبلغاً كبيراً من المال فعرف  
أحمد آغا ذلك ولم يرفض بل تظاهر بالرضا الى أن اختلى بالشيخ عبد  
الله وأفهمه عدم إمكان ذلك لأنها عادة قديمة ومن تقاليد العائلة ، وأنه

لا يتكبر على آل جرار ، ولكن العادة يصعب الخروج عليها وقد رفضت ذلك بنات العائلة<sup>(١)</sup> كلهن وقامت في البيت ثورة فلم يقنع الشيخ عبد الله بل قبل بالدسيسة وعدّها نصيحة وصار يعتمد مخالفة آراء أحمد آغا النمر ويصغي الى أقوال وآراء الشيخ حسين عبد الهادي ويحمد أمام دسائس أسعد بك فأضاع متسلمية نابلس وجنين وهدم قلعة صانور ، وأهين هو نفسه في سجن عكا وأمرع ببناء القلعة ، ففضى على ثروة آل جرار ثم ثار على ابراهيم باشا ففسر القلعة ورأسه بعدها واستمر بعد ذلك ضعف آل جرار وانقسامهم ، وكل ذلك من طيش الشيخ عبد الله واستسلامه للدسائس .

### الخلاف بين والى الشام ووالى ايلة صيدا

لما ضمت ايلة دمشق وامارة الحج الى والى ايلة صيدا أحمد باشا الجزار نقل مركزه من عكا الى دمشق ، ووكل وكيلاً عنه في ايلة صيدا ، وبعد أحمد باشا الجزار صارت العادة أن ينوب والى ايلة صيدا عن والى ايلة الشام حين ذهابه مع الركب الشامي الى الحجاز ، ولما عين عبد الله باشا الجزار - الملقب بالخازندار - والياً على ايلة صيدا سنة ١٢٤٦ ادعى أن جبل القدس ونابلس من متعلقاته فوقع الخلاف بينه وبين والى الشام وكتب الاخير للمسلمين في البلدين يخبرهما بعدم اطاعة أوامر عبد الله باشا فأطاعوه فغضب والى عكا وعزل متسلم نابلس الشيخ عبد الله الجزار الذي رفض اطاعته . وولى على القدس أحد مماليكه وكذلك جيتين فقد ولى عليها مملوكه حسين آغا وأخرجها من آل جرار . وكان البيكات

(١) راجع مبحث الاميرة الكبرى في فصل الامارة وتوجمة الست بين في فصل النساء .

بالمرصاد فأسرع إليه أسعد بك ومصطفى بك فعين الأخير على نابلس  
وجعل مغاريب جبل نابلس متسلمية عين عليها أسعد بك طوقان .

### اضطراب والي الشام

لما علم والي الشام محمود باشا الشر كس " بتدخل والي ايالة صيدا  
الفعلي طلب جرود جبل نابلس لتلاقيه على صفد كي يتوجه بها مع  
عساكر الشام وجموعها لضرب عبدالله باشا في عكا . وفي الوقت المعين  
خرج احمد آغا النمر والشيخ عبدالله الجرار والشيخ قاسم الاحمد والشيخ  
حسن عبد الهادي بجموع جبل نابلس الى صفد ؛ إلا أن والي الشام خذهم  
ولم يتجاسر على الحضور ، فرجعت جرود جبل نابلس الى صانور . فرأى  
أحمد آغا النمر والشيخ قاسم الاحمد ضرورة التفاهم مع والي الشام الى  
أن تصدر أوامر سلطانية بحل الخلاف ؛ أما الشيخ عبدالله والشيخ حسين  
فقد ترددوا ، فعاد أحمد آغا لنابلس ، وكتب للوالي في عكا كتاباً  
— بصفته وكيل المتسلم — باستعداد جبل نابلس للطاعة ، فأجاب الوالي  
بالكتاب الآتي :

### جواب والي صيدا لوصم آغا

قدوة الأمثال والأقران وكيل متسلمنا في نابلس حالاً أحمد آغا  
النمر زيد قدره !

بعد السلام التام بمزيد الإعزاز والإكرام المنهى اليكم اطلعنا على  
شقتكم المرسولة الى افتخار الأمراء الكرام متسلمنا في قاقون حالاً طوقان  
زاده ولدنا أسعد بك صحبة محمد بك عسقلان وكامل ما شرحتموه وما  
أعرضه ولدنا عن معناها صار معلوم فنخبركم أنه مقدماً صدر وأمرنا

(١) قد عين به صالح باشا والي الشام المار الذكر .

ولدنا المومى اليه ان الذي يريد من مشايخ جبل نابلس الدخول بالطاعة  
والانقياد لطرفنا يعرض عنه لدينا وان شاء الله تعالى كل من طرق بابنا  
لا يشاهد إلا جهر الحاطر اقضى إخباركم بذلك لكي كل من يريد  
الاجتماع في ولدنا المومى اليه لكي يتعاطى له وسایل استحصال رضانا  
وصفو خاطرنا فليعلم أن ولدنا اليك المومى اليه مأذون بذلك من طرفنا  
والذي يوافي على قدم الطاعة ويجتمع فيه ويتحقق ولدنا المومى اليه  
عبوديته لطرفنا ويعرض لدينا عنه فبحوله تعالى ما يشاهد من طرفنا إلا  
جهر الحاطر حسب مأموله هذا ما لزم إخباركم.

في ٢٦ ر سنة ١٢٤٦ السيد عبدالله

والي صيدا وطرابلس ومتصرف الوية  
غزه وباقية والقدس ونابلس وجنين حالاً

### أمر الشيخ عبدالله وهرم اسراء صانور

عرض شيوخ جبل نابلس جميعاً طاعتهم على الوالي بواسطة أسعد  
بك إلا الشيخ عبدالله فنظراً لما بينه وبين أسعد بك تأخر وكذلك  
الشيخ حسين عبد الهادي فقد تأخر مراعاة لحاطر الشيخ عبدالله .  
وكان أسعد بك مغتاضاً من الشيخ عبدالله لتوليته متسلمية نابلس ومنافسته  
عليها فاعتنم هذه الفرصة وحرّض عبدالله باشا وأحقده على الشيخ عبدالله  
والشيخ حسين فأرسل الوالي يطلبهما اليه فذهب الشيخ حسين ليرى حالة  
الوالي فوجده مغتاضاً جداً من الشيخ عبدالله فعاد الشيخ حسين وأعلم  
الشيخ عبدالله بتهديد عبدالله باشا وغيظه فامتنع عن الذهاب الى عكا .  
فاعتقد الوالي برأي أسعد بك واستعان بالأمير بشير الشهابي وأتى بجمع

لبنان وعساكر الأيالة وفاجأ صانور فحاصرها ولم يكن فيها أحد سوى الشيخ عبدالله وبعض آل جرار وخدامهم ولم يتجاسر الشيخ حسين عبد الهادي ولا غيره من الشيوخ المجاورين على امداد صانور ولم يكن عند باقي جبل نابلس علم بالأمر فاضطر الشيخ عبدالله على التسليم فهدم "عبدالله باشا أسوار صانور التي بناها السلطانان ابراهيم آغا النمر ويوسف آغا الجرار ثم أسر الشيخ عبدالله وأخذه معه الى عكا ولا نخر بذلك له ولا لأمر لبنان لأن القلعة لم يكن فيها قوة دفاع ولم يدها أحد ولا يحق لمؤرخي لبنان المتأخر بمثل هذا الامر الخجل . وقد تعامى الشيخ عبدالله عن دسائس أسعد بك وأنكر تعده لمخالفته أحمد آغا النمر فاتهم الشيخ حسين عبد الهادي بأنه هو الذي أغراه بعدم التسليم ووعدته بالمساعدة ثم حرض الوالي عليه وامتنع عن مساعدته مع أن الواقع الصريح يخالفه فقد كان سبب فصل أسعد بك عن نابلس والمرسوم السابق يرى أن أسعد بك هو صاحب المكانة الحقيقية عند الوالي وقد ظن الشيخ حسين أنه بهذا الامر يوم البلاد بمكانته عند الوالي فأيد التهمة ونجحت دسيسة أسعد بك . وحقد آل جرار على آل عبد الهادي وأقسموا بأن لا يكفوا عن آل عبد الهادي إلا بعد هدم عرابية وقد توصلوا إلى ذلك بعد ثورة وحرب أهلية دامت نحو ثلاثين سنة فهدمت عرابية كما هدمت صانور وأخذ محمود بك عبد الهادي الى بيروت كما أخذ الشيخ عبدالله الى عكا وقد انقسم آل جرار على أنفسهم وفقدوا جميع ثروتهم وقبعوا في قراهم ونزل آل عبد الهادي في

(١) بعد فترة قليلة توسط احمد آغا النمر لدى الوالي ففك الشيخ عبد الله الذي أسرع ببناء اسوار صانور بناية عادية اضاع فيها ثروته وبعد بضع سنين ناز على ابراهيم باشا فحرب اسوارها ولم يبق اليوم الا بوابات وبقايا اسوار بسيطة ليس فيها من السور القديم شيء .

نابلس محتفظين بأموالهم فأقبلوا على الوظائف والمدارس فتقدموا تقديماً كبيراً . ولو أن آل جرار حققوا بالدسياسة ونفاهموا مع أحمد آغا النمر وظلوا على حلفهم مع آل النمر لاستغنوا عن خصومة آل عبد الهادي التي أنجها عناد الشيخ عبدالله وتسجع الشيخ حسين وسيظهر من الفصول الآتية ما جر على البلاد هدم صانور .

### عصيان أسعد بك

بعد أن هدم عبدالله باشا صانور شمش وتعالى وحيث أطاعه جميع امراء وشيوخ البلاد فقد أصبح في غنى عن خدمات أسعد بك طوقان فصار يزدرية عامداً فعصى فعزله وولى أحد مماليكه فثار أسعد بك وصار يبث الثورة وروح الفتنة في جبل نابلس جميعه فطلب عبدالله باشا من مصطفى بك طوقان متسلم نابلس القبض عليه <sup>(١)</sup> فرفض ولم يكثرث فعزله وأرسل عساكره مع مرسوم شديد الالهجة الى جميع شيوخ جبل نابلس يطلب القبض على أسعد بك .

### مرسوم عبدالله باشا لجبل نابلس

قدوة الأمثال والأقران مير ألي جبيل نابلس حالاً أحمد آغا النمر زهد قدره

بعد السلام التام بمزيد الإعزاز والاكرام المنهى اليكم طرق مسامعنا أن أسعد بك طوقان عصى وقرد وتجاسر على مخالفة الأوامر الشريفة والآن قد أشهرنا أمرنا وبرزت أوامرنا الشريفة الى افتخار المشايخ المكرمين محسوبينا الشيخ عبدالله الجرار والشيخ حسين عبد الهادي والشيخ قاسم الاحمد زهد قدرهم والى عساكرنا المنصورة بالتضييق على

(١) راجع مرسوم العزل والتولية في فصل المسلمية من باب الحكومة في الجزء الثاني .

المذكور ورمي القبض عليه وحضوره لهذا الطرف لأنه أيقظ الفتنة وعصى وعليه اقتضى اصدار مرسومنا هذا اليكم لتكونوا أنتم ومحسوبينا المشايخ المذكورين وعساكرنا يدا واحدة في رمي القبض على المذكور وحضوره لطرفنا واذا فعلتم كما أمرناكم فلكم من طرفنا رأي الله ورأي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ثم رأينا الوثيق على دمكم ومالككم وأملاككم وعلى من لاذبكم وما عاذ الله تعالى اذا وافقتم أسعد بك المذكور وخالفتم أوامرنا بحول الله تعالى يحل بكم الندم ولا تنجوا أينما توجهتم وتنهدم أجداركم وتنضبط أملاككم ونجعلكم عبرة لمن اعتبر المراد لتخيروا الى أنفسكم إما إطاعتكم والرأي إما تقبلوا لأنفسكم غير ذلك يحل بكم ما شرحناه وتندموا حيث لا ينفعكم الندم اعلموا ذلك .

السيد عبدالله

في غرة م سنة ١٢٤٧

والي صيدا وطرابلس ومتصرف ألية

القدس وغزة ويافة ونابلس وجنين حالاً

نمادی التوالی و ترمز مہل نابلس

نظراً للبغضاء الموجودة بين أسعد بك طوقان والشيخ عبدالله الجرار رأى أن يثير الفتنة فعين الشيخ عبدالله متسلماً على نابلس كي يساعد عساكره في القبض على أسعد بك الا أن شيئاً من هذا لم يكن لأن عصيان اسعد بك حول التهمة في هدم صانور عنه والصقت بالشيخ حسين وتحول آل جرار الى عداوة آل عبد الهادي بدلاً من آل طوقان ولم يساعد عساكر الباشا أحد فتمكن أسعد بك من الخروج

من جبل نابلس وتوجه الى جهات غزوة وبئر السبع يثيرها على الباشا .  
وأغاظ الباشا موقف الشيخ عبدالله فعزله عن نابلس وولى مكانه الشيخ  
محمد القاسم وقطع صلته بأحمد آغا النمر وكان الشيخ حسين عبدالمهادي  
يأمل أن يوليه متسلمية جينين او بني صعب فلم يوله شيئاً فحقد عليه .  
كان عبدالله باشا يعمل هذا كله تمهيداً لحكم البلاد بمالكيه كما  
كان يفعل سلفه وسيداه احمد باشا الجزار . ولما كانت على وشك عزل  
الشيخ محمد القاسم وتولية أحد مماليكه زحف ابراهيم باشا بجيشه على  
البلاد فانقلب يتوسل ويوصي بالحذر كما حصل لسلفه احمد باشا يوم جاء  
الفرنسيين فأعاد التاريخ نفسه ولكن الفرق بين الفرنسيين وابراهيم باشا  
كان واضحاً فان جبل نابلس الذي كان في غاية التدمير وعلى وشك  
الثورة انفق جميعه مع ابراهيم باشا القائد المشهور الذي أعلن بأنه آت  
لإخضاع عبدالله باشا ففرحت البلاد وعدت ذلك مخرجاً لها وإذ كان  
الشيخ حسين عبدالمهادي شيخ بلاد الشعراوية وهي طريق الجيش الى  
عكا فقد كان اول من اتصل به فتقدم اليه وانضم بجموعه الى جيشه .  
وبلغه اطاعة جبل نابلس له وترحيبهم به وانه اقنع الجميع بحسن  
نواياه فوثق به ابراهيم باشا وعمل برأيه كما سبقتين وبذلك تألق نجمه  
ونجم أسرته .

## الفصل الثاني

### الحكم المصري

محمد علي باشا و ابراهيم باشا

كان في الجيش العثماني الذي دخل مصر مع الصدر الأعظم يوسف باشا سنة ١٢١٦ هـ بعد خروج الافرنسيين كتيبة من آرناتو<sup>(١)</sup> ووط قوله بقيادة علي آغا ابن حاكمها وكان معه تابع ذكي اسمه محمد علي فلما رجع الجيش العثماني عاد علي آغا ومعه بعض رجاله وقد ترك باقيهم مع تابعه محمد علي المذكور فتراهم وتأخر في مصر واشترك مع مماليكها وتدخل مع اهلها فمما تقدم وصار يعتبر من رؤساء الجند وما زال يخرج الولي تلو الآخر الى ان اجتمع المصريون على طلب تعيينه والياً على مصر ووافقهم على ذلك السلطان فعرف بعد ذلك بمحمد علي باشا ونفرغ لشؤون مصر فأصلح ادارتها ومواردها وري نيلها فامتلات خزائنه بالاموال وتمكن من تنظيم جيش في البر واسطول في البحر ثم قضى على المماليك وفتح السودان وصار السلطان يكلفه بإخضاع البلاد العاصية فيرسل ولده ابراهيم باشا - الذي عد من اكبر قواد عصره - ليخضعها . ولما أخضع نجد ضمت اليه الحجاز ولما أخضع بلاد اليونان طمع بسوريا كمكافأة إلا ان خصمه الوزير الاعظم خسرو باشا حرمه من المكافأة رغم خسارته اسطوله في مياه اليونان فخذ محمد علي باشا على الدولة وصمم على أخذ سوريا بالقوة .

(١) يقال لهم الالبان وقوله تابعة لسلانيك من تراقية الغربية من بلاد الروملي .

## نمرس محمد علي باشا برالي ع

احتاج محمد علي باشا في إيجاد الجيش والاسطول واتحاد العصيان في نجد وكريد واليونان الى الاموال والرجال الكثيرين فأرهب المصريين بالضرائب وافقدهم عدداً كبيراً من ابنائهم فاضطر كثيرون منهم لاسيما اغنياء بلبيس على الرحيل من مصر الى سوريا فنزلوا في غزة ويافا ثم جاء اغنيائهم البلاسة الى نابلس<sup>(١)</sup> ونزلوا ضيوفاً على احمد آغا النمر فاوأم واسكنهم في دوره الى ان اشتروا دوراً سكنوها وحوانبت اشتغلوا فيها فشجع ذلك المصريين على الرحيل الى جنوب سوريا فطلب محمد علي باشا من عبدالله باشا والي الايالة منعهم وارجاعهم فرفض واجاب محمد علي باشا جواباً قاسياً فاتخذ محمد علي باشا هذا السبب ذريعة يتذرع بها للاستيلاء على سوريا وقد بلغه عدم رضا البلاد عن سياسة عبدالله باشا وكان اهالي البلاد لا سيما اهالي جبل القدس وجبل نابلس يتوقعون عدم رضا السلطان عن فصل البلدين عن ايالة الشام وتوقعوا إرسال جيش لتأديبه فلما دخل الجيش المصري قوبل بالترحيب واتصل به آل عبد الهادي فغيرت حالة البلاد كلياً .

## آل عبد الهادي

بعد اقضاء على التزالية ساد آل ابي بكر الصالح في الشعراوية الشرقية ونزلوا في عرابة<sup>(٢)</sup> وقد صار اكبرهم الشيخ عبد الهادي شيخاً عليها ولم يكن ذا اهمية كبيرة اذ كانت السيادة في الشمال جميعه لآل

(١) ومنهم الاسر الآتية : القمحاي ، والعش ، والقطب ، والعريزي ، وابو طيخ ، وابو العافية وعميرة ، وحجاب ، وغزالة ، والمصري البليبي ، وخميص ، وخشانة ، وقد نزل بعضهم كالعش وأبي العافية فيما بعد في يافا . (٢) ونزل آل حمدان — الذين منهم آل الطاهر — في يعبد .

جرار ولما مات الشيخ عبد الهادي اتى شيوخ القرى المجاورة للتغزية  
ومعهم التلابيس<sup>(١)</sup> حسب العادة الجارية بين العشائر في ذلك العهد وبدلا  
من ان يوزعها الشيخ حسين ولده الاكبر على افراد عشيرته وزعها على  
الشيوخ انفسهم فاستغربوا هذا العمل ولما سألوا الشيخ حسين عن ذلك  
قال ان والدي كان للجميع فيجب ان يشترك الجميع في تعازيه . فسر  
الشيوخ من هذا العمل وعلقوا آمالهم على الشيخ حسين واتقادوا له .  
ولما اصاب ال النمر ما اصابهم من موسى بك دعا احمد اغا النمر ليمضي  
دور النقاها في ضيافته فاحتفى به حفاوة كبيرة ولما وزع الاقطاع  
ساعده احمد اغا النمر مع المتسلم مصطفى اغا طوبجي باشي للحصول  
على اقطاع عرابه ثم زعامة ام الفحم وبذلك اصبحت ال عبد الهادي من  
الاسر الاقطاعية . ولما وقع الخلاف بين والي صيدا ووالي الشام وقبل  
جبل نابلس الاذعان للأول ذهب الشيخ حسين الى عكا وقدم مفاتيح  
بوابات عرابية اليه فتحت عرابية وهدمت صانور فظهر امره ورفع شيوخ  
البلاد وامراؤها وفضلوه على الشيخ عبدالله . ولما باع السلطان قصرهم  
الاقطاعي اشتراه الشيخ حسين ونزل في نابلس وصار يتدخل بالصغيرة  
والكبيرة ولقرب مقاطعته من والي عكا كثر ترده على عكا واصبح  
واسطة البلاد لدى واليها وكان يضمن قهر الشيخ عبدالله فاتفق مع ال  
القاسم على عزله عن متسلمية نابلس وساعده الشيخ محمد القاسم للحصول  
عليها . وكان الشيخ حسين يطمع بمتسلمية جينين ولما لم ينلها اقلب  
وحقق على عبدالله باشا وبمجرد وصول ابراهيم باشا الى فلسطين خرج

(١) هي ملابس تقدم كتغزية لأهل الميت وبعضهم يقدم غنا وخيلا — راجع فصل  
العادات من باب احوال المجتمع في الجزء الثاني .

الشيخ حسين برجاله فاستقبله وانضم اليه وأقنع آل القاسم وباقي المشايخ بالانفاق مع ابراهيم باشا فنجح وسر منه ابراهيم باشا وولاه مكان عبد الله باشا على ايلة صيدا وولى أخويه وولده وسائر أقاربه حكم البلاد ، فساد آل عبد الهادي في سوريا الجنوبية وأصبحوا أصحاب الكلمة النافذة طيلة الحكم المصري .

إلا أن محاولة آل عبد الهادي الاستئثار بكل شيء في البلاد ، ثم محاولتهم القضاء على جميع عشائر الأمراء والشيوخ ، أكسبهم عداوة جبل نابلس جميعه ، ولولا حكمة محمود بك أخ الشيخ حسين المذكور وتمكينه الصداقة وقدرته على التفاهم الدائم مع آل النمر لقضي على آل عبد الهادي جميعاً كما سيبين في الباب الآتي .

### آل القاسم

آل القاسم هم أعلى فروع بني غازية وهم شيوخ جماعين استغاد كبيرهم الشيخ قاسم الاحمد من الخلاف الذي وقع بين البيكات والأغوات في نابلس فنزل في بيت وزن وبني فيها قصرأ اقطاعياً ، ثم ساعد آل النمر ضد موسى بك . ولما وزع الاقطاع ساعده أحمد آغا النمر للحصول على أقطاع بيت وزن وجينصافوت ، ثم زعامة حواره ، وبمساعدة الشيخ حسين عبد الهادي حصل ولده على متسلمية نابلس من عبد الله باشا ثم حصل هو نفسه في الحكم المصري على متسلمية القدس ؛ إلا أن غضب آل عبد الهادي متسلمية نابلس منه ومن ولده أغاظه فثار في جبل القدس فغلب وتشرّد الى أن قبض عليه وقتل هو وولده ، فساد آل ريان الفرع الثاني من شيوخ جماعين واستولوا على جماعين

كلها ثم إلى متسلمية نابلس وطردها آل القاسم من جماعين ولولا نجدة آل النمر وقبولهم الصلح مع آل عبد الهادي لقضي عليهم ، إلا أنهم تدبروا أمرهم فاستردوا مكانتهم في جماعين ونابلس ومثلوا دوراً سياسياً مهماً في سياسة جبل نابلس بعد تشكيل المنصرفية كما سيتبين .

### مرسوم إبراهيم باشا إلى جبل نابلس

إلى عمدة النواب المتشرعين نايب أفندي الشرع الشريف بمدينة نابلس حالاً زيد فضله وعمدة العلما المحققين مفتي أفندي زيد علمه ومفخر السادات الأشراف قائمقام نقيب الأشراف أفندي زيد شرفه وعمدة المشايخ المعبرين الشيخ محمد ابن قاسم الأحمد وباقي المشايخ والوجوه بها حالاً تحيطون علماً أنه من حيث أنكم قدمتم لنا الإطاعة ودخلت بلادكم في حوزة حكومتنا فقد صار واجباً علينا حفظها وصيانتها واستجلاب راحة الأهالي ورفاهيتهم من كل وجه ومن كون أن محسوبنا الشيخ محمد بن قاسم تحقق لدينا صدق خدماته وحسن استقامته فقد أبقيناه بمدينة نابلس كما كان متسماً وبعهدته بلاد المشاريق التابعة اليها . وأما بلاد جبل نابلس جميعها فإننا أبقيناهما بعهدة مفاخر المشايخ : الشيخ محمود عبد الهادي ، والشيخ يوسف بن قاسم الأحمد ، والشيخ عبد الله الجرار ، والشيخ يوسف ، والشيخ عبد الوهاب الجبوسي يتعاطوا أمور الأحكام وجباية الأموال وإنصاف المظلوم من الظالم وروية دعاوى كافة الأهالي على نهج الشرع الشريف بإبطال الباطل وإحقاق الحق المستقيم وأداء الخدمات المرضية وصيانة الأموال الأميرية فيقضي أن كلاً منكم يعرفه متسماً من طرفنا ويقدم له مراسيم الطاعة . وأنت أيها الشيخ المتسلم قد أذنك مع باقي المشايخ إذا اقتضى إرادتنا راحة الأهالي والرعايا وتحصيل أسباب

رفاهيتهم ومنع وزجر المعتدين واستجلاب خير الدعا من الفقراء والمساكين  
وعمار البلاد وتأمين العباد وأن تصرفوا همتمكم وتبدلوا مجهودكم بإنفاذ  
إرادتنا وإجراء الأحكام بالعدالة والإنصاف وتلازموا الحق والاستقامة  
وتنحاشوا أسباب الجور والاعتساف فبناء على ذلك قد أصدرنا لكم  
مرسومنا هذا من صحراء حيفا لكي بوصوله وإطلاعكم على مضمونه  
تعملوا بموجبه وتنحاشوا مخالفته وتعتمدوه غاية الاعتماد .

الختم الكبير

في ١٥ ح سنة ١٢٤٧

### طمع آل عبد الهادي وبغاظة آل انقاسم

تولى الشيخ حسين عبد الهادي مديرية<sup>(١)</sup> إيالة صيدا وأصبح أخوه  
محمود بك متسلماً على يافا وولده الشيخ سليمان متسلماً على جينين ، وقد  
ضمت لآل القاسم متسلمية القدس ، فصار الشيخ قاسم الأحمد متسلماً  
على القدس ، وولده الشيخ محمد متسلماً على نابلس ومعه مشاريقها ،  
وولده الشيخ يوسف شيخاً على جماعين ، فقساوى الفريقان بالغنم تقريباً .  
إلا أن آل عبد الهادي كانوا يطعمون بمتسلمية نابلس لتوطيد مركزهم  
فيها ، فلجئوا الى حيلة للحصول على متسلمية نابلس إذ حصلوا على أمر  
بفتحية الشيخ قاسم الأحمد عن متسلمية القدس ونقل ولده الشيخ محمد  
مكانه . وبذلك شغرت متسلمية نابلس فتعين لها الشيخ سليمان ابن الشيخ  
حسين عبد الهادي .



(١) المدير هو والي وهذا اصطلاح مصري ما زال مستعملاً الى الان .

## مرسوم نخبة الشيخ قاسم القاسم وتعيين ولده

افتخار الأماجد الكرام ذو الاحترام أخينا العزيز الشيخ قاسم الأحمد نبدي لحضرتكم أنه بحسب تقدمكم بالسن ونظراً لشيخوختكم فعاد يلزم لكم الراحة والرفاهية وملازمة الدعوات الخيرية بدوام أيام دولت سعادة أفندينا ولي النعم الأعظم دام ما دام العالم ومن كون الولد سر أبيه فقد حولنا متسلمية سنجاق القدس الشريف لعهددة ولدكم الشيخ محمد القاسم ولذلك حررنا لكم طرسنا هذا لكي تحضروا وتسئقيوا في محلكم وتتعاطوا أسباب راحتكم وتداوموا تأدية الدعا بدوام هذه الدولة العادلة المصرية ما دام الدوام هذا ما لزم افادتكم .

٢٣ حـ سنة ٤٩ من حلب مير محمد شريف

كتخدای خدیو أعظم وحکمدار ایالات بر الشام

## دعوة آل القاسم شبوخ البلاد للشورة

لم تخف هذه اللعبة على آل القاسم فتميزوا غيظاً وصاروا يبتئون فكرة التمرد والعصيان ، فامتنعت البلاد عن دفع الضرائب وتقدم الجنود . وبعد رجوع الشيخ محمد القاسم من الحج وفي أوائل سنة ١٢٥٠ عقدوا اجتماعاً في بيت وزن حضره أكثر شبوخ البلاد الذين طفحت قلوبهم بالغیظ من ال عبد الهادي ، فحضره الشيخ عبد الله الجرار والشيخ عيسى البرقاوي ، والشيخ ناصر المنصور الحاج محمد ، والشيخ قاسم الاحمد ، وولده الشيخ محمد ، والشيخ يوسف ، وحضره ايضاً الشيخ عيسى القدومي فانفقوا على الشورة إلا الأخير فإنه نصحهم بعدم التورط مع إبراهيم باشا بحرب .

وكان بإمكان هؤلاء المشايخ أن يكتبوا لمحمد علي باشا وإبراهيم

باشا يعترضون على توسع آل عبد الهادي في الحكم واستغلال التفاهم والطاعة لهم وحدهم ، والراجح أن الأمر لا بد وأن يحل سلباً إلا أن الغيظ أعماهم فثاروا ونخسروا .

### مثل الثورة وقتلها

لما جاء ابراهيم باشا الى البلاد تأمر المشايخ على أحمد آغا النمر ، وأفهموا ابراهيم باشا بأن أحمد آغا هو معتمد عبد الله باشا والي عكا فخل ألاي السباهية وحرمه اقطاعه فاشغل بمناجره واعتزل السياسة ، ولما عقد الشيوخ اجتماعهم في بيت وزن وصمموا على الثورة نصحبهم بالكف عن ذلك فلم يلبثوا لقوله ، فأرسل<sup>(١)</sup> رساله لجميع عشائر جبل نابلس ينصحبهم بالهدوء وعدم الاشتراك بثورة المشايخ ، فقبلوا نصحه جميعاً واضطر المشايخ على إعلان العصيان والقيام بالثورة في جبل القدس . ولما بلغ ابراهيم باشا الخبر كتب لأبيه في مصر يستنجد<sup>(٢)</sup> وذهب بالآياته الى جبل القدس فضايقه الشوار وكاد يغلب لولاء وصول نجدة أبيه الذي نزل في يافا بثلاثة آلايات انضمت الى جيش ابراهيم باشا فضابق الشوار وكسرهم في موقعة قرية الدبر<sup>(٣)</sup> فشرد المشايخ وأتوا الى جبل نابلس .



(١) أما الشيخ ساجان عبد الهادي فقد خرج من نابلس الى عكا فاخبر اياه وبقي في عكا وكبلا عن أبيه الذي انضم بمجموعه لابراهيم باشا لاختاد الثورة (٢) أصبح جيش ابراهيم باشا مؤزعا في سوريا وكليكة التي اعطاها له السلطان بعد صالح توسطت فيه دول أوروبا (٣) تعرف اليوم بقرية العنب وهي غرب القدس وملك الى أبي غوش شيوخ اليمن سيف تلك الجهة .

### انقاز نابلس من غضب ابراهيم باشا

بلغ ابراهيم باشا أن المشايخ بعد واقعة الدير تحولوا الى نابلس لايقاد الثورة فيها ، فغضب ابراهيم باشا وأتى مسرعاً من جبل القدس الى بني صعب ، فقبض على الشيخ عيسى البرقاوي في شونة من وادي الشعير ، ثم التقي في قلب الوادي بجموع جرار فكسروهم وهربوا الى صانور فحاصروهم فيها وضربها بمدفعه واضطروهم على التسليم فأمر الشيخ عبد الله الجرار ، ثم حط على سيلة الظهر ونادى في جيشه بإباحة نابلس وهدمها في ظرف ثلاثة أيام .

ولما بلغ نابلس الخبر هرعته الى دهوان أحمد آغا النمر لايقناعه بضرورة الوفود على ابراهيم باشا ، فذكرهم بنقمة ابراهيم باشا عليه من حين دخوله وأنه ربما قتله بمجرد وصوله ، فقالوا له لأن تقتل هناك خير لك من أن ترى إباحة بلدك وهدمها فثارت نخوته ووفد على ابراهيم باشا وبمجرد تسليمه عليه قال له : لقد اتهمك أولئك الأشقياء بعداوتي فأظهر الله كيدهم فأنت خصم شريف وقد بلغني ما فعلت فانتعش أحمد آغا وقال له أنا لست عدواً لابراهيم باشا ولكنني صدقت السلطان والآن تشرفت لدعوة الباشا لضيافتي في نابلس . فلما سمع باسم نابلس ظهر على وجهه الغضب وقال لقد أبحث نابلس لجيشي لأنها آوت قاسم الأحمد وأولاده الأشقياء ولن أدخلها ما لم تحتر بسكة القدان ! فقال له أحمد آغا أنا أول من يهدم بيته بعد أن يتشرف بزيارتكم ونساء نابلس أخواتك ورجالها إخوانك فافعل بعرضك وأهلك ما تشاء ، فأطرق ابراهيم باشا ملياً ثم رفع رأسه وقال بشهامة : « هي لك يا أحمد آغا »

(١) حيث لم نقل من كلمات ابراهيم باشا إلا هذه الجملة فقد وضعها بين هلالين -

فسر<sup>١</sup> أحمد آغا بهذا الجواب ودعا له بالنصر والتوفيق ، وبعد أن انقضا على موعد الدخول لنابلس انصرف أحمد آغا ممتنا شاكرآ .

### إقدوم ابراهيم باشا لنابلس

كانت نابلس البلدة الوحيدة التي نجت من غضب ابراهيم باشا ، لأنه كان شديد الغضب قوي الإرادة ، فقد هدم في نجد : الوشم ، والجيللة ، والعينية ، وأجبر سكان الدرعية على هدمها بأيديهم ، وقد أحرق الكرك لأنها آوت قاسم الأحمد وأولاده ، وقطع أشجارها كما سيأتي ؛ إلا أن ابراهيم باشا كان يتصف بمزية عظيمة ، وهي أنه كان فروسيا نبيلآ يقدر النبل حق التقدير فقد اهتز قلبه من كلمة أحمد آغا النمر وقدر موقفه ونبله حق التقدير .

برجع أحمد آغا النمر الى نابلس أخبر القرى المجاورة للطريق بأن يخرج رجالها ونساؤها وأطفالها يستقبلون جيش ابراهيم باشا بالماء والزاد حسب الاصول المتبعة في ذلك العهد في استقبال الجيش الظافر . ولما وصل لنابلس بشر أهلها بما حصل وانفق مع وجهائها على خطة التسليم حين قدوم ابراهيم باشا لبلدهم . وفي الوقت المضروب وصل ابراهيم باشا الى وادي نابلس ونصب صيوانه في بستان البصة في الجهة المجاورة<sup>(١)</sup> لعين بيت الماء . ولما بلغ نابلس الخبر توجه وفد علمائها برئاسة الشيخ عبد الرحمن زيد القادري . وبعد وصولهم بقليل وصل وفد السباهية على الجياد العربية برئاسة أميرهم أحمد آغا النمر وحو لهم الخدم

— وكذلك كل ما نقل بعينه من الكلام ، وما لم يوضع بين قوسين هو كلام الرواة وعلى هذا النمط سرت بكتاتبي في هذا الكتاب كله .

(١) هي بجانب الطريق الشمالي العام في غرب الوادي .

والعبيد والاتباع . ولما دخل أحمد آغا النمر على ابراهيم باشا قام العلماء جميعاً وقبلوا يده <sup>(١)</sup> (حسب اتفاقهم) - وقدموه لابراهيم باشا قائلين هذا امير البلاد وأولئك المشايخ الاشقياء خارجون عن طاعته وليس لنا بلس بهم صلة وقد طردتهم وأخرجتهم فقال ابراهيم باشا لقد دل عليه شرفه ونبله وإخلاصه وكنت أبحث بلدكم لجيشي ثم وهبتها اليه فأنتم وبلدكم هبة مني لهذا الامير ، فشكروهما وانصرفوا جميعاً آمنين .

### بلاغ ابراهيم باشا عن الثورة

نفر المشايخ المكرمين محسوبنا الشيخ سليمان وكيل مدير ايالة صيدا حالاً

قبله بتاريخ ٧ الحاضر أرسلنا لكم شقة مفصلة بخصوص ما صار الى أشقيا جبل نابلس بقرية الدير والان بتاريخ يوم الثلاث الحاضر حضرنا بالاوردو المنصور الى مدينة نابلس ولدى حلول ركابنا السعيد بها الشقي قاسم الأحمد وأولاده وعياله انهزموا هاربين الى الشرق وحل بهم ما يستحقوه من التأديب وحالاً نضربنا بدلوهم ولأجل تبشيركم بختام مصلحة جبل نابلس حررنا لكم هذا ليكون معلومكم .

في ٩ راسنة ١٢٥٠

الختم  
سلام على ابراهيم

### بلاغ محمد علي باشا عن الثورة

نفر المشايخ المكرمين الشيخ سليمان عبد الهادي وكيل مدير ايالة صيدا حالاً:

(١) لقد كان العلماء فوق الأسراء في المرتبة ؛ إلا أنهم هذه المرة خالفوا العرف بمبالغة باحترام وتعظيم أحمد آغا لتنجح وساطته وشفاعته .

بمرسومنا المتقدم لكم قبل تاريخه يومين عرفناكم عن انتصار  
عساكرنا المنتصرة تحت لواء سعادة ولدنا السر عسكر المفخم على  
أشقياء نابلس في قرية الدير وعن تشتت جموع الأشقياء والآن بعض  
أهالي القرايا طلبوا الأمان وأرسلنا لكم صورة التحريرات الواردة  
من سعادة ولدنا المشار اليه بهذا الخصوص بتاريخه يوم الاربعة حادي  
عشر شهر ربيع الأول حضر لنا تحريرات ثانية من سعادة المشار  
اليه تتضمن حلول ركابه بالعساكر الظافرة في مدينة نابلس وأن  
الأشقياء قاسم الاحمد وعبدالله الجرار وعيسى البرقاوي وناصر المنصور  
بعد حرا به الدير ونشتت الجموع عنهم توجهوا الى نابلس ومن نابلس  
أخذوا أولادهم وفروا هارين وسعاده أوقع الأرصاد لرمي القبض عليهم  
في أي محل يوجدوا فيه وأن كافة مشايخ وأهالي قرايا نابلس أفواجاً  
أفواجاً يسترحمون الأمان والرأي واعطى لهم فاقنضى افادتكم بذلك  
وحيث من فضله انتهت هذه المصلحة على خير فبمشيئة الباري صممنا  
على العود الى الاسكندرية بهذين اليومين كما تقدم لكم التعريف يكون  
معلومكم والسلام .

في ١١ راسنة ٢٥٠ من يافا الاربعه  
الختم  
محمد علي

### مطالعة المشايخ وقلمهم

حينما علم الشيخ قاسم الاحمد بما حصل في نابلس خرج وولديه منها  
وبعد نزول جيش ابراهيم باشا في نابلس قبض على ناصر المنصور الحاج  
محمد وبلغه ان قاسم الاحمد قد نزل على العدوان في البلقاء فتبعه بجيشه  
( ٣٣ - ج ١ - تاريخ جبل نابلس والبلقاء )

وكسر العدوان وأنصارهم بني صخر وقبض على عقيدهم<sup>(١)</sup> الأمير دباب الحمود أمير العدوان بعد أن أظهر شجاعة فائقة وتخلص من التطويق ثلاث مرات فدهش ابراهيم باشا به وقدر شجاعته فلم يقتله بل اكتفى بسجنه في دمشق طيلة حكمه في سوريا .

ثم بلغه أن الشيخ قاسم الاحمد وأولاده قد ذهبوا الى الكرك فبعثهم وأحرق الكرك بسببهم وقد جاء في أحد كتبه عنها « وحرقنا مدينة الكرك بالنار وقطعنا أشجارها حتى لا يعود أحد يسكنها وكذلك القرايا التي في أطراف الكرك أعطيناهم تربيتهم » .

ثم ذهب الشيخ قاسم الأحمد وأولاده الى عرب عنزه فسلموهم لوالي الشام وقد قضى على باقي المشايخ الثائرين فقتلوا جميعاً في دمشق ونابلس وعكا . أما أولاد الشيخ قاسم الاحمد<sup>(٢)</sup> الصغار وهم محمود وعثمان وأحمد فقد أرسلوا الى مصر ونشأوا هناك في المدارس العسكرية ونالوا وظائف في الجيش والاسطول ، ولما عادوا لقبوا بالبيكات وكانوا يسمونهم أيتام الدولة ومنهم ال القاسم جميعاً وقد مثلوا دوراً مهماً في الحرب الاهلية ودور<sup>(٣)</sup> الانتقال كما سيأتي .

### نتائج الثورة

بدخول ابراهيم باشا سوريا استغنى جبل نابلس عن الثورة على عبدالله باشا وقد تركه ابراهيم باشا لشيوخه فأعطى آل عبد الهادي مديرية صيدا ومتسلمية يافا وأعطى آل القاسم متسلمية القدس فأصبح شيوخ جبل نابلس يحكمون سوريا الجنوبية كلها وساحل سوريا الأوسط

(١) العقيد عند البدو هو القائد (٢) وقد قتل ولداه الشيخ محمد والشيخ يوسف

(٣) راجع الباب الاول من الجزء الثالث .

إلا أنهم لم يتفقوا فيما بينهم لأن غلطة آل عبد الهادي أثارتهم وأغاظتهم  
فثاروا ثورة مشلولة فغلبوا ولم يتمكنوا من البقاء في جبل نابلس  
فاختفوا وتشتتوا فآلقي القبض عليهم الواحد تلو الآخر ثم قتلوا جميعاً  
بعد أن أفقدوا البلاد جانباً كبيراً من قوتها وضبط إبراهيم باشا أكثر  
سلاحها . وقد انحلت رابطتها بعد ذلك ووقعت فيها حرب أهلية طاحنة  
أفقدتها قوتها وعزتها فاستولت الدولة العثمانية على حكومة البلاد تدريجياً  
ثم دخلت البلاد في دور انحلال أفقدها ما بقي من منعتها ومزاياها كما  
سيظهر في الباب الآتي والجزء الثالث .

### إبراهيم باشا وأحمد آغا

بعد انتهاء الثورة عاد إبراهيم باشا إلى نابلس وصام فيها رمضان  
سنة ١٢٥٠ هـ فأخلى له أحمد آغا النمر القصر الكبير فنزل فيه هو  
وكتابه وخاصته . وقدم له ولده الأكبر عبد الفتاح آغا ليكون أول  
جندي من جنود البلاد فأدخله جيشه وأعززه ورفاهه إلى درجة ميرالاي  
وكان يقربه ويذاكره في كثير من الأمور فأطلعه على مسائل كثيرة  
تتعلق بالمسألة الشرقية وبعد خروج إبراهيم باشا قضى عبد الفتاح آغا  
عشرين سنة يعمل على جمع كلمة البلاد وتوجيه قوى أهلها للصالح  
والعمران وقضى على دسائس قناصل الدول .

وقد قدر إبراهيم باشا لأحمد آغا النمر موقفه وحكمته فأعاد إليه  
تيارته وأمارته وألايه وولاه شيخاً على نابلس وناحيتها وأصبح هو مرجع  
أهالي جبل نابلس في كل شيء وقد أضعف به حدة الشيخ سليمان  
عبد الهادي .

## الزلازل الكبير

حدث في سنة ١٢٣٩ هـ زلزال بسيط وحدث آخر في محرم سنة ١٢٤٦ هـ ثم حدث زلزال شديد في رمضان سنة ١٢٥٢ هـ فتهدمت نابلس وخرج سكانها<sup>(١)</sup> الى المغاور والكهوف بعد أن قتل وجرح منهم عدد كبير وكان أكثر الضرر في حارة الحبلية كما يظهر من استعداد أحمد آغا النمر في كتابه لولده عبد الفتاح افا سنة ١٢٥٣ لإعادة البناء حيث يقول «وأخذنا جانب من الشيدا تمانين كبار» فبدلنا هذا على هدم أكثر دوره وأملأه وقد ظلت نابلس مدة كبيرة تئن من هول هذا الزلزال وقد نقل أخباره شيوخ عصرنا عن شيوخ عصرهم فكانوا يصفونه مع الالم الى أن حدث الزلزال الاخير.

## مصرع الشيخ حسين

تحقق محمد علي باشا حين نزوله في بافا أن الشيوخ إنما ثاروا بسبب ما فعله آل عبد الهادي وقد رأى هو وولده أن نفوذ آل عبد الهادي نما وعظم فتحوفوا إلا أنها تجنبا القضاء عليها علناً لئلا تكرر الثورة. وقد ظهر تمرد الشيخ سليمان وصار لا يرعوي لاوامر ابراهيم باشا ولا يكثرث بها فكتب اليه يقول «فياهل ترايش منتظر فان كان نقول في عقلك انك ابن الشيخ حسين فنحن في المصلحة لا نعرف الشيخ حسين ولا ابنه وأما اذا كان تعتمد على حبننا فيه فأنت تبقى مغشوش في ذلك فنحن حبننا في الشيخ حسين لأجل صداقته في الخدمة فقط لأن لحمد الآن ما حصل منه سوا الصداقة ومن بعد الآن تبقى السبب في تبويض

(١) راجع الشعر المدني في فصل الشعر من باب اللغة من الجزء الثاني.

مع الشيخ حسين ومع ينتكم بأمله» وفي سنة ١٢٥٣ وبعد هذا الكتاب مات الشيخ حسين فشك الشيخ سليمان بسبب وفاته التي قيل عنها بالسلم فكتب يستفسر عن ذلك من ابراهيم باشا فأجابه بالكتاب الآتي: قدوة الامجد الشيخ سليمان صار معلومنا اعراضكم بخصوص وفاة الوالد والحال من المعلوم أن ذلك بأمر الله تعالى مقدر محتوم وكل منا داخلاً بعموم هذا القضاء المرسوم فلا يقضي تفكيركم في هذا البحث إذ جميعنا بندكان ولي النعم الخديوي الاعظم فالبقية بحياة دولته ونسأله تعالى دوام بقاءه وأعطاءه العمر الذي لا ينتهي لأن ذلك هناء العبد يكون معلومكم في ١٧ ب سنة ٥٣ من مصر الختم

### تمرد الشيخ سليمان ووفاته

عطف ابراهيم باشا على أبناء الشيخ حسين الصغار فخصص لهم راتباً وعين الشيخ سليمان وكيلاً لمديرية أباله صيدا مع بقاء متسلمية نابلس عليه فوكل فيها الشيخ طاهر الموسى العراقي وقصد ابراهيم باشا بذلك إبعاده عن نابلس وقد أحاطه بجواسيسه فاستمر الشيخ سليمان على تمرده وصار يخالف أوامر ابراهيم باشا علناً فكتب اليه سنة ١٢٥٤ هـ كتاباً جاء فيه «وما هذه الجسارة حتى تنصر لمخالفة أمرنا بادروا بإحضار المذكورين وإلا فبجيات رأس محمد علي العزيز ورأسنا الكريم ما تنتظر إلا وقد صدر أمرنا لواحد مير ألاي يتوجه يعدمك بالبلطة خنزير ما كفي بهذا المقدار حتى أنت تقف ضداً لأوامرنا» .

ولم يؤثر هذا في الشيخ سليمان بل استمر فنقل الجواسيس عنه بأن يمن بخدماته على ابراهيم باشا فكتب اليه في جمادى الاولى سنة ١٢٥٥

كتاباً جاء فيه «وتقولوا نحن خدمنا كثير ابن خدمتكم يا خنزير الله يلعنكم» فازداد الشيخ سليمان غيظاً حتى صار يحرض البلاد على عدم دفع الضرائب وقد سكت هو ووكيله عن أحمد آغا النمر حينما أعلن الحكم العثماني وقد بقي متسلماً لنابلس الى أن مات في أول سنة ١٢٥٧ هـ فدفن في الجهة الغربية من داره .

### اعلان الحكم العثماني

في سنة ١٢٥٥ هـ مات السلطان محمود وتولى مكانه ولده السلطان عبد المجيد فاتفق مع الدول الأوروبية على إخراج ابراهيم باشا من سوريا وقد أرضى دولة فرنسا فكفت عن معاضدته وفي سنة ١٢٥٦ هـ أعلن عزل ابراهيم باشا عن اذنه وعزل والده عن سوريا وأعلن إلحاق سوريا بملكه وصار يعين الحكام والامراء من قبله . وقد اعتمد في سوريا الجنوية على أحمد آغا النمر فعينه مير ألي على أربعة سناجق وهي القدس ، وغزة ، ونابلس ، واللاجون ( جينين ) وأرسل له ضابطين وعلماء وأوامر سلطانية بعزل محمد علي باشا وولده ابراهيم باشا واعلان الحكم العثماني . فلم يتردد أحمد آغا في قبول ذلك فجمع الاعيان والوجهاء والزعماء وأعلن ذلك رسمياً في بيته تنفيذاً وامثالاً لأوامر السلطان ودون مبالاة بابراهيم باشا وبدأ ينظم حكومة البلاد فباشير بالاية نابلس ولأنه متفق مع آل عبد الهادي الذين صاروا يرجون الخلاص من الحكم فلم يخبروا ابراهيم باشا .

### اجتماع دار القاضى

تخوفت نابلس من عاقبة اعلان عزل ابراهيم باشا فدعا القاضى الشيخ عبد الواحد الخماش الوجهاء والاعيان لبيته ودعوا أحمد آغا

لا إقناعه بالكف عن عمله وتأخير تنفيذ ارادة السلطان فحاول هو إقناعهم ولما لم يقنعوا تركهم وخرج وبعد خروجه كتبوا عريضة لابراهيم باشا يبينون فيها الواقع ويتصلون من عمل احمد اغا .

### عريضة وجهاء نابلس لابراهيم باشا

المعروض للأعتاب السنية السر عسكرية صانها رب البرية يعرض عبيدكم بخصوص احمد اغا حضر لعنده رجل يسمى المرعشلي من سباهية الاسلامبول<sup>(١)</sup> وعند حضوره أظهر الأفراح بضرب الفتاش في بيته في الليل وضرب البارود فيه ليلاً ونهاراً وبعد حضر لعنده ابراهيم أفندي جر نزجس جاويز سباهية الشام من الذين كانوا في الاستانة وبعد حضوره عمل جمعية في بيته من السباهية ووجوه حارته وبعض أناس من أنهم بعد جمعهم أظهر فرماناً وأعطاه لابراهيم أفندي المذكور وعند فتحه أمر بقيام الحاضرين وقرأه عليهم بالتركي وبعد قراءته عبره ابراهيم أفندي المذكور الى الحاضرين مشافهة ، ومعناه : أن أحمد اغا أنعمت عليه الدولة العلية بأن يكون مير الأياعلى أربعة سناجق وهي سنجق القدس ونابلس وغزة واللجون ، وبعد تلاوة الفرمان نشر البيروق في بيته وأمر أتباعه بضرب الشنك وعمل الأفراح بالآلات وصباح قراءة الفرمان أرسل وأحضر السباهية الى بيته وأعطى لكل شخص منهم بارودة ، وصار يعمل تعليم في كل يوم ، والذي يعلمهم ابراهيم أفندي المذكور . وصار أحمد اغا المذكور اذا ركب خارج المدينة أو ذهب الى الحمام يأمر أتباعه بحمل البارود ويمشيهم أمامه كترتيب النظام ، ولم يزل في كل يوم وليلة يعمل الشنك ، وإبراهيم أفندي المذكور أحضر معه قزيطات من الاستانة

(١) أي تحت الاسلام .

في الترتيب الذي حصل في الاستانة في مادة التكاليف التي زائدة عن الترتيب سواء كان ذلك طلب أموال أميرية أو نظام وفي كل وقت يأمر أحمد آغا المذكور ابراهيم أفندي المذكور بقراءتهم على الحاضرين عنده في بيته ويتفوه بكلام خارج ومخالف للإرادة العلية ومن كون ذلك وإظهار السلاح مخالف للإرادة الشريفة وعبيدكم محتشين من سطوة دولتكم نعم الجميع وجب علينا تقديم الاعراض لأعتاب دولتكم لأجل يحيط العلم الشريف أن هذه الأمور ما أحد من نابلس داخلاً وخارجاً موافق المذكور على هذه الأمور حتى ولا السباهية مطابقين على ذلك ولا يروحوا الى التعليم إلا رغباً عنهم لأنه في كل يوم يرسل أتباعه يحضروهم بانقهر الى عنده لأجل التعليم فيها نحن أعرضنا ذلك لأعتاب دولتكم والأمر لمن له الأمر .

في ١٥ ص سنة ٥٦

|                                     |                                 |      |
|-------------------------------------|---------------------------------|------|
| (١)                                 | بنده                            | بنده |
| أحمد أبو الهدي الخماش المفتي بنابلس | عبد الواحد الخماش النائب بنابلس |      |
| بنده                                | بنده                            |      |
| محمد مرتضى التقي بنابلس             | صلاح الباقاني خادم العلم الشريف |      |
| بنده                                | بنده                            |      |
| محمد الطيبي خادم العلم الشريف       | سليمان طوقان <sup>(٢)</sup>     |      |
| بنده                                | بنده                            |      |
| عبد الرحمن زيد القادري              | السيد محمد عبد الرحيم عرفات     |      |

(١) بنده اي عبدكم وهي كقولهم العبد الفقير حسب الاصطلاح المستعمل اذ ذاك .  
 (٢) مات اسعد بك وممطفي بك ولم يبق من البيكات الا سليمان بك طوقان هذا الشاب .

بُنده

السيد محمود يعيش

بُنده

السيد محمد الاثري الحق السيد بكر حماد

بُنده

بُنده

السيد مصطفى عاشور الخطيب

### اسر احمد آغا النمر ووفاته

بالرغم عن كل ما فعله ابراهيم باشا لأحمد آغا فانه ما يزال يلهمج بالثناء على آل عثمان وحكمهم وكان على اتصال تام بالسلطان ووزرائه وقد وردته كتب من الاستانة للفتك بابراهيم باشا حينما يكون في الحمام وهو ضيف في نابلس إلا أن أحمد آغا ابت شهامته ذلك فحفظها عنده . ولما وصلت عريضة وجهاء نابلس لابراهيم باشا أرسل ألياً قبض<sup>(١)</sup> على أحمد آغا . ولما عاتبه على عمله أبرز اليه الاوامر السلطانية القديمة والحديثة قائلاً كنت ولا أزال مخلصاً للسلطان ولم أطع الوزراء على الغدر بكم وانتم في ضيافتي ولكنني أطعت السلطان في اعلان حكمه على البلاد فاقلب غضب ابراهيم باشا الى دهشة وقال له اخلاصك يشفع بك واكتفى باعتقاله في عكا ثم أرسل الى مصر واستقر في سنار من بلدان السودان المصري حيث فقد بصره وضعف عصبه من شدة الحر وبهذه الحالة عاد الى نابلس سنة ١٢٥٧ بعد أن تم الصلح بين السلطان عبد المجيد ومحمد علي باشا فاعتزل الى أن توفي سنة ١٢٦١ فأعلن موته

(١) ولم يترك ولده عبد الفتاح آغا موقعي المضبطة فقد ضابق الشيخ عبد الواحد الخماش حتى فصل عن القضاء وترك نابلس ونزل في دمشق بضع سنين وقوى القضاء مكانه الشيخ سليمان الخالدي . وكذلك فانه تمكن إشكالياته من نفي سليمان بك طوقان الى طربزون انفي عشرة سنة وضابق غيرهما فنقل نقابة الاشراف من ال الحنبلي لال تفاحه فتأر لابيها ايما تأر .

رسمياً في الالوية الجنوبية وأرسلت التواصي للعناية بأسرته من بعده ،  
وهو آخر الامراء العسكريين النابلسيين إذ قبضت الحكومة مباشرة  
على ادارة الأمن والجيش في البلاد وهو آخر من خوطب من امراء  
آل النمر بالسلطان عرفياً .

### خروج ابراهيم باشا

أنذرت الدول الأوروبية محمد علي باشا بسحب جيشه وولده من  
سوريا وانه إذا لم يفعل احتلوا مصر فاضطر على سحب ولده وجيشه  
فثار لبنان وتخطفت الجند المصري أهالي البلاد ، إلا أن جبل نابلس  
أكرم مثواهم فقد استوطن الحاج درويش الموصلي أحد أطباء الجيش  
المصري في نابلس وله ذرية تعرف باسمه الى الان ، وقد احتفى ابراهيم  
بك اليوسف أحد قواد الهوارة بآل النمر فأكرموا مثواه . وفي  
شعبان سنة ١٢٥٦ هـ انتهى الحكم المصري وعاد الحكم العثماني .



# الباب السابع

عصر عبد الفتاح اغا

## الفصل الأول

رجوع الاتراك

الحاق نابلس بالقدس

بعد رجوع الاتراك غير التقسيم الاداري لجبل نابلس فجعل جميعه قائمقامية وصار يقال لحاكم جبل نابلس إذ ذاك قائمقام نابلس وجنين . وجعلت القدس متصرفية ألحقت بها السناجق الجنوبية غزة ويافا ونابلس والخليل . وألحقت القدس نفسها لآيالة الشام التي صار يطلق على واليها لقب (المشير) .

وبجعل جبل نابلس جميعه قائمقامية انحصر النزاع في كرسي واحد في الوقت الذي بلغت فيه عشائر الشيوخ كلها درجة الامارة وأصبحت كلها تطمح للحصول على كرسي المتسلمية وقد عين لألاي نابلس أمير غريب ففقد آل النمر الامارة العسكرية وأصبح من الراجح اشتراكهم بالنزاع الاداري . وكان متصرف القدس يساعد على هذا التنازع والتنافس ويقول القنصل فين ان أفنديات<sup>(١)</sup> القدس استغلوه ووسعوه أيضاً .

\*\*\*

---

(١) أفنديات القدس جمع أفندي هكذا كان يقال لوجهاء واعيان القدس لانهم يموت قضاء وافناء وتقباء يلقبون بالأفندي كما مر وكان يضرب المثل بكثرتهم .

## التعيينات والتقلبات

عين عبد الكريم آغا بن عبد الفتاح آغا النمر وكيلاً لامارة الألاي ونظراً لبلوغ والده عبد الفتاح آغا درجة ميرألاي في الجيش المصري فقد رأى نفسه فوق درجة القائمقامية فلم يشترك بالمنافسة على القائمقامية التي صارت مصيدة لامراء وشيوخ جبل نابلس كما سببتين فقصر عمله على اصلاح أحوال أسرته والعمل لإصلاح جبل نابلس والاحتفاظ بقرى الالتزام والإقطاع وبذلك انسحب آل النمر من المنافسة . ونظراً لعدم وجود كفاء في آل جرار ولعدم سكتناهم في نابلس فلم يتدخلوا وقد شغل آل القاسم بجماعين وبحاربة ريان فلم يبق معهم وقت للمنافسة فاتحصن النزاع بين البيكات ( طوقان ) وعبد الهادي . فبعد موت الشيخ سليمان عبد الهادي صار أخوه الشيخ محمد متسلماً على نابلس فحمود بك عبد الهادي ثم صارت نابلس وجنين قائمقامية يعين لها قائمقام لمدة ثلاث سنين و كان أول القائمقامين الشيخ محمد صادق <sup>(١)</sup> الريان . وعين سليمان بك طوقان باشمحصل <sup>(٢)</sup> لنابلس وجنين وبانتهاء الدورة سنة ١٢٥٩ هـ عين سليمان بك طوقان قائمقاماً لنابلس وجنين وعين محمود بك عبد الهادي باشمحصلاً . وبانتهاء الدورة سنة ١٢٦٢ هـ عين محمود بك عبد الهادي قائمقاماً وبانتهاء الدورة سنة ١٢٦٤ هـ عين سليمان بك طوقان . وفي سنة ١٢٦٦ هـ نزل سليمان بك طوقان ونفي الى طربزون لاشتراكه بالحرب الأهلية فحل محله محمود بك عبد الهادي وبانتهاء الدورة سنة ١٢٦٩ هـ عين علي بك طوقان . وبانتهاء الدورة في سنة ١٢٧٢ هـ عين محمود بك عبد الهادي ونظراً لاشتراكه بالحرب الأهلية

(١) هم من آل العثمان شيوخ جماعين . (٢) اي رئيس محصلين او مأمور تحصيل الاموال .

واشتدادها في عهده عزل في سنة ١٢٧٥ واعتقل وجعل جبل نابلس متصرفية تابعة لبيروت وعين لها متصرف اسمه ضيا بك<sup>(١)</sup> وبه انتهى الحكم الذاتي لجبل نابلس وبدأ الحكم الاجنبي والنفي الاقطاع وغير النظام الاداري جميعه كما سيظهر في الجزء الثالث .

### نزول القناصل ووسائلهم

منح السلطان عبد المجيد دولة فرنسا حق حماية المسيحيين في ممالكه خصوصاً في سوريا لقاء تخليها عن محمد علي باشا فأصبح قناصلها يتدخلون بالصغيرة والكبيرة في سوريا . وكذلك صار يفعل قناصل الدول الاخرى وأصبحت الدولة العثمانية دولة قناصل تعمل جهدها لارضائهم فاقترحوا فصل نابلس عن القدس لاعتقادهم أن أفنديات القدس هم أكبر عامل في توسيع النزاع فجعلت نابلس متصرفية ألحقت ببيروت كما مر .

وقد استمال الافرنسيون المسيحيين في الشرق وصارت أصابع فرنسا تلعب في كل جهة لإحداث الفتن ضد النصارى وتحركت الروسيا وادعت حق حماية الأماكن المقدسة وأعلنت الحرب على الدولة العثمانية فانحصرت لها فرنسا وبريطانيا ومردينيا وكسروا روسيا في شبه جزيرة القريم . وفي تلك الأثناء ساءت حالة سوريا وكثرت فيها الدسائس فحاول القناصل إيجاد فتنة في جبل نابلس فاطفأها عبد الفتاح اغا النمر ثم حاولوا ذلك في دمشق فنجحوا بعض النجاح وهجم الدروز على دمشق من ناحية حي الميدان فردم صالح آغا المهابيني أمير الميدان فتحولوا الى لبنان وذبجوا النصارى فحصلت حادثة سنة ١٢٦٠ المشهورة وقد ثارت أحياء دمشق فذبجت النصارى فتدخل الامير عبد القادر الجزائري<sup>(٢)</sup>

(١) أصله من مصر . (٢) هاجم الافرنسيون الجزائر في عهد نابليون الثالث —

والشيخ محمود حمزة فأوقفوا المجزرة بمساعدة صالح آغا وسليم آغا المهابني ثم احتلت فرنسا بيروت ولبنان ودمشق فأمرع فؤاد باشا الصدر الاعظم الى دمشق وأخذ الفتنة وأعدم مئة موظف ووجبه من مثيريها وأرضى القائد الافرنسي فانسحب .

### مزمع عبد الفتاح آغا وشهامة النصاري

في سنة ١٢٧٢ هـ وسنة ١٨٥٧ م نزل في نابلس سائح انكليزي ، فكث ثلاثين يوماً يدرس حالة البلد ويتجول في أطرافها ، وفي كل يوم يذهب الى السراية ومعه بعض الحراس من النصاري الوطنيين ولم يعرف أحد غرضه ولا سبب نزوله ، فحامت حوله الظنون وتحمس أخرس اسمه موسى المموز وهجم عليه وهو في طريقه الى السراية فرماه الحارس وقتله فلجأ السائح الى القائمقام في السراية ولجأ الحراس الى دور النصاري فثارت نابلس ، وخرج العلماء يصيحون : الله أكبر ! النصاري ذبحوا المسلمين . فهاجت نابلس وماجت وأرادوا ذبح السائح والحراس ، ففريق هاجم السراية ورابط فيها وفريق هاجم دور النصاري فخطموا أبوابها ونوافذها وقتلوا نصرايين اسمه سعيد قعوار ، وكان القائمقام محمود بك عبد الهادي فلم يقو على تهدئتهم .

وفي تلك الأثناء بلغ عبد الفتاح آغا النمر الخبر فاضطرب وكان ابراهيم باشا قد أطلعه على الشيء الكثير من نوايا الدول الأوروبية للشرق والدولة العثمانية ، فصاح برجاله : ضاعت البلاد وخرج بهم الى السراية فحذر الناس عاقبة قتل السائح وتعهد بدم المقتول ، فهدأ الناس ونفروا .

---

— أمبراطورهم فقاومهم هذا الأمر خمس عشرة سنة ثم اضطر على التسليم فأمر ثم أطلق ، فاختار سكني دمشق .

وأرسل السائح محروساً الى ميناء يافا وأخذ به أتباعه وصلاً من الباخرة التي نزل فيها متوجهاً نحو بلاده . وفي نفس الوقت الذي ذهب فيه الى السراي توجه عبد القادر آغا النمر وباقي شبان آل النمر ومعهم رجالهم بالسلاح فحاولوا دون قتل النصاري وردوا الناس عنهم وأتوا بهم محروسين الى دورهم وحبيهم وبقي فريق من رجال آل النمر يحرسون دورهم ، فتعهد عبد الفتاح آغا للنصاري بأن يدفع لهم ضعف ما خسروه وأن يحميهم ، وأخذ عليهم العهد بأن ينكروا كل شيء فيما لو سألهم قناصل الدول عما أصابهم .

وبعد أيام جاء قناصل فرنسا وانكلترا وروسيا وسردينيا ( ايطاليا ) وسألوا النصاري في نابلس عما حصل فأنكروا وقوع أي عدوان عليهم فعاد القناصل بخفي حنين .

## الفصل الثاني

### الحرب الأهلية

#### ملكه عبد الفتاح آغا النمر ومنزله

عبد الفتاح <sup>(١)</sup> آغا هو ابن أحمد آغا النمر المار الذكر ، وأمه الست يمن <sup>(٢)</sup> بنت حسن آغا النمر نشأ هادئاً رضيعاً مديراً ، فاشتد منذ نعومة أظفاره مع أبيه بتدارك شوون أسرته التي كانت على وشك الانقراض فعقدت عليه الآمال وقال فيه الشاعر النابلسي <sup>(٣)</sup> :

(١) هو جده مؤلف هذا الكتاب لأبيه . (٢) راجع ترجمتها في فصل النساء من الجزء الثاني . (٣) راجع الشعر المدني في فصل الشعر من الجزء الثاني .

أتى الأيام والأيام غضبي فأحدث في مباسمها افتقارا  
 بصهوة مهره طلب المعالي وقبل فظامه لبس الوقارا  
 وأصبح للعلی بطلاً كريماً فأولدها المحامد والفخارا

وبعد ثورة شيوخ جبل نابلس قدمه والده لـ إبراهيم باشا ليكون أول  
 جندي من جبل نابلس في جيشه فسكن به غيظه ، وقدر إبراهيم باشا عبد  
 الفلاح آغا فرقاه في جيشه الى أن بلغ درجة مير ألي وقربه وأطلعه  
 على كثير من أسرار السياسة العالمية ، فكان ذلك دافعاً له على اليقظة  
 الدائمة والاهتمام بعلاقات الدول الأوروبية والسهر على دسائس قناصلهم .  
 وبعد خروج إبراهيم باشا عاد لنابلس وكان أبوه أسيراً في السودان  
 فانتبه لشؤون أسرته فأصلحها ورسم ما تدعى من بنيانها ، ثم انفجرت  
 الحرب الأهلية بين جرار وعبد الهادي وبين القاسم وريان ، وكثرت  
 دسائس متصرفي القدس فاجتنب وظائف الحكومة ولم يسمع اليها ،  
 وأنفق عشرين سنة من عمره يحاول إصلاح المتحاربين والمتخاصمين فوفق  
 بعد جهد كبير الى نصرة أنصاره وخذل خصومه وقد عظم شأنه وعظمت  
 ثقة رجال الدولة به بعد حادثة النصارى ، فأصبح مرجعاً لجميع الشوئون  
 كما يظهر من الفقرات الآتية ، فقد جاء في كتاب الشيخ محمد السليمان  
 شيخ الجرادات اليه ما يأتي : « بلغنا أن الاخوان الكرام عائلة جرار  
 حضروا لطرفكم فالأموال من سنيكم الإفادة الشافية عن حضور المذكورين  
 وخلافهم للاطمئنان والأمل دائماً بذل المجهود وإشهاد الهمة بهذا المواد  
 وعدم السهو عن الترقبات بكامل الأمور حيث أن الحاضر يرى ما  
 لا يراه الغائب ، وجنابكم صرتم مقلدين بالجميع وغيرتكم على رؤوس  
 الأشهاد ومهما بدا من مكارب الوجوه فهو عايد على حضرتكم كذلك

من قبله توجه لطرفكم أحمد آغا<sup>(١)</sup> ومن يوم توجه لم حضر لنا من جنابه  
إفادة فالأمل نقيدونا عن كامل ما هو حادث بطرفكم « وجاءه في  
كتاب آخر موقع من شيوخ آل جرار وهم : قاسم آغا الداود ، وأحمد  
آغا اليوسف ، وإبراهيم آغا المحمد « والموجب لرقم أحرف المودة أنهو  
بلغنا أن سعادة أفندينا الوالي الموعظم قريب بوشرف محلنا طرف جنابكم  
فترغب من الخوة الصديقة حيث اجاز واحد واصالح واحد منا بلغكم  
الخبر الأكيد أفنديونا لأجل الافاذه بتقبيل أتك سعادتهم هاذه ما لزم  
افادتكم والله يحفظكم » . ولما عين علي بك طوقان كتب اليه متصرف  
القدس كتاباً جاء فيه « وحيث وان يكن محقق عندنا حدة الحال  
بينكم وبين علي بك المومي اليه الآن حيث أنوجدتم في نابلس من  
أرباب الكلام وذوي التعقل المقيدين في صداقة الدولة العلية الذين  
يرغبون دائماً المباحاة بخدمة الدولة العلية بالاستقامة فلما مول أن تكونوا  
مع علي بك المومي اليه يداً واحدة وقلباً واحداً لا يلزم لحيتكم مزيد  
الإشراف والتأكد بهذا الخصوص » . وما زال عبد الفتاح آغا يعمل  
على شل الحرب الأهلية حتى أصلح بين آل عبد الهادي وآل القاسم  
ونفى أكثر مشيريهما ، واحتفظ بصلته مع فريق من آل جرار فسارت  
الحرب الأهلية متناقلة ، ثم انحصرت في جهات محدودة الى أن قضى  
عليها . وقد أبقى عبد الفتاح آغا النمر قواه الخاصة للنجدة ولم يشترك  
اشتراكاً فعلياً . ورغم اتصاله واشتراك جموعه بأكثر المواقع فإنه لم  
يتدنس اسمه ولم يتورط بشيء من جرائرها وعلى الرغم من أن الانقسام وقع

(١) هو أحمد آغا ابن يوسف ابن الحاج أحمد آغا اليوسف الجرار .

بين أحلافه وأنصاره فقد وفق لا يتقاز جميع أنصاره والقضاء على بعض خصومه وإضعاف البعض الآخر ، ثم كاد له المتصرف ضيا بك ، ففاز عليه وضربه ضربة كان فيها العبرة لمن أتوا بعده من الحكام والروثاء الغرباء ، ثم التف أمراء وشيوخ البلاد حوله فصالحهم وأصلح بينهم ، فاجتازت البلاد دور<sup>(١)</sup> الانتقال بهدوء واستقرار .

### سبب الحرب الأهلية

اتهم الشيخ عبد الله الجرار الشيخ حسين عبد الهادي بتحريض الوالي على هدم صانور فحقد آل جرار على آل عبد الهادي . واشترك الشيخ عبد الله بالثورة على ابراهيم باشا وآل عبد الهادي فهدمت أسوار صانور وقتل الشيخ عبد الله ، فتضاعف حقد آل جرار على آل عبد الهادي ، وقد شار كهم بالنقمة والثأر أكثر عشائر البلاد التي قتل شيوخها بعد الثورة في الحكم المصري ، وبعد خروج ابراهيم باشا بدأ دور الثأر والانتقام ، وصار آل جرار يهاجمون آل عبد الهادي في الشمال . ووقع الخلاف بين آل ريان وآل القاسم ، ف وقعت الحرب بينهم في الجنوب . ولأن الشيخ عيسى البرقاوي والشيخ ناصر المنصور الحاج محمد أنصار البيكات قد قتلوا في الثورة ولأن الشيخ سليمان عبد الهادي ضابط البيكات في الحكم المصري ، فقد وقعت العداوة بين البيكات وآل عبد الهادي ، وقد عدا البيكات وقوع الانقسام بين أنصار آل النمر فرصة سانحة لا سيما بين جرار وعبد الهادي وبين القاسم وريان ، فاشتركوا بالحرب الأهلية وترأسوا خصوم آل عبد الهادي فانضم اليهم ريان وجرار .

(١) راجع هذا الدور في الجزء الثالث .

وكان آل النمر شديدي الحرص على إصلاح ذات بين آل جرار  
وآل عبد الهادي أصدقائهم ، فعمل عبد الفتاح آغا النمر جهده لتخفيف  
حدة الخلاف ، وانتصر لآل جرار ، فسعى بنفي الشيخ محمد الحسين ،  
وهوسف السليمان إلى طربزون ، ولما هرب الشيخ محمد الحسين من  
طربزون عاد يعمل لإبعاده ، فسلم أحمد آغا الجرار عرائضه وكتبه لعل  
بك طوقان ، فانقلب عبد الفتاح آغا وساعد آل عبد الهادي ، فانفتح  
باب الفتنة على مصراعيه ودارت رحى الحرب الأهلية الظاحنة في جميع  
نواحي جبل نابلس كما سيتبين .

### المعارك الأولى

هاجم البيكات (طوقان) بجمعهم آل عبد الهادي في الشعراوية  
الغربية ، فقاومهم آل عبد الهادي وأنصارهم المناطشة والجيايسة ف وقعت  
معركة زيتا الشعراوية التي غلب فيها البيكات وارتدوا على أعقابهم ،  
ولما بلغ سليمان بك طوقان الخبر وكان قائماً على نابلس أنجدهم وألقى  
بنفسه على بلاطة "زيتا" وأقسم بأنه لا يقوم ولا يتحول إلا غالباً أو  
مقتولاً ، فتحمست جموعه وكسرت جموع آل عبد الهادي ، وقتل  
عبد الله بك طوقان من المناطشة سبعة عشر رجلاً . وكانت جموع  
وادي الشعير الشمالي وقرى نابلس بقيادة الأحفاد تحاصر ذنابه ، فتحول  
البيكات لإيقادها ، ولما حاول مصطفى بك طوقان مهاجمة برقة ومضايقه  
الأحفاد قاومه سعيد آغا طوقان بجمعوه ، فارتدوا عن برقة ، وعاد  
الأحفاد إلى مهاجمة آل سيف في ذنابة .



(١) في صخور جوار زيتة تسمى بلاطة زيتا .

### اصطدام عبد الفتاح آغا سليمان بك

كان الأحفاد سوراً مانعاً يحول دون اتصال آل جرار بباقي صف طوقان ، فظل آل جرار في عزلة وظل آل عبد الهادي آمنين من غارة صف طوقان من الجهة الشرقية والجنوبية ، وكان آل أعمر في عنبنا ضد الجيتاوية ، فيجولون دون الغارة من وادي الشعير الأوسط . وكان آل النمر يمدون الأحفاد بمجموعهم الخاصة ولا يمكنون البيكات من مهاجمتهم فاغتاظ سليمان بك طوقان من آل النمر ، وكتب بصفته قائمقام نابلس الى متصرف القدس يتهم عبد الفتاح آغا النمر بتوسيع الشقة بين الأحفاد وآل سيف ، وأنه السبب في الحيلولة دون صلحهم ، فبدأت الشكايات بينهما .

### كتاب متصرف القدس لعبد الفتاح آغا

قدوة الأمثال والأقران عبد الفتاح آغا النمر  
إنه الآن بلغنا بأنه توقع مشاجرة بين أشخاص من حامولة دار سيف وبين حامولة الحفافة في وادي الشعير ولأجل ذلك ظهرت المباينة من بعض أطراف وصايرة الموافقة بالأسلحة تجاه بعض وقد استغربنا هذا المسموع لا سيما بلغنا أن المباينة اتصلت بكم ومن حيث معتقد عندنا حسن تعقلكم واستقامة صداقتكم للدولة العلية فبالوجوه لا يؤمل توقعوا ذاتكم تحت أدنا مسؤولية من الدولة العلية ومأثورنا أيضاً أن غرس الصداقة التي لكم للدولة العلية نشاهد ثمرته بملاشاة ساير المواد والأسباب الموجبة نزاع أحد من أفراد رعايا الدولة العلية داخلاً كان أو خارجاً فلذلك المأمول بحال وصوله اذا كان هذا المسموع صحيحاً حالاً تلاشوا مقدمات وأسباب المنازعات المودية لسلب راحة الأهالي إذ ذاك بالوجوه لا يوافق رضى الدولة العلية وتهتموا الآن تظهروا بهذا المعنى ثمة استقامتكم

وصداقتكم لنا ونفيدونا ونخبرونا لا يلزم لكم مزيد الاشراف بهذا الخصوص

متصرف قدس

في ١٩ ل سنة ٦٦

شريف

أدهم

### نفي البيطات الى طربزون

لم يكن عبد الفتاح آغا النمر يفكر بمناوأة البيكات لولا شكايتهم عليه . فلما وصله كتاب المتصرف ركب الى القدس ، وأخبره بمعارك البيكات في المغاريب ، فكتب المتصرف يخبر محمد رشدي باشا القبرصي والي الشام ، وكانت الحرب الأهلية في الخليل دائرة بشدة فحضر محمد رشدي باشا بجملة عسكرية الى متصرفية القدس وبعد التحقيق ثبت له هجوم البيكات على الشعراوية واشتراك سليمان بك القاتم بالذات فيها فقبض على سليمان بك طوقان ، وعبد الله بك طوقان ، ومصطفى بك طوقان ، والحاج ابراهيم البرقاوي ، والشيخ محمد الصادق الريان ونفاهم الى طربزون ، وحقق فيما بين آل عبد الهادي وآل جرار قبض على محمد أفندي الحسين وهوسف أفندي السليمان ، ونفاهم جميعاً الى طربزون<sup>(١)</sup> وظلوا فيها الى سنة ١٢٨٠ فتزوج بعضهم هناك وبعضهم هرب ، فعادت الحرب الأهلية وانفجرت مرة أخرى .

### الحرب بين القاسم وريان

انتقل آل ريان العثمان<sup>(٢)</sup> الى الجهة الغربية من جماعين ، وسكنوا في مجدل يابا ، ولما ثار آل القاسم على ابراهيم باشا ، لم يثوروا معهم ،

(١) هي مدينة في بلاد الكرج على ساحل البحر الاسود . (٢) راجع بحث بني غازي وعشائر الجنوب في فصل عشائر جبل نابلس .

وبعد الثورة أصبحوا شيوخاً على جماعين كلها ، ولما عاد محمود بك القاسم وأخويه أحمد بك وعثمان بك من مصر - بعد خروج إبراهيم باشا - طالبوا بحقوقهم في جماعين فأعيد لهم النصف الشرقي ، وبعد نفي الشيخ محمد الصادق الريان استولوا على جماعين كلها . ولما تعين علي بك طوقان قائماً لنابلس تمكن موسى آغا وسليمان آغا الريان بواسطة من رشوة متصرف القدس ببلغ سبعة وأربعين ألف قرش فأعاد لهم النصف الغربي من جماعين ، وأعطى النصف الشرقي لموظف من قبله ، وحرم آل القاسم منه . فثار آل القاسم وطرّدوا الموظف وهاجوا آل ريان في النصف الغربي ، ف وقعت الحرب بينهما .

### واقعة دير السنية وإنقاذ آل القاسم

أغاض متصرف القدس ما فعله آل القاسم بموظفه وبآل ريان فأمد هؤلاء الذين وعدوه بالقبض على آل القاسم وأنهم سيأتونه بهم صاغرين فتضابق آل القاسم واستنجدوا بعبد الفتاح آغا النمر ، فأمدهم بجمود على رأسها عبد القادر<sup>(١)</sup> آغا النمر ، فأدركهم وهم محصورون في دير سنية وهم في منتهى الضيق ، فألقدهم وأتى بهم إلى نابلس ، لأن جموعهم لا تستطيع مقاومة آل ريان الذين يمدّهم صف طوقان ومتصرف القدس فنزلوا ضيقاً على آل النمر في حبيهم الحيلة وبقوا فيها سنتين .

### صلح آل القاسم وآل عبد الهادي

استطاع عبد الفتاح آغا النمر إقناع آل القاسم بأن إبراهيم باشا هو الذي قتل الشيخ قاسم الأحمد وولديه وأنهم قتلوا في الشام ، وأن الشيخ حسين عبد الهادي وولده الشيخ سليمان قد ماتا ولم يعد لهما عند

(١) هو جد مؤلف هذا الكتاب لأمه .

آل عبد الهادي حق ، وهم اليوم جالون عن قراهم ، وإن ظلوا متفرقين ومتباغضين هم وآل عبد الهادي فسبقضى على الصف جميعه ، لأن قواه الخاصة لا تكفي لكف الأذى عنهم ، وكذلك أقنع آل عبد الهادي فتصالح الفريقان وناسوا ما بينهم من الأحقاد وانفقوا على العمل متحدين وكان ذلك حوالي سنة ١٢٧١ هـ .

### رموع محمد الحسين وغلظة أحمد اليوسف

هرب محمد أفندي الحسين من طربزون وصار يهاجم آل جرار ، واشتبك آل جرار مع الخفأة فوقعوا بين خصمين ولم يعد بمقدور البرقاوي وسيف مهاجمة الخفأة فاستنجد آل جرار بعبد الفتاح آغا ليساعدهم لدى متصرف القدس للقبض على محمد أفندي الحسين ، فأجدهم عبد الفتاح آغا وكتب لمتصرف القدس ولوالي الشام يطلب القبض على محمد أفندي الحسين ، وكلف آل جرار بالصالح مع آل عبد الهادي والخفأة وحذرهم من بذل أموالهم للحكام . فداخلهم الشك في نواياه واعتقدوا بيله لآل عبد الهادي . ولما ذهب علي بك طوقان قائمقام نابلس إذ ذاك الى جبع للبحث معهم بخصوص الخلاف الواقع بينهم وبين الأخفأة ، أطلعه أحمد آغا<sup>(١)</sup> اليوسف الجرار على صور العرائض والشكايات ومكاتيبه لهم ، فجاء بها علي بك الى نابلس وأطلع عليها القاضي والمفتي والنيق وسائر أعضاء المجلس<sup>(٢)</sup> ، فاتهموا أحمد آغا الجرار بتزويرها وضرقوها . وكان عبد الفتاح آغا في القدس يساعد آل جرار ، فكتب له عبد القادر

(١) أحمد آغا هو ابن يوسف ابن الحاج أحمد آغا اليوسف المارالذكر . (٢) تشكل بعد الحكم المصري مجلس اسمه مجلس الشورى سيأتي الكلام عليه في باب الحكومة من الجزء الثاني .

أغا النمر عما حصل وينبئه لآل جرار ، ويطلب منه حفظ كتبهم ،  
فأجلى هذا الكتاب السبب في انقسام آل جرار ووقوع العداوة بينهم  
وبين آل النمر ، وفيما يلي صورة الكتاب المذكور :

### كتاب عبد القادر آغا لعبد الفتاح آغا

سني المهمم الوالد الأنعم أفندم دام بقاءه  
بعد تقبيل أياديكم الكرام نعرض لحضرتكم بأنه تقدم أرسلنا  
لكم تعريف كافي عما توقع ثم تقدم قبله بيومين ثلاثة توجه علي بك  
إلى جبع لأجل إتمام مواد بيت جرار بمساعي أوادم الشعراوية واستقام  
ليلتين في جبع وحضر لهذا الطرف فظهر من اجتماعه مع أحمد اليوسف  
فكابين المذكور ناقل صورة الاعراضات حرقياً وعند اجتماعه في المذكور  
سلمهم إلى علي بك والمذكور عند حضوره أظهر ذلك في المجلس فانظروا  
لهذه الأفعال القبيحة الذين لم تقع إلا من الدموية<sup>(١)</sup> ، فبحسب ذلك  
ظهرت خيانة المذكور وهذا الذي حصل لا بأس به حيث انضح لنا  
أن المذكور لم هو أصحيح فأياكم إن كاتبكم تطلعو على سريرتكم  
بل تكونوا في غاية الخذر منه ولم هو لازم مناقضته بذلك بل تخلوه  
على عقله وعماه بخصوص كتبه الذين أرسلناهم لكم فتحفظوهم كونهم  
تحت ختمه ولا بد يلزم الأمر لهم وهذا ما حدث اعرضناه وأدام الله بقاءكم .

عبدكم

في ٤ ح سنة ٢٧١

عبد القادر النمر

ثم تقدم حررنا لكم صحيفة فرج من طلوع علي بك جبع بانها على

(١) أي الذين لم نأروهم وهذه الكلمة تعبر عن منتهى الغيظ والالام .

ثم تقدم حزننا لكم صعبة فرج من طلوع علي بك جبع بأنها على غير فائدة له منهم والحال نهار تاريخه ظهر لنا ذلك الشرح المحرر أعلاه وبسطه منه علي بك في المجلس فما صدقنا ذلك حتا أننا أرسلنا الشيخ سفيان لحضرة الوالد تقيب أفندي بخاوبنا بصحة ذلك فالمراد تكونوا على بصيرة من أحمد ومن قاسم لأن الاثنين في غاية النباله<sup>(١)</sup> ودام بقاكم والمكتيب الذين كنا خاطبنا بها المذكورين فسلمهم الى علي بك ،  
الختم يكون معلومكم ذلك .

ياسبيل الستر عبد القادر النمر

### الحرب بين آل جرار والموقف الحاسم

كان عبد الفتاح آغا النمر يأمل أن يتوفق للصالح بين آل جرار وآل عبد الهادي كما توفق للصالح بين آل القاسم وآل عبد الهادي ، ولما حدثت هذه الحادثة وتأكد محاولة أحمد آغا اليوسف توريطه قطع صلته بآل جرار وسند آل عبد الهادي ، فتبدل الموقف بالسلبية ، وقد كان لهذه الحادثة أثرها في جبل نابلس ولماوا ال جرار فانقسموا على أنفسهم ففرق منهم مع أحمد آغا اليوسف وفرق عليه ، ثم اتسع الخلاف فأدى الى استعمال السلاح والحرب بين الفريقين ، فاستنجد فريق بآل عبد الهادي وال النمر ، وفريق بآل طوقان والبرقاوي ، ودخلت المسألة في دور حاسم .



(١) أي التبلون .

## نصرع صف طوقان (اليمين) ونمزمه

بانتقام آل جرار ضعف صف طوقان في الشمال وكان ال منصور الحاج محمد قد تخاضعوا مع بني شمسه ف وقعت بينهم دماء اضطرت ال منصور الحاج محمد بعدها الى الجلاء عن بيتنا وظلوا مع البيكات ( طوقان ) ضد ال عبد الهادي . ولأن سعيد آغا طوقان نشأ بين الحفاة في الناقورة اقطاع ابيه اسماعيل<sup>(١)</sup> آغا طوقان فقد انتصر للحفاة ضد البيكات وقاومهم من اجلهم وقد انضوى تحت لوائه فريق من نابلس في الاحياء الغربية ومن بورين وحره وكفر قليل وانضم اليهم بنو شمسة وحمايل غقربا من انصار البيكات الذين خجلوا من الانضمام لصف النمر رأساً فكانت هذه الضربة خسارة كبيرة وتصدع كبير في صف طوقان . وكان ال عبد الهادي والخماش وزيد والجوهري كونوا كتلة في الاحياء الغربية فانشلت واضطر علي بك على لزوم بيته لفقدانه القوة الخاصة ولعدم قدرته على قيادة صفه وبذلك اصبح صف طوقان ( البيكات ) كتلاً متفرقة بلا رئاسة عامة كما يلي :

البرقاوي - ومعهم الثلث الغربي من وادي الشعير وينضم اليهم الجيتاوية في غبتا وبعض وادي الشعير الاوسط وكانوا جميعاً يسرون مع جموع البيكات الخاصة ، وبعدني البيكات الى طربزون اصبحوا ينضمون الى جموع ريان ؛

ريان - ومعهم النصف الغربي من ناحية جماعين وال فارس في مرذا وال غمرة في سلفيت والنزال والشريم وداود في قلقيلية والمصاروة في

(١) راجع عرف الصفوف في باب الامارة من الجزء الثاني . (٢) هو اسماعيل آغا ابن عبد الله آغا ابن اسماعيل آغا ابن احمد آغا ابن ابراهيم آغا جريجي طوقان المار الذكرو ، اصبح لهم اقطاع الناقورة بعد تنظيم الاقطاع سنة ١٢٤٢ هـ .

الطيبة ، وكان قائد الجميع الشيخ الحفص من آل شايب الفارس وينضم اليه آل قمير في كفر قدوم ؛

جرار - ( اليمن ) ولهم نصف بلاد حارثه ثماني عشرة قرية من جبع الى طوباس وينضم اليهم الرشيدات في صير والجرادات في السيلة الحارثية والصورة في دير الغصون وقفه في عنزة وبعض عشائر في الشعراويتين والصوافنة في طوباس وكل طلوزة عدا الدبابسة ، ونصفي ياصيد وطمون ، وكان مركزهم جبع ومعهم من آل جرار سكان برقين وميثلون ؛  
آل منصور الحاج محمد - نزلوا في تلفيت وجالود والمغيرة وقصرة وانضمت اليهم بعض عشائر الفلاحين ، وكانوا يتعاونون مع بدو الغور المجاورين لهم من المساعيد وعباد ، وكان عقيدهم الشيخ خليل الناصر ومركزهم جالود وتلفيت ؛

البدو - وهم الصقر ، وعباد ، والهنادي ، والمساعيد ، وابو كشك (١) .

### استرداد نصف النمر ( النيس ) وتغلبه

كان عبد الفتاح اذا النمر في حيرة حينما نشبت الحرب الاهلية لان صلة آل النمر بال جرار وآل عبد الهادي اصبحت متساوية وقد شق عليه ما وقع بينهما فلم ينصر فريقاً على الاخر ولم يمهده وبذلك تخرج موقف آل عبد الهادي ، وغلب آل القاسم واضطر عبد الفتاح اذا النمر على الاستنجاد بقوة والي الشام فأتى رشدي باشا القبرصي بجعلته وقبض على مثيري الحرب ونفاهم الى طربزون . ثم هرب محمد افندي الحسين فعاد

(١) أصلهم من مصر و كانوا ينضمون لابي غوش في جبل القدس وفي بعض الاحيان ينضمون لصف طوقان في جبل نابلس ويقول القنصل فين انهم رغم قلة عددهم استطاعوا ان يجعلوا لهم أهمية في هذه الحرب .

عبد الفتاح اغا يطلب القبض عليه ، ويعرض على ال جرار وال عبد الهادي الصفح . ولما سلم احمد اغا اليوسف كتبه لعل بك طوقان تغير الموقف وترك عبد الفتاح اغا ال جرار ونصر ال عبد الهادي وذهب التردد وحل محله الحزم وكانت قوى ال النمر متوفرة ولعدم وجود قوة خاصة ورئاسة لصف اليمن ( طوقان ) فقد نجت نابلس من الحرب في شوارعها وتحولت قوة القيس ( النمر ) الخاصة للنجدة وبقي عبد الفتاح آغا في نابلس يدير حركة الصف كلها في الجهات الاربع وولى قيادة القوة الخاصة لابن عمه عبد القادر اغا النمر وقد ابقاه وقواه للنجدة ونظم قوى صف القيس وهي الآتية :

الجرود الخاصة : ( ا ) حارة الحبلية : وفيها مائة عشيرة وفدائية ال النمر واتباعهم وسباهيتهم وتقدر جرودها اذ ذلك بألف بوارى يكونون تحت الراية في ساعة واحدة حالما يقرع الطبل ؛

( ب ) المشاريق : وفيها الدويكات في بلاطة وعسكر وروجيب وبيته وفيها كنعان العامر في كفر قليل ، وفيها جميع اهالي عورتا ما عدا الشراية ، وفيها الخموس في حوارة ؛

( ج ) جورة عمرة : وفيها الشنبوات في كفر قدوم وجبارة في قرية حجة وبعض عشائر في تل وصرة وبورين ؛

( د ) القرى الشمالية : وهي جميع عصيرة والدبابسة في طلوزة والضراغمة في طوباس ونصف طمون وباصيد ؛

( هـ ) القرى الغربية — وهي : زواته ، وبيت ايبا ، وبيت وزن ، ودير شرف ، وبعض رفيديا ؛

ال عبد الهادي — ومعهم الشعراويتان الشرقية والغربية وعدد قراها خمس

واربعون قرية وينضم اليهم الزيود في السيلة الحارثية وال  
الطاهر في يعبد والمناطشة في قاقون ؛

الجيايسة - ولهم الاربع والعشرون قرية المعروفة ببني صعب ، وينضم  
اليهم ال رضوان في عزون وزيد في قلقيلية وكانت تنضم اليهم  
بعض عشائر الجنوب في بعض الاحيان كجبارة ومن ينضم اليها ؛  
الاغا طوقان - ومعهم بعض الاسر في احياء نابلس الغربية ، وبنو شمسة  
في بيتا وحمايل عقربا وال منصور في كفر قليل وبعض بورين .  
وكان هذا الفريق بقيادة سعيد اغا طوقان ينتصر للحفاة  
مستقلا لاسما في الدور<sup>(١)</sup> الاول ؛

الاحفاة - ولهم الثلث الشرقي من وادي الشعير وينضم اليهم ال اعمر في  
عنبتا وانصارهم في وادي الشعير الأوسط . وكانوا حاجزاً بين ال  
جرار وانصارهم من صف اليمين وهم كتلة قوية مخلصه ؛  
ال القاسم - كانت معهم جماعين الشرقية وفيها اثنتا وعشرون قرية وكانت  
تنضم اليهم حامولة خلف في رنتيس اقوى عشائر جماعين الغربية  
وكان ال ريان يقولون « متى فككت خلف بند العباء بتنا آمنين »  
أي متى استراحت خلف وتركت الاستعداد للحرب كانوا  
يطمئنون ؛

ال احمد الحاج محمد - ومر كزهم بيت فوريك ، وينضم اليهم ال عبد  
الجليل الكنعان الحاج محمد في بيت دجن وجوريش ، وينضم  
اليهم ال سعادة الحاج محمد والا يوم في قريوت ، وعشائر

(١) ألحق علي بك طوقان بسعيد اغا طوقان تهمة قتل مباشر الحكومة فقبض عليه  
وسجن الى ان مات فلم يشترك في الدور الثاني فظهر اخوه داود اغا .

الفلاحين في القرى المجاورة ، وتمتد من جبل القدس الى وادي الباران ، وكانوا في اكثر الاحيان ينضمون لجرود آل النمر الخاصة ، وكان شيخهم صباح الصبيح بن احمد الجابر الحاج محمد ؛

جرار ( القيس ) - مركزهم صانور ولهم نصف بلاد حارثة الشمالية من بيت ياروب - على طريق جينين - الى بيسان ، وكانت معهم جينين وبيسان ؛

البدو - وهم العدوان واحلافهم الصخر والفريجات <sup>(١)</sup> ثم ( الغزاوية ) التياها . وكانت هذه الاقسام تنقسم الى اقسام فرعية متعادية ليس بالوسع تعدادها لكثرتها وصعوبة تقسيمها .

### سير الحرب في دورها الأخير

خلص آل النمر من ترددهم بين جرار وعبد الهادي ، وصمموا على إنهاء الحرب الأهلية ونصرة أنصارهم في جميع النواحي ، فسارت الحرب في دورها الأخير سيراً شديداً حاسماً وقد سميت صفوفها في كل جهة خلاف الأخرى ؛ ففي الشمال عرف الصفان بصفي جرار وعبد الهادي وفي وادي الشعير والمغاريب عرفا بصفي عبد الهادي وطوقان ، وفي الجنوب عرفا بصفي قاسم وريان ، وفي الشرق عرفا بالقيس واليمن ، وفي الخارج عرفا بصفي طوقان والنمر كما يقول القنصل الميسوفين الافرنسي في تقريره فقد ذكر فيه : « إن جبل نابلس في الحرب الأهلية كان يقسم الى صفين ، وهما صف طوقان وأنصاره أولاد البرقاوي ولهم ثلث وادي

(١) هم عشيرة قوية كبيرة في جبل عجلون ظهر امرهم بعد ضعف بني هاني في اواخر القرن الثاني عشر .

الشعير ؛ وآل ريان ولم نصف جماعين وفيها اثنتا عشرون قرية ؛ وآل جرار ومعهم نصف بلاد حارثة ، ونصفها الآخر مع الفرقي الآخر . وصف النمر وقواده آل عبد الهادي ومعهم الشعراويتان ؛ والقاسم ومعهم جماعين الشرقي وفيه اثنا عشرون قرية ؛ وآل الجيوسي ومعهم بنو صعب بقرابها الأربع « اه كلام القنصل .

وكان المتحاربون يسرون بحسب عرف الصفوف<sup>(١)</sup> القديم ويتجنبون الغدر والكيد ، فيجترمون الأسرى فإذا ظفر فربق بأسرى من فربق آخر حلقوا لهم وكسومهم وأرجعهم الى أهلهم ، وكانوا يتجنبون أذى النساء والأولاد والضعفاء ، وهذا من عرف الفروسية الاقطاعي العشائري الآتي ذكره .

### انقاذ برقة

أصبح الحفاة هدفاً لصف اليمن جميعه ، لأنهم كانوا يحولون دون انصالهم بجرار ، وكان ينجدهم سعيد آغا طوقان ثم عبد الفتاح آغا النمر ، وبعد فوز ريان على آل القاسم توجهت جموع جماعين ووادي الشعير بقيادة الشيخ الحفش المرادوي وحاصروا برقة ، فلم يبال بهم الحفاة ، فكان شيوخهم<sup>(٢)</sup> يشجعون شبانهم قائلين : « يا شبان الهوش الهوش هادا الحفش ما منوش » فثبتوا الى أن وصلتهم النجدة من آل النمر عن طريق ياصيد ، فارتد عنهم الحفش خائباً ، وبعد هذه المعركة دارت الدائرة على صف اليمن .



(١) راجع عرف الصفوف في باب الامارة من الجزء الثاني . (٢) كانت شيوخ الحفاة في هذا العهد المشايخ اساميل اليوسف ، ومحمد السارة ، واحمد الكايد .

### الفضاء على ريان

انتش آل عبد الهادي بانقسام آل جرار وزال الخطر عنهم ، فأصبح بإمكان صف القيس إمداد آل القاسم فأمدهم بجمع هاجمت ريان من الغرب والشرق في سنة ١٢٧٢ هـ وطوقته فأحرقت له سبع قرى وهدمتها ونهبت الخمس عشرة قرية الباقية ونجا آل ريان والخفش وأنصارهم بأنفسهم إلى نابلس فظلوا فيها مدة كبيرة ثم عادوا إلى مجدهم ضعفاء لا حول لهم ولا قوة ، وقد ساد آل القاسم في جماعين كلها ، وأصبح لهم شأن كبير في حكومة نابلس ، لا سيما بعد أن صارت نابلس متصرفية .

### نهب سلفيت

انقم اليمن في المشارق لريان فاستنجد قائدهم الشيخ خليل الناصر بالأمر بركات المسعودي ، فأنجده بجموعه وجموع من أحلافه العبايد (عباد) ، وانضم اليهم الشيخ محمود أبو الرزق<sup>(١)</sup> سحويل شيخ بني زيد

(١) كانت عشائر جبل القدس الجنوبية مرتبطة بجبل نابلس حزبياً وكان رجل من بني زيد إحدى تلك العشائر قتل فتيلاً من عشيرة أخرى فأطلب عند آل النمر وطلب أن ينزل في قرية صرطة فبنوا له داراً هناك ، وكان أحد شيوخ جماعين عقد على ابنة هذا الطنيب قسراً ودون أن يمكن أباهما من مشاورة أهله وشيخه ، فغضب بنو زيد وهجموا على صرطة بقيادة شيخهم الشيخ عبد القادر البرغوثي وأخذوا الطنيب وبنته ، فاعتاظ آل النمر من هذا العمل الذي هتك حرمة الطنابة ، وكان محمد آغا النمر متسلماً على القدس فعزل الشيخ عبد الجبار وقاضاه حرمة الطنابة وولى مكانه الشيخ رباح البرغوثي ، وفي عهد إبراهيم باشا قتل الشيخ عبد الجبار بدسيسة من الشيخ رباح وآل القاسم ، ف وقعت الفتنة بين البراغثة ، فتركهم بنو زيد وولوا عليهم شيخاً من آل سحويل ، ولما ساد محمود بك القاسم في جماعين غضب على الشيخ محمود أبو الرزق سحويل شيخ بني زيد ، فسجنه وأهانته وترقب هذا الفرص فلما هاجم خليل الناصر جماعين اشترك معه بنهب سلفيت وبعد ردهم ذهب -

في جبل القدس فهاجموا جماعين الشرقية ونهبوا سلفيت فردهم عثمان بك القاسم بقوة من حكومة القدس التي كان مدير الأمن فيها .

### تسريد اليمن الى البلقاء

تحولت جموع اليمن عن جماعين وأخذت تسوم القيس في المشاريق ونضايقتهم ولما حاصروا عورتا استنجدت بعبد الفتاح اغا النمر في نابلس فأنجدهم بجروده الخاصة بقيادة عبد القادر اغا وانضمت اليهم باقي جرود المشاريق من ال الحاج محمد وجورة عمرة وجماعين ، فكسروا جموع اليمن وفروا هاربين الى البلقاء التي ظلوا فيها نحو سنتين وهدم عبد القادر اغا النمر مضافات صف اليمن حتى حدود القدس دلالة على كسرهم .

### استنجاد اليمن بالصقر

بعد القضاء على ريان وعلى اليمن في المشاريق تجمعت فلول الصف جميعها سنة ١٢٧٤ هـ في الشمال عند ال جرار اليمن ، وإذ لم يبق لهم في نواحي جبل نابلس جميعها منجد استنجدوا بأحلافهم وأنصارهم من البدو ، فأنجدهم الشيخ رباح السعيد شيخ الصقر بعربه وأحلافه من الهادي والعبايد ( عباد ) وانضمت اليهم جموع جرار ( اليمن ) ، وفلول صفهم في سائر الجهات ، فكونوا جيشاً كبيراً صاروا يهاجمون به صف القيس في جميع الجهات فحصلت معارك قوية فاصلة .



— عثمان بك القاسم وجمعه الحواترة والزبكية شيوخ المزارع الى متصرف القدس ، وغرلوا الشيخ محمود ابو الرزق مسجول من مشيخة بني زيد ولوا الشيخ صالح العبد الحامير البرغوثي فعادت المشيخة للبراغثة .

### هراة بيت ياروب والدير

التجّهت جموع اليمن من بدو وقرويين نحو صانور فلاقتهم جموع القيس بقيادة أبو العوف المفلح الجرار عقيد ال جرار القيس والبطل المشهور إذ ذاك فردهم عن صانور تحت بيت ياروب ، وبلغهم أن الصوّرة في أشد الضيق من جموع ال عبد الهادي ، فتوجهوا نحو دير الفصون لائتقاؤهم وتكاثرت جموع اليمن في تلك المعركة فغلب ال عبد الهادي وذبح من جموعهم عدد كبير ، فارتدوا عن الصوّرة ونفروا إلى قراهم وتوجهت جموع الصقر نحو وادي الشعير .

وبينما كان أبو العوف جرار عائداً من دير الفصون بعد الواقعة مسربلاً بالسلاح خرج عليه كمين من اليمن فقطعوه إرباً ، وكان قتله خسارة كبرى لصانور فلبست عليه السواد وقال شاعرها :  
يوم الدير يا يوم السوادي      طلعت البيض غاشين سوادي

### إبله الشتويات

كان الشيخ حمدان العودة شيخ عشيرة قير في كفر قدوم في قلب صفه ريان من الجنوب والبرقاوي من الشمال ، فضايق الشتويات وقتل شيخهم اخليف ، ولما قضي على ريان وضعف الصف كله نهض الشتويات للثأر والانتقام فضايقوه مضايقة كبيرة ، ولما بلغه خبر نجدة الصقر لصفه وانتصار صفه ، استنجد فأنجدوه ، فضايق الشتويات الذين أبلوا بالدفاع وقتلوا من الصقر عدداً كبيراً فملئوا منهم الابار ، إلا أن مشغولية صف القيس بما هو أعظم وتخوفهم من غارة البدو على نابلس حملهم على عدم إمدادهم ، فاضطروا على قبول الجلاء عن كفر قدوم<sup>(١)</sup> بعد أن قتل منهم أربعة عشر رجلاً .

(١) فنزل منهم الجدة والعسلية وأبو العدس وظلمطو في نابلس ، ونزل آل أبي السعود —

### استنجار القيس بالعمروان

لما بلغ عبد الفتاح افا النمر ومحمود بك عبد الهادي خبر غارة الصقر وما فعلوا استنجدا بالعدوان وجمع عبد الفتاح افا النمر جميع جروره الخاصة وانضمت اليها جموع جماعين فنزل بهم عبد القادر افا النمر الى غور بيسان فانضم اليهم الغزاوية (التيهاها) ورابطوا ينتظرون نجدة العدوان التي وصلت بقيادة سلطان البلقاء الامير علي الدياب وقد انضم اليه اخلافه من الصخر والفريجات<sup>(١)</sup> وتوجهوا جميعاً نحو جينين فالتقوا بجرود ال عبد الهادي بقيادة محمد افندي الحسين ومحمود افا الحمد الجرار وساروا جميعاً فالتقوا بجموع الصقر وال جرار عند عين حزوبه وقد بلغت جرود الفريقين اكثر من عشرين ألفاً .

### مرأية مزوبه

التحم الفريقان فقتل عبد الله افندي الحسين عبد الهادي ومحمود افا الحمد الجرار والامير غالب ابن عم الامير علي الدياب ودارت الدائرة في بادئ الامر على صف القيس لولا ان احد عبيد الامير دياب قتل الشيخ رباح السعيد عقيد الصقر وجموع اليمن فانفرط عقدهم وهربوا وتشردوا نحو بيسان .

### يوم السرار

بلغ الامير دياب بان الصقر عادوا لجمعوا جموعهم على السرار فتوجه بالجموع نحوهم وكسرهم شر كسرة ونهب جميع مواشيهم وهدم بيوتهم وقتل - في رفيديا ، ونزل ال ابراهيم والدعاس والقاضي في بيت امرين ، ونزل الوجيه في اكسال من قضاء الناصرة ، ثم عاد فربق من ال الدعاس الى كفر قدوم بعد الصلح .  
(١) هم من عشائر جبل عجلون القوية ظهر امرهم بعد ضعف بني هاني .

منهم في ذلك اليوم الاسود عدداً كبيراً ورحلت نسائهم الى غور ابي  
عبدة تستنجد الاحلاف حاسرات الرؤوس باكيات نائحات فكان يوم  
الشرار يوماً عبوساً قيل فيه :

يوم حطت عالشرار يوماً اسود كالقطران

### غارة العدوان

سار الامير دياب بعد ذلك غرباً الى ان وصل يافا فنهب ابو كسك  
ونهب كل من صادفه من صف اليمن ثم عاد من وادي الشعير فنهب قرى  
البرقاوي ، ثم مر عن مدينة نابلس فأعطى حدية<sup>(١)</sup> الحارة الحيلة ملأت  
أزقتها جميعها ثم توجه نحو غور نمرين<sup>(٢)</sup> بعد أن قوض أركان اليمن في  
كل مكان .

### اباء عصيرة وكسر جرار

كانت القرى الشمالية اشتركت مع جرود عبد القادر اغا النمر  
التي لاقت جموع العدوان ، فانقم جرار اليمن من الضراغمة في طوباس  
والدبابسة في طلوزة والبشارات في طمون واحتلوا مضافاتهم ، واخضعوهم  
ثم اتوا الى عصيرة واحتلوها فجئت الى سفوح عيال المطلة على نابلس  
واستنجدت بعبد الفتاح اغا فانجدها بثأناية بواردي من حارة الحيلة  
وانضم اليهم في هذه الموقعة البعض من الحارات الاخرى ، وصعد بهم عبد  
القادر اغا النمر الى سفوح عيال وانضم اليه اهالي عصيرة فارسل منهم  
فرقة رابطت على طريق طلوزة ليأمن المباغته فلاقتهم جرود جراد فصبوب

(١) الحدية هي عطاء يقدمه الغازي لمن يصادفه او يمر عنه من احلافه . (٢) هو غور  
العدوان ويعرف اليوم بشونة ابن عدوان .

حسين المصري بندقيته نحو عقيدهم فقتله وانهمزمت جرود جرار الى  
عصيرة فاحاطت جرود الحبلية بعصيرة وطوقتها وقطعت اتصال ال جرار  
وجرودهم ببعضهم وصار ال جاموس وغيرهم يقوضون المباني على من  
فيها . وبعد هدم اثني وعشرين عقداً اضطر المحتلون من آل جرار  
وجرودهم على التسليم فكان في عصيرة بضعة عشر رجلاً من آل جرار  
فاتوا بهم ويجمعهم الى نابلس فاستقبلهم عبد الفتاح اغا النمر على قدم  
عيال فوق المقبرة الشمالية باكباً وحياماً وانزلهم ضيوفاً عليه واظهر من  
الكرم في ذلك اليوم ما ادهش الناس ثم كساهم كسوة ثينة حسب  
الاصول وارجعهم الى قراهم معززين مكرمين فغسل بذلك مافي قلوبهم  
من ضغينة فكانت معركة عصيرة فاصلة تفاهم بعدها ال النمر مع ال جرار  
وتفاهم ال جرار مع بعضهم فعادوا الى رأي عبد الفتاح اغا الاول وعادوا  
للسكيات .

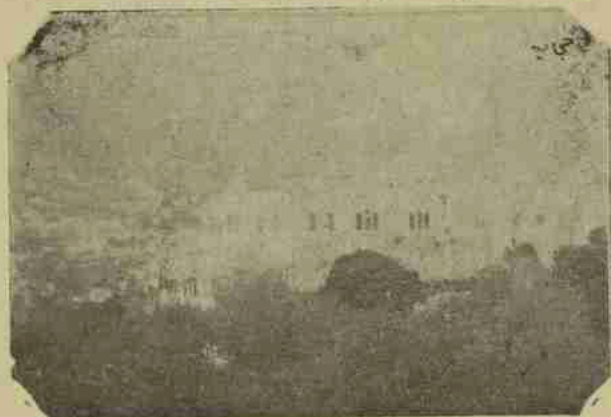
### عزل محمود بك وعصيان

لما كانت الحرب الأهلية دائرة في فلسطين كانت حرب القرم  
مستعرة بين الدولة العثمانية وروسيا فكثرت شكايات القناصل عن جبل نابلس  
ولما بلغ متصرف القدس اشتراك محمود بك واستنجاده بالعدوان عزله  
وارسل للمير آلاي في نابلس يطلب القبض عليه لنفيه فرفض محمود بك  
التسليم واعلن ال عبد الهادي العصيان واحتلوا جينين .

### حملة والي الشام ووسائله عبد الفتاح اغا

لما بلغ متصرف القدس عصيان ال عبد الهادي كتب لوالي الشام  
بالخبر فغضب واسرع بالمجيء بحملة كبيرة لضرب ال عبد الهادي ونزل  
في المرج تجاه جينين وارسل لمتصرف القدس يطلب منه الزحف بمن معه

ليلاقيه فكتب متصرف القدس يقترح توسط عبد الفتاح اغا لثلا  
يحصل من جيش الشام مايثير جبل نابلس جميعه فوافق الوالي وكتب  
لعبد الفتاح اغا فنزل الى جينين على ال عزوقة وقيل على الغباشة ومعه  
ولده بدوي اغا وعدد من القداية<sup>(١)</sup> والأتباع ، ولما بلغ محمود بك الخبر  
أتى للسلام عليه فعاتبه عبد الفتاح اغا على غلطته بعدم التسليم للنفي ،  
لأن مثله لا يجوز أن يحسب حساباً للنفي وأنه يكون معزراً مكرماً ،  
وبعصيانه يقع بين الدولة وال جرار فيقضي على عشيرته قضاءً مبرماً .  
وكان محمود بك لين العريكة بعيد النظر فقبل برأي عبد الفتاح اغا ،  
وذهبا الى والي الشام في المرج ، فاستلمه وعاد بجيش الشام الى دمشق .



قصر محمود بك عبد الهادي وقد بناء ولده الحاج عبد الرحيم افندي  
ويعرف اليوم بدار عبد الرحيم



(١) راجع فصل السباهية في باب الحكومة من الجزء الثاني .

## الفصل الثالث

### الدولة تنهي الحرب الأهلية

#### تشكيل المتصرفية

بعد انتهاء حرب القرم تفرغت الدولة لبلادها ، فأقنع القنصل الدولة بأن صلة نابلس بالقدس وترك نابلس بلا قوة حكومية وموظف غريب هو العامل الأكبر في بقاء التطاحن ودوام الحرب الأهلية ، فاقترحوا - لاسيما القنصل فين قنصل دولة فرنسا - جعلها متصرفية ، وتعيين حاكم حازم عليها فعملت الدولة برأيهم وجعلت نابلس متصرفية عينت عليها ضيا بك المصري الشديد وأمدته بقوة من الجند والمدافع للقضاء على التمرد وإنهاء الحرب الأهلية وذلك سنة ١٢٧٥ هـ .

#### استمرار عصيان آل عبد الهادي

لما كان عبد الفتاح آغا النمر يقنع محمود بك عبد الهادي بالتسليم وقف محمد أفندي الحسين على الباب وقال لعبد الفتاح آغا بجدة « يا آغا هدي البلاد أخذناها بالسيف » ، فغضب عبد الفتاح آغا وأشاح بوجهه عنه ، فقام محمود بك ودفعه عن الباب ، ولما سلم محمود بك بنفسه ترك محمد أفندي الحسين جينين وتحصن في عرابية ، وصار يهاجر آل جرار ويقطع الطرقات ويهزئ الأجناب ، فتوات شكايات القنصل من جهة وآل جرار من جهة أخرى . فقررت الدولة هدم عرابية واستئصال العصيان ، وتجنب عبد الفتاح آغا التدخل بأمر محمد أفندي الحسين لعلهم يعناده وشططه .

### محمد ضيا بك لهدم عرابية

في فصل الربيع من سنة ١٢٧٥ هـ ، خرج المتصرف ضيا بك ومعه مجلس<sup>(١)</sup> الشورى وحملة عسكرية مكونة من أربعمائة جندي من المشاة ومايتين من الفرسان وثمانين من حملة البنادق المضلعة ومدفعين سهلين من شبه البرونز من العيار الكبير وعدد من البنائين ، وانضمت اليهم جميع العشائر المعادية لال عبد الهادي وجميع ال جرار الذين نفاهموا واتحدوا لرد غارات محمد أفندي الحسين ولهدم عرابية انتقاماً لصانور ، وقد جمعوا مبلغاً كبيراً قدر بنحو ثلاثة الاف ليرة لرشوة الوالي والمتصرف ورجال الدولة ، وانضم إليهم الصقر للانتقام ليوم حزوبة والشرار .

### مفاوضة آل عبد الهادي

نزل ضيا بك بالحملة بعيداً عن عرابية ساعتين ، ونظراً لما وقع بين عبد الفتاح اغا النمر ومحمد أفندي الحسين ولاستمراره بالعصيان وعدم نزوله على رأي عبد الفتاح اغا ، فإن الأخير لم يتظاهر بمساعدته ولم يحضر مع المجلس الذي رافق الحملة والذي كان أحد أعضائه ؛ إلا أنه أوعز لولده عبد الكريم اغا وكيل المير ألاي بأن يقترح مفاوضة ال عبد الهادي ، وأن يعمل كل ما يستطيع لمساعدتهم .

وقد قبل ضيا بك بمفاوضة ال عبد الهادي ، وأرسل إليهم وفداً مكوناً من الشيخ محمد عاشور العضو الحياضي في المجلس ، والمير ألاي<sup>(٢)</sup> صالح بك الحسين عبد الهادي ، وأخوه محمد أفندي الحسين المذكور ، ورئيس

(١) راجع فصل المجالس في الجزء الثاني وتشكيل الحكومة في دور الانتقال من الجزء الثالث . (٢) هو من اولاد الشيخ حسين عبد الهادي الصغار ادخله محمد علي باشا المدرسة الحربية ثم الجيش فبلغ درجة مير ألاي .

حركة العصيان والتمرد ، وبعد مفاوضة دامت ثلاثة أيام قنع آل عبد الهادي بالتسليم على شرط أن لا تهدم عرابة ، واكتفى المتصرف باستلام محمد أفندي الحسين ثم هدم الأسوار . واتفق الفريقان على أن ترفع عرابة الرايات البيضاء حينما يقبل الجيش عليها وينتقدم محمد أفندي الحسين ويديه الراية البيضاء فيسلم نفسه للجيش ثم تهدم الأسوار وينتهي العصيان .

### مكيدة آل جرار

لما تحقق آل جرار إذعان آل عبد الهادي اسقط في أيديهم واتهموا الوفد والمجلس بالرشوة ، ودبروا مكيدة لإحباط مساعي الوفد . فلما زحف الجيش نحو عرابة أرسلوا جماعة منهم هاجموا عرابة من الجهة التي أتى منها الجيش ، فقابلهم العراقيون وردوهم فانهزموا أمامهم وصاروا يطلقون النار على الجيش ووراءهم جموع عرابة تطلق النار عليهم ، وإذا لم تكن ميزة تميزهم عن بعضهم ، ظن الجيش أنهم جميعاً جموع آل عبد الهادي ، فقابلهم بالمثل وردوهم ، وضاح شيوخ آل جرار بضيا بك محمد الحسين وجموعه تريد ذبحك ولا تريد الصلح لا بد من هدم عرابة ، وكان المجلس أكثره من أعداء آل عبد الهادي ، فظاهروا آل جرار ، وأعطوا قراراً بضرب عرابة ، فأطلقت عليها المدافع وهاجمتها الجموع .

### هزم عرابة

دام إطلاق المدافع على عرابة وفيها النساء والأطفال ساعتين فلم نصب إلا رجلاً من آل عبد الهادي اسمه عبد الفتاح ، ولم تهدم إلا جهة في غرفة . ثم سكنت فهجم البدو من الجهة الشرقية فردتهم جموع آل عبد الهادي وتبعتهم ، فداروا ودخلوا عرابة من جهة أخرى ،

فأصبحت ودخلت سائر جموع ال جرار من الجهة التي هاجمها البدو أولاً ،  
جموع آل عبد الهادي خارج عرابية ، واحتل الجيش والبدو وآل جرار  
عرابية فتهبوا وهدموا جميعها ولم يبقوا فيها إلا على دارين ليقيم الجند فيهما .

### انقاذ آل عبد الهادي وأموالهم

في الوقت الذي كانت فيه المفاوضة دائرة بين الوفد وآل عبد الهادي  
كان عبد الكريم آغا النمر يدير مع آل عبد الهادي خطة لإنقاذ أموالهم  
ونسائهم فيما لو فشلت المفاوضة فتم الاتفاق على ذلك . ولما دخل الجيش  
عرابية ذهب عبد الكريم آغا بفرسانه وفدائنته ، فحمل أموال آل عبد  
الهادي على أربعة بغال ، وأردف هو وفرسانه عدداً كبيراً من نسائهم  
وشعرت به الجموع المعادية فأصلوه وإبلاً من الرصاص ، فنجوا ورجاله  
دون أن يمكنهم من اللحاق بهم . وأتى بالنساء والأموال إلى نابلس ،  
فبنى فيها الحاج عبد الرحيم المحمود عبد الهادي قصرهم الكبير .

وبينما كانت الجموع تشغل بالنهب والهدم كان فريق من ال جرار  
(القيس) يشغلون بإنقاذ الأطفال والنساء وحمايتهم ، فنقلوهم إلى صانور  
وقد بلغ عدد نساء عرابية فيها نحو أربعماية ، فأكرم ال جرار مثواهم  
وحافظوا عليهم نحو أربعة أشهر إلى أن أذن لأهالي عرابية بالعودة إليها  
فأرجعوا بكل إعزاز :

إذا احترت وسالت دماؤها تذكرت القربى فسالت دموعها

### استغفاء<sup>(١)</sup> عبد الكريم آغا وإنزال ضيالك

لما بلغ ضيالك ما فعله عبد الكريم آغا من إنقاذه أموال ال عبد  
الهادي تميز غيظاً ، فطلبها من عبد الكريم آغا ، فأتى إليه ومعه كتاب

(١) الاستغفاء أي الاستقالة .

الاستعفاء ، وأخبره بأن الأموال للنساء وقد استلمتها ، وأنه سدد آل عبد الهادي يوماً ، وبلغه على لسان والده بأن هدم عرابية كان غدرًا وكيداً ، وأنه هو والمجلس والجرار مسؤولون عن ذلك وبعدها أرسل عبد الفتاح اغا الشكيات للوالي وللباب العالي<sup>(١)</sup> .

### تسرجن<sup>(٢)</sup> المجلس وشيوخ آل جرار

لما أتى محمد رشدي باشا القبرصي مشير الشام سنة ١٢٦٦ هـ بالحنة وقف على أخلاق عبد الفتاح اغا النمر ونواياه حق الوقوف وتأكد إخلاصه ووثق به ، وفي هذه الأثناء أصبح أحد وزراء الباب العالي فلما وصلت الشكيات ساعد عبد الفتاح اغا وكتب لوالي بيروت ولتصرف نابلس بوجوب التحقيق ، فاضطر المتصرف ضياء بك الى إجراء التحقيق . وبمساعدة أعضاء الوفد فضحت مكيدة ال جرار وثبت تسرع المجلس بالمصادقة على هدم عرابية فقرر والي بيروت تسرجن شيوخ ال جرار وبعض أعضاء المجلس لبيروت ، فألقى عليهم القبض وأخذوا محروسين ، وهم : درويش بك طوقان ، الشيخ محمد عاشور ، أحمد بك القاسم ، الحاج أسعد الطاهر من أعضاء المجلس ، وقاسم اغا الداود الجرار ، وأحمد اغا الجرار ، وإبراهيم اغا الجرار شيوخ ال جرار .

### العفو عن آل عبد الهادي

هرب محمد أفندي الحسين وأخوه صالح بك ، ومن كان موجوداً من ال عبد الهادي في عرابية مع رجالهم الى البلقاء ، ولما فضحت المكيدة وتبين أنهم اضطروا ووقعوا في المكيدة عفا عنهم ، فعادوا

(١) الباب العالي هو القصر الذي يعقد فيه الوزراء جلساتهم . (٢) التسرجن - أي الاعتقال مع الحرس والمخافطين وهي كلمة دخيلة .

الى نابلس وأقاموا هادئين الى أن تبدلت الأحوال ، فتفاهموا مع الدولة  
وكان لهم بنزولهم في نابلس فوائد كثيرة ، فقد حصلوا فيما بعد على  
مراكز كثيرة في الحكومة وانتهبوا للتعليم خافضوا على كيانهم ، ولا  
يزالون يعدون من أقوى عشائر وأسر فلسطين مكانة وعلماً وعدداً .

### استمرار ضيالك وضبه

رأى ضيالك أن الجو خلا له ، فأخذ يتحرش بالشعب ليقتل عزته  
ويقضي على ما بقي في البلاد من تمرد ويهين من بقي فيها من الرجال ،  
فأوعز لعساكره بأن يتجولوا في الشوارع ويأخذوا الشملات<sup>(١)</sup> والتلاويات  
والخطة والعقال عن رؤوس النابلسيين ويأمروهم بلبس الطرايش .  
وصار يجبر أصحاب الأملاك على تسجيل الأراضي ، ويحجي الضرائب  
بشدة ، فكثير الصدام بين عساكره وموظفيه وبين الأهالي ، فامتلات  
السجون ، وصار الجميع يلجئون لآل النمر ، فصار هؤلاء يرسلون  
الشكايات بحق المتصرف ويحرضون الناس ويشجعونهم على الشكايات لوالي  
بيروت وللباب العالي وللسلطان ، فانقضت سنة ١٢٧٦ هـ كلها بالشكايات  
والعنف والاصطدام .

### مكيدة ضيالك لآل النمر

لما أحس ضيالك بالشكايات ، صار يفكر بالتحرش بآل النمر  
ليخرجهم عن حلهم ، فدله أحد المفسدين على مكيدة مغيظة ، وهي أن  
يجوز على دار عبد القادر اغا النمر في غيابه وغياب عبد الفتاح اغا  
وبما أن زوجة عبد القادر اغا هي أخت عبد الفتاح اغا وعبد الله اغا

(١) الشعلة والتلاوية هما نوعان من غطاء الرأس للعامة تشبه العمامة .

فإنه يس كرامة آل النمر جميعاً فيتحرشون بموظفيه . ولما دخل مأمور  
المالية ومعه بعض الكتاب والعساكر لدار عبد القادر آغا طردهم شبان  
آل النمر ورجالهم وأهانوهم ، فاغتاظ ضيا بك وأرسل بطلبهم .

### حادثة اغتيال ضيا بك

كان عبد الله آغا أخو عبد الفتاح آغا النمر قوي النفس عصبي  
المزاج ، فلما بلغه ما حصل وأن ضيا بك يشدد في طلبه وطلب باقي  
الشبان ، ذهب برجاله إلى السراية فدخل على المتصرف ضيا بك واستل  
سيفه يريد اغتياله ، فخال رجال المجلس والحراس دون ذلك وقبضوا عليه  
وهو بحالة جنونية ، فذعر المتصرف وازداد غيظاً .

ولما عاد عبد الفتاح آغا وعبد القادر آغا لنابلس وبلغها الخبر اسقط  
في أيديهما لاعتقادهما أنها مكيدة وأن المتصرف لم يلجأ لهذه الأعمال  
إلا حينما تأكد نجاح الشكايات ، فأسرعا إلى دهب وأن المتصرف ، وصار  
عبد الفتاح آغا يلاطفه ويعمل لإزالة سوء التفاهم ، فخرج المتصرف  
بكلامه على شبان آل النمر وتناول على عبد الفتاح آغا في المجلس ،  
فهجم عليه عبد الفتاح آغا وعبد القادر آغا ورمياه على الأرض وداس  
عبد الفتاح آغا رقبته قائلاً : بلغ الدولة العلية بأننا لا نحكم بالسفاهة  
ولا نصبر على الذل .

### المظاهرات المسلحة

كان جبل نابلس على اختلاف صفوفه وعشائره ونزعاته قد سئم  
استبداد ضيا بك وعسف عساكره وبناتوا جميعاً يترقبون موقف عبد  
الفتاح آغا النمر ، فلما وقع بينه وبين المتصرف ما وقع حسب حساب  
عساكر ضيا بك ولؤمهم ، فرتب المظاهرات المسلحة ، فصارت جرود نواحي

جبل نابلس المسلحة ترد الى نابلس ليل نهار فتلقي<sup>(١)</sup> على دار النمر وتخرج منها فتمر عن باب السراية وتطلق نيران بنادقها تحت مقصورة ضيا بك فاضطر ضيا بك على التحصن بعساكره داخل السراية ، وظل محصوراً فيها إلى أن وصلته النجدة من بيروت والشام والقدس وعكا .

### نصر من عبد الفتاح آغا وعبد القادر آغا

بعد أن داس عبد الفتاح آغا النمر رقبة المتصرف بلغ الأمر النهاية ، فصار ضيا بك يجمع عساكره ليلقي القبض عليه ، وكتب بالواقع محضراً للوالي ، ولما رأى المظاهرات كتب للوالي يخبره بأن آل النمر أعلنوا الثورة ، فصدر الأمر بالقبض على عبد الفتاح آغا وعبد القادر آغا ، وتوالت النجادات على ضيا بك من القدس وبيروت وعكا ودمشق ، فسلم عبد الفتاح آغا وعبد القادر آغا أنفسهما دون أن تسفك قطرة دم ، وأرسل محروسين عن طريق يافا بجرأ الى بيروت ، وأقسم عبد الفتاح آغا النمر أن لا يعود من بيروت إلا بعد أن يخرج ضيا بك من نابلس مطروداً مجرماً<sup>(٢)</sup> .

### عزل ضيا بك ونعيريه

في هذه السنة اي سنة ١٢٧٧ هـ جلس السلطان عبد العزيز على عرش ال عثمان وكان اول وزرائه العظام محمد رشدي باشا القبرصي فكتب له عبد الفتاح آغا النمر عن اعمال ضيا بك مع الشعب ومع ال النمر مفصلاً فاصدر امره باخلاء سبيل عبد الفتاح آغا وعبد القادر آغا

(١) تلقي اي تنزل . (٢) التجريس هو أن يركب الجرس على حمار معكوماً فيطاف به في الشوارع ، وهذه المعاملة كان يعامل بها من يفتك الحرمات ، وقد جرم ضيا بك لانتهاكه حرمة عمام العامة .

ويطرد ضيا بك وتجربسه وعمل عبد الفتاح اغا النمر جهده لأن يكون دخوله لنابلس في اليوم الذي يجرس ويطرد فيه ضيا بك . فكان الامر كما أراد وفاز بطرد ضيا بك فجرس في شوارع نابلس ثم اخرج من نابلس في الساعة التي دخل فيها عبد الفتاح آغا والنميا خارج نابلس من الغرب عند وادي التفاح فقال له عبد الفتاح اغا « هذا جزء السفهاء اللثام » وكانت في هذه الصدمة عبرة لكل من عين متصرفاً لنابلس بعد ضيا بك وقد كلفت ال نمر ثمنًا باهظاً . ولولا أموال الست<sup>(١)</sup> اليمن لما استطاعوا الوصول الى هذا الحد من الفوز الذي جمع القلوب كلها على حبهم فاستردوا بها مكانتهم في جميع جبل نابلس واستقبل كبيرهم استقبالا تاريخياً .

### استقبال عبد الفتاح اغا ودواعي حره الاقطاع

رجع عبد الفتاح اغا النمر وقائده عبد القادر اغا النمر من بيروت بالبحر الى يافا فاستقبلهما على الميناء قائمهما مصطفى بك السعيد<sup>(٢)</sup> وبعد انتهاء الضيافة خرج معهما فاستقبلتهم القرى من يافا الى نابلس على اختلاف الصفوف ، الرجال والنساء ، وكانت خيولهم تدوس على الشنابر الحمراء<sup>(٣)</sup> والبيضاء طول الطريق وكانت اصوات الرصاص تنصاعد في كل مكان فكان استقبالا تاريخياً منقطع النظير وكان وداعاً لعهد الاقطاع وفروسيته وقد عد عبد الفتاح اغا النمر متقدماً فقال له الشاعر النابلسي :<sup>(٤)</sup>

(١) هي أم عبد الفتاح اغا التي كانت قد ولدها وأخاها بلا حساب - راجع ترجمتها في فصل الحرمة من الجزء الثاني . (٢) هو جد ال سعيد في يافا وهو من ذرية ابن ادهيس شيخ حاملة جبارة المارالذكر . (٣) الشعار الأحمر لصف القيسر والأبيض لصف اليمن والشنابر هي وشاح القرويات وشرح ذلك في فصل عرف الصفوف واستقبال الامير في باب الامارة من الجزء الثاني . (٤) راجع فصل الشعر في باب اللغة من الجزء الثاني .

ولولا عابد الفتاح خلاً لصرنا في بني الدنيا اسارى  
 حليف المكرمات ابو المعالي اجل الناس قدراً واقداراً  
 اعز بني الملوك<sup>(١)</sup> الفر نفساً واشجعهم وامنعهم دياراً

### آخِر معارك القيس واليمن

وبعد وصول عبد الفتاح اغا النمر لتابلس خرج مصطفى بك السعيد  
 شيخ حامولة جبارة بالجروود والجموع الى الشمال فتأر لعرابة بنهب جميع  
 وميثلون وبرقين وعاد بعد ذلك الى يافا وذلك سنة ١٢٧٨ فلم يبق للصفيين  
 عند بعضهما ثأر ، وانتهت الحرب الاهلية وعهد الاقطاع معاً .

انتهى الجزء الاول في ٨ من ذي الحجة سنة ١٣٥٦ هـ الموافق  
 ٨ شباط سنة ١٩٣٨ م ويليه الجزء الثاني وهو يبحث  
 عن مدنية الحكم الذاتي الاقطاعي

### ملحوظة

أخذ مناظر هذا الجزء السيد عادل دروزة ، وحفر كليشيهاته على الزنك  
 السيد شكري حجاب وكلاهما في نابلس .

(١) يشهد الى تلقب الشعب اباء واجداده بالملوك وبالسلاطين كما سيظهر في وثائق  
 الجزء الثاني وكما مر في الحوادث الجارية .

« جدول الخطوط والصواب »

| صواب                  | خط                    | سطر   | صفحة |
|-----------------------|-----------------------|-------|------|
| عروبتها               | عروبتها               | ٦     | ٨    |
| حنو                   | صفو                   | ٢٢    | ٦٢   |
| وادي القلات           | واد اتصلت             | ١٨    | ٦٤   |
| وفصيلة من المالك      | وفصيلة من البركان     | ١٧    | ٧٢   |
| القنصير               | القنصير               | ١     | ٧٩   |
| الشعراوية             | القراوية              | ٩ و ٨ | ٧٩   |
| والاخر صي             | والاخر صي             | ١١    | ٨١   |
| والمصري               | والمصري               | ٣     | ٨٣   |
| ينعش الفارس قبل الفرس | ينعش الفارس قبل الفرس | ١٢    | ٩٠   |
| سوف                   | سوق                   | ١٣    | ٩٨   |
| وباقر الغريبة         | وباقر الغريبة         | ١     | ١٠٤  |
| من المصبر             | من المعبر             | ١     | ١٣٠  |
| بني شمسة              | ابن شمسة              | ١٩    | ١٣٤  |
| وأوصرين               | وأحر حرين             | ٤     | ١٣٤  |
| جدي                   | جدعا                  | ١٢    | ١٥٣  |
| هل من حادي            | هل من صادي            | ١٩    | ١٦٣  |
| المسارعة              | المارعة               | ٨     | ١٧١  |
| لمقاومة               | عن مقاومة             | ١٥    | ١٧٢  |
| رامين                 | راسين                 | ١٣    | ١٧٦  |
| في بلاطة              | في البلاطة            | ٦     | ١٨٩  |
| البسطة                | السبطة                | ٢١    | ١٩٢  |
| مومى آغا والسلطان     | مصطفى آغا والسلطان    | ١٥    | ٢١٤  |
| رفع البيكات           | دفع البيكات           | ٣     | ٢٢١  |
| عصيته القرية          | عصيته الغربية         | ٦     | ٢٣١  |
| ما زال                | ما يزال               | ٥     | ٢٦٥  |
| وصرة                  | وحرة                  | ٧     | ٢٨٢  |
| عنبتا                 | غبتا                  | ١٥    | ٢٨٢  |
| عبد الجابر            | عبد القادر            | ١٨    | ٢٨٨  |
| ليوم خروبة            | ليوم حزوبة            | ٩     | ٢٩٦  |

# محتويات الكتاب

صفحة

٤

مصادر تاريخ جبل نابلس والبلقاء

٨

مقدمة الكتاب

١٠

مقدمة تاريخية

## الباب الأول - حوادث سوريا من نهاية الحروب الصليبية الى الفتح العثماني

١١

الفصل الأول - الغارات الخارجية

١٣

الفصل الثاني - العرب في سوريا

١٧

الفصل الثالث - نظام الحكم العثماني

٢٠

الفصل الرابع - الفوارق وعوامل الفن

٢٤

الفصل الخامس - الفن والثورات

## الباب الثاني - بدء بروز شخصية جبل نابلس

٣٤

الفصل الأول - جغرافية جبل نابلس

٤٣

الفصل الثاني - جبل نابلس في أول الفتح الاسلامي

٤٧

الفصل الثالث - النهضة العلمية الاولى

٥٥

الفصل الرابع - الامراء الوطنيون

٦٣

الفصل الخامس - الحكم الغرباء

## الباب الثالث - عصر بني النمر

٦٨

الفصل الأول - تاريخهم وفروعهم

٧١

الفصل الثاني - حملة الامامية للجنوب

٧٤

الفصل الثالث - استقلال الامامية بالامارة

٧٦

الفصل الرابع - رؤساء وعشائر العصر

٨٠

الفصل الخامس - الامير بوصف النمر

٨٩

الفصل السادس - البليغ المفرد علي جريجي النمر

٩٥

الفصل السابع - الحاج محمد آغا جريجي النمر

١٠٨

الفصل الثامن - الصدر الامجد عمر آغا اليوسفي النمر

١١٧

الفصل التاسع - احفاد الجريجي

|     |                |                                 |
|-----|----------------|---------------------------------|
|     | الباب الرابع — | المجوم انخارجي والشتافس الداخلي |
| ١٢٠ | الفصل الأول —  | أحوال الولايات المجاورة         |
| ١٢٣ | الفصل الثاني — | أحوال أمراء وشيوخ جبل نابلس     |
| ١٣٥ | الفصل الثالث — | عشائر البدو                     |
| ١٣٩ | الفصل الرابع — | هجوم ظاهر ونتائجه               |
| ١٥٥ | الفصل الخامس — | عصر السلطانين                   |
| ١٦٠ | الفصل السادس — | حرق الافرنسيين ومضايقتهم        |
| ١٦٧ | الفصل السابع — | تمرد جبل نابلس                  |
|     | الباب الخامس — | عصر موسي بك                     |
| ١٧٨ | الفصل الأول —  | البيكات بين النعمة والانتقام    |
| ١٨٠ | الفصل الثاني — | البيكات والجيايسة               |
| ١٨٣ | الفصل الثالث — | آل جرار والبيكات                |
| ١٨٧ | الفصل الرابع — | حسن آغا وموسي بك                |
| ١٩٢ | الفصل الخامس — | طفيان موسي بك                   |
| ١٩٧ | الفصل السادس — | الثورة الكبرى                   |
| ٢٠٤ | الفصل السابع — | دور الخداع والغدر               |
| ٢٠٨ | الفصل الثامن — | دور الدفاع المجيد               |
| ٢١٤ | الفصل التاسع — | القضاء على قوى موسي بك          |
| ٢٢٣ | الفصل العاشر — | آخرة موسي بك                    |
|     | الباب السادس — | عصر أحمد آغا                    |
| ٢٣١ | الفصل الأول —  | دعائس الولاة والامراء           |
| ٢٤٦ | الفصل الثاني — | الحكم المصري                    |
|     | الباب السابع — | عصر عبد الفتاح آغا              |
| ٢٦٦ | الفصل الأول —  | رجوع الاتراك                    |
| ٢٧١ | الفصل الثاني — | الحرب الاهلية                   |
| ٢٩٥ | الفصل الثالث — | الدولة تنهي الحرب الاهلية       |

## الجزء الثاني

# حضارة الاقطاع وهو يقسم الى سبعة أبواب

تبحث عن حالة الأديان وأتباعها ، وعن اللغة وحالتها ، وعن العلم والعلماء ، وعن الحكومة والمحكمة والأقطاع والميري والنواحي وألاي السباهيات ، وعن الامارة وثقاليدها وشروطها وفتوتها وفروستها وعرف الصفوف والقانون العشائري ، وعن التجارة ومعاملاتها وتعاملها ، والصناعة وأنواعها .

وعن أحوال المجتمع وعاداته في كل شيء والرفي الذي بلغه المجتمع الاقطاعي النابلسي شرحاً وافياً يري حالة عصر التبس على الناس أمره ، وأسي الى أهله .

## الجزء الثالث

# الحكم الأجنبي والنضال القومي

وهو يسم:

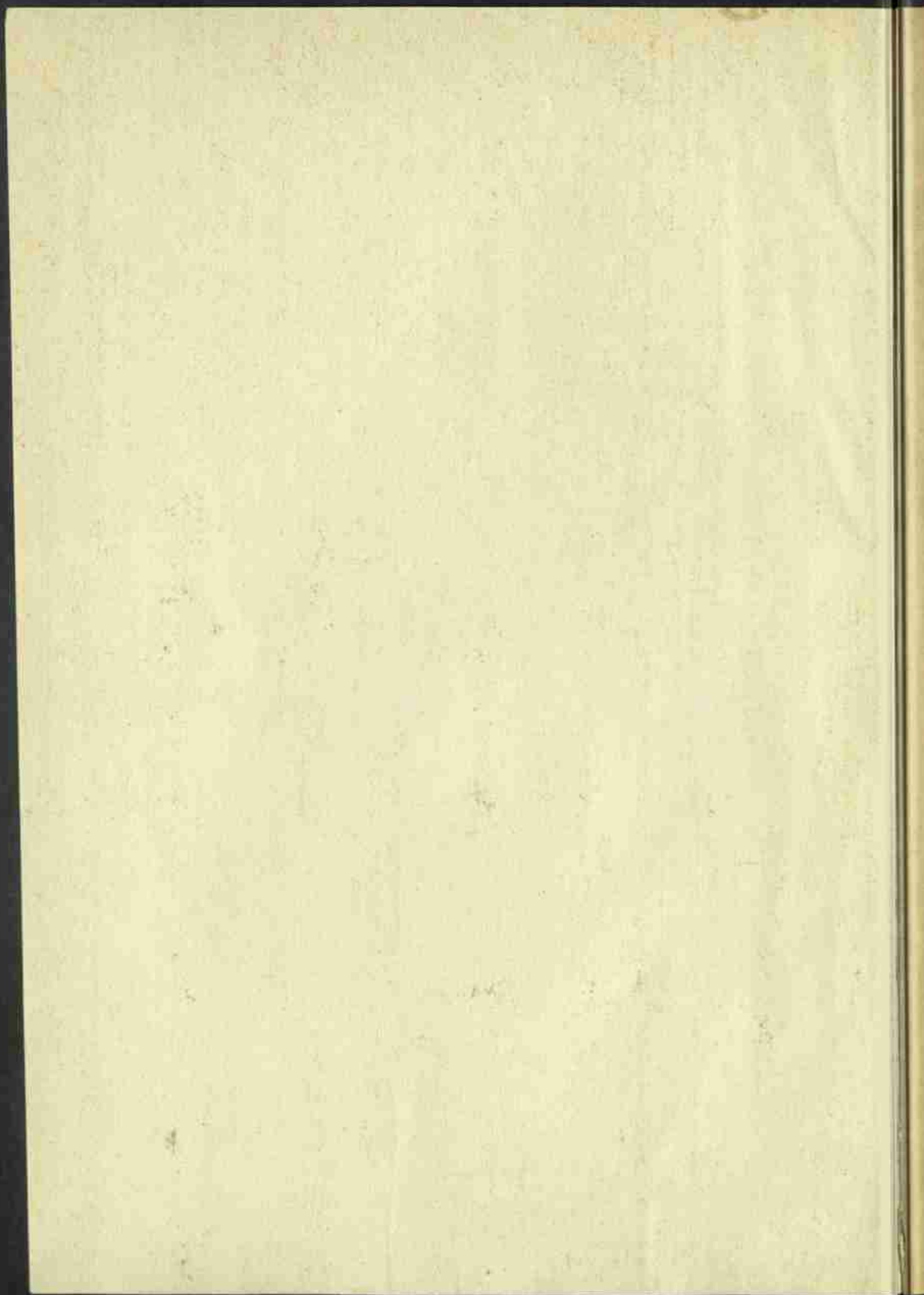
عن دور الانتقال من الحكم الاقطاعي الذاتي الى الحكم المدني  
الأجنبي وعن موقف أمراء ومشايخ جبل نابلس وتعلمهم ، وبحث  
عن دور الانحلال وما حصل فيه ، وعن عهد الحرية والفكرة  
العربية ، وعن الحرب الكبرى ، والثورة العربية ، وعن الاحتلال  
والانتداب وعن الحركة الوطنية في نابلس خاصة وفلسطين عامة الى  
ما بعد تقرير اللجنة الملكية بقليل ، بأسلوب تحليلي صريح ، وعن  
الأحوال العامة في جبل نابلس في هذا العهد من الوجهة : العلمية  
والاقتصادية والاجتماعية والأعمال والمشاريع الخيرية ، وفي هذا  
الجزء فوائد كبرى لأنه يري تدرج البلاد ووصولها الى هذا  
الحد من عامة الوجود أفراداً وجماعة .

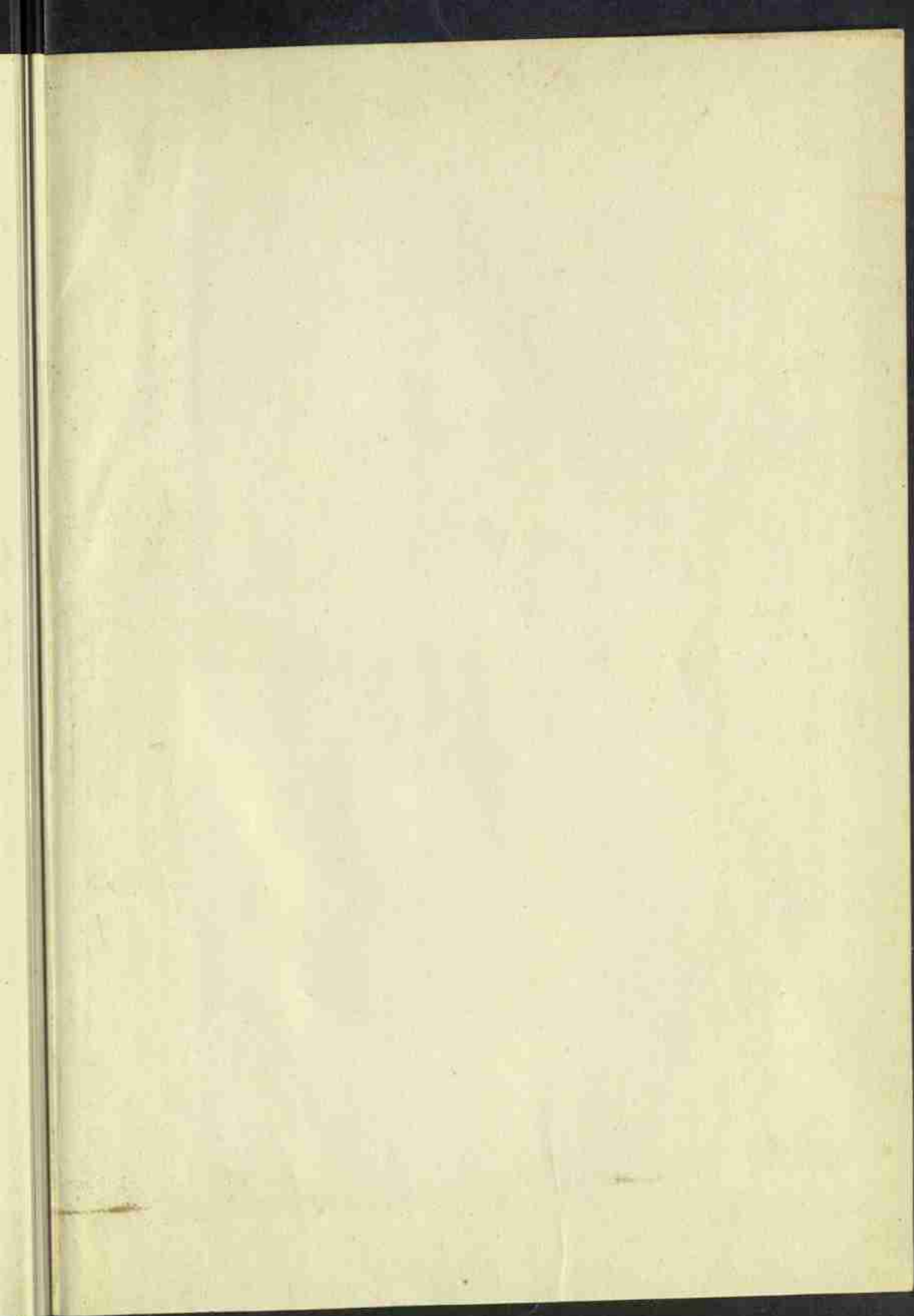
انتظروا

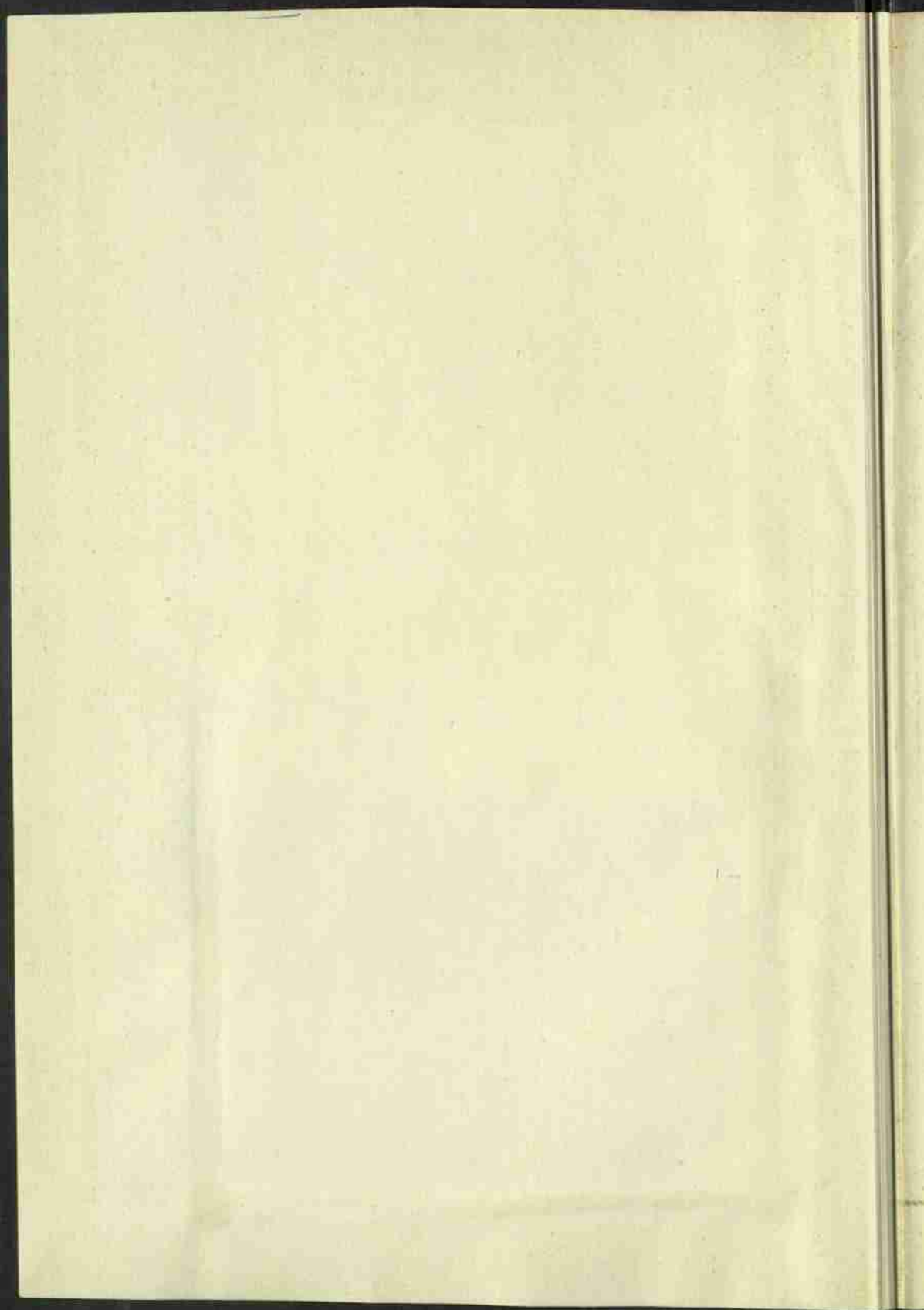
## العربي الكامل

لمؤلف هذا الكتاب

وهو كتاب أخلاقي ثقافي يبحث عن حياة العربي الكامل ونشأته واكتماله من الوجود الى الخلود بكافة نواحيها وتطوراتها مع إبانة ما يكسبه الرفعة الدنيوية والخلود الأخروي ومعالجة كافة النقائص ونواحي الضعف التي يشكو منها العالم العربي أفراداً وجماعة لإعاققتها تقدمه مع التوفيق بين روح الإسلام ، وأساليب العصر ، متمشياً على قاعدة « الإسلام دين خالد » بأسلوب تحليلي مبتكر ، يقع في ثلاثة أجزاء يوضع مئات من الصفحات .







## DATE DUE

**CLOSED  
AREA**

CA:956.9:N713tA:v.1:c.1

النمر، احسان  
تاريخ جبل نابلس والبلقاء  
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



81067134

CLOSED AREA

CA:956.9:N713tA

v.1

النمر، احسان .

تاريخ جبل نابلس والبلقاء .

CA  
956.9  
N713tA  
v.1

